

عبد الله كنون

وموقعه فى الفكر الإسلامى السياسى الحديث

(رؤية من الداخل)

عبد القادر الإدريسى

الزهراء للإعلام العربى





الزهراء للإعلام العربي
قســـم النشــر

ص.ب : ١٠٢ مدينة نصر - القاهرة - تلغرافياً : زاهراتيف - تليفون ٦٠١٩٨٨ - ٢٦١١١٠٦ - تلكس ٩٤٠٢١ رائف يوان فاكس ٢٦١٨٢٤٠
P .O : 102 Madinat Nasr - Cairo - Cable : Zahratif - Tel : 601988 - 2611106 - Telex : 94021 Raef U .N fax 2618240

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ
وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ »

صدق الله العظيم
فصلت/٣٣

الطبعة الأولى
١٤١٢ هـ — ١٩٩٢ م

الجمع التصويري والتجهيز

بالزهراء للإعلام العربي

عبد الله كنون

وموقعه فى الفكر الإسلامى السياسى الحديث

(رؤية من الداخل)

عبد القادر الإدريسى

الزهراء للإعلام العربى

شرح عمدة الفقه

[illegible]

[illegible]

[illegible]

دار العاصمة للنشر والتوزيع

آخر ما قاله كنون من الشعر على فراش الموت

أيا هذا لقد حان الرحيلُ
وأنت عن الغواية لا تحولُ
رفاقك قد مضوا فردا ففردا
وحتما سوف تتبعهم فُلولُ
تظن الكُتْبَ ضاع وذا بريد
محال أن يضل له رســولُ

خطبة الكتـاب

كان من فضل الله عليّ أن قدر لي الاقتراب من (عبد الله كنون) .. والعمل معه .. والتعرف عليه عن كثب .. في مرحلة مبكرة من حياتي العملية .

كنت قبل هذه المرحلة أعرف (عبد الله كنون) كما يعرفه قراؤه .. من خلال كتبه التي وقعت في يدي في زمن الطلب والتحصيل .. وعلى صفحات (الميثاق) التي تابعت صدورها منذ أعدادها الأولى .. ولم تكن هذه المعرفة تبلغ مبلغ الإحاطة الكاملة بشخصية الرجل الفذ ...

وكان أول لقاء لي مع (عبد الله كنون) في منتصف الستينيات حين سعيت إليه في بيته بقصبة طنجة على أثر مقالاتٍ نشرتها لي (الميثاق) سعدت بتقديره لها وترحيبه بها في رسائل منه كان لها في نفسي وقع عميق الأثر .. وصارت زيارة (بيت كنون) في طنجة عادة أدمنتها زمنا طويلا ، حتى إذا قدر لي الانتقال من الرباط إلى هذه المدينة لأعمل سكرتيرا لتحرير (الميثاق) إلى جانب عملي ملحقا بالأمانة العامة لرابطة علماء المغرب طيلة سنة كاملة (أكتوبر 1972 — أكتوبر 1973) انقلبت العادة إلى عمل يومي ، فكنت أختلف إلى هذا البيت الحبيب إلى النفس مرة في اليوم ما عدا في الأيام التي كان عبد الله كنون يغادر فيها طنجة إلى الرباط أو إلى خارج المغرب لحضور المؤتمرات وللمشاركة في الندوات ، فأتخذ لي مكانا في المكتبة إلى جواره وأمكث معه ساعة أو ساعتين قبل أن أنصرف لمتابعة أشغال الجريدة التي كانت تطبع في تطوان بمطبعة كريماديس أولا ثم بمطبعة المهدية قبل أن تنقل (مطبعة الريف) للتهامي الوزاني ، التي أوصى بها قبل وفاته لرابطة علماء المغرب ، إلى طنجة .

وقد أتيح لي خلال هذه السنة الحافلة بالعمل الصحافي والفكري قريبا من كنون أن أعكف على كتبه كتابا كتابا ؛ أقرأ وأدرس وأقارن وأطيل التأمل في مضامينها ومحتوياتها وفي الأفكار والمواقف ووجهات النظر التي حفلت بها ، وكنت أعود إلى عبد الله كنون مستفسرا وباحثا ومنقّبًا ومستطلعا لمزيد من الحقائق والمعلومات ومشبعا نهمي في المعرفة العميقة بفكر الرجل ودراسة شخصيته من الجوانب كافة والوقوف على معالم ثقافته الواسعة المتشعبة ، فتكوَّن لي من هذا الدأب على الدراسة والتحليل والتنقيب عن الخلفيات التي لا تظهر في الكتب رصيد أعتز به من المعرفة بمدرسة كنون في أبعادها الفكرية والعلمية والسياسية ساعدني فيما بعد على القيام بدراسات مقارنة بين كنون وبين أعلام عصره من رجالات الفكر الإسلامي والدعوة الإسلامية والعمل الإسلامي العام في الوطن العربي والعالم الإسلامي من الذين وثقت صلتي بهم ؛ قارئًا لكتبهم ومتتبعا لآثارهم ودارسا لاتجاهاتهم ومحلّلا لمواقفهم . وبذلك استطعت ـــ بفضل الله أولا ، ثم بسبب قربي من عبد الله كنون واحتكاكي به واطلاعي الواسع على آثاره المنشورة في الكتب أو المبثوثة في الصحف والمجلات ثانيا ـــ أن أدرس شخصية هذا المفكر الإسلامي الكبير في إطار عام هو المقارنة بين مدرسته وبين مدارس الفكر الإسلامي السياسي بصفة أخص ، محدّدًا موقعه من تيارات هذا الفكر واتجاهاته ومدارسه .

ولقد وجدتني بعد التعمق في البحث أمام شخصية إسلامية فكرية وسياسية من طراز فريد ، تجمع بين مدرسة القديم المحافظة على الأصول والمنتمية إلى السلفية والمتصلة أسبابها بعصر اليقظة الإسلامية في أواخر القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين ، وبين مدرسة الجديد التي تأخذ بما لا يتعارض من أساليب العصر وفكره وروحه مع جوهر الدين ونقائه وسماحته وحقيقته ، كل ذلك في إطار من الاستقلال بالرأي والاعتزاز بالانتماء والتعلق بقيم الإسلام والعروبة مع التمسك بمبدأ التسامح والانفتاح الواعي والرشيد على آفاق المعرفة ، وأبعاد الثقافة والحضارة الإنسانيتين .

ولقد أعانني على تحديد موقع عبد الله كنون من الفكر الإسلامي السياسي

الحديث ما أعتز به من الإحاطة الشاملة والواسعة والعميقة بآثاره ودراستي الطويلة لشخصيته وفهمي العميق لدوافعه وحوافزه ، والعوامل الذاتية والعقلية والنفسية التي كانت وراء كل موقف اتخذه وكل رأي عبر عنه وكل فكرة تبناها وكل دعوة صدع بها ؛ وأحسب أني أفدت كثيرا من طول اعتكافي على كتب كنون وتتبعي لمسيرته الفكرية ومراجعاتي للنشاط الصحافي والتربوي والثقافي والعلمي الذي قام به منذ مطالع العشرينيات ، وذلك في المجموعات الصحافية التي أمكنني أن أرجع إليها ، والتي أمتلك منها قدرًا لا بأس به ، للوقوف على البدايات الأولى لتفتّح نبوغ كنون وظهور نجمه في سماء الثقافة والفكر في المغرب وفي الوطن العربي والعالم الإسلامي .

ولم أشأ أن أسلك سبيلا مطروقة في الدراسة التي قمت بها للفكر الإسلامي السياسي عند عبد الله كنون ، واخترت ، عن يقين واقتناع شخصيين ، أن أنطلق بلا قيود في الكشف عن جوانب التفرد والتميز في فكر عبد الله كنون ، فلم أخضع لمنهج محدد في الدراسات المقارنة لسببين اثنين ؛ أولهما هو أني لم أُعْنَ بعقد مقارنة بالمعنى المتداول بين شخصية كنون وبين شخصيات شاركه أصحابها في العمل الإسلامي الفكري العام فلم يكن هدفي سلوك هذا الاتجاه الأكاديمي التقليدي ، وإنما قصدت إلى إبراز السمات المميزة لكنون ، وإن ما جاء من مقارنة بينه وبين غيره اقتضاه سياقُ البحث ولم يكن مقصودا في حد ذاته ، لأن إنجاز هذه المهمة العلمية كان من شأنه — فيما أحسب — أن يصرفني عن الغاية التي قادني البحث إليها والتي أردت أن أنتهي إلى بلوغها . وثانيهما هو أني لم أشأ أن أخرج عن طبيعتي التي اكتسبتها من عملي بالصحافة لمدة تزيد عن عشرين عاما . ولذلك لم أفتعل أو أتصنع ، وإنما أطلقت لقلمي العنان غير متقيد إلا بالفكرة الأساسية التي ملكت عليّ نفسي ، وهي إيفاء عبد الله كنون حقَّه كاملاً غير منقوص داخل إطار الفكر الإسلامي الحديث في جوانبه السياسية ، بما يقتضي ذلك من إبراز شخصيته المتميزة كمفكر إسلامي سياسي له مواقفه وآراؤه التي تنتمي إلى الفكر الإسلامي السياسي الحديث .

وأنا أعلم بحكم صلتي الروحية والفكرية بعبد الله كنون أن الجانب السياسي

لا يشكل إلا جزءا محدودا من شخصيته المتكاملة ، فهو فقيه ضليع ، وعالم متمكّن ، ومفسر لكتاب الله ، وراوٍ لحديث نبيّه ، ولغوى متبحر ، وشاعر فحل ، وكاتب قدير ، وأديب مبدع ، وصحافي احترف الصحافة سنوات من عمره كاتبا ومسئولا ، وداعية حكيم ؛ ولكن الجانب السياسي هو عندي أبرز الجوانب في شخصية كنون وأكثرها إثارة لفضول الدارسين وأحقها بتسليط الأضواء عليها . وهذا ما دفعني إلى دراسة فكر عبد الله كنون ووضعه في الموقع الذي يستحقه في ساحة الفكر الإسلامي السياسي الحديث .

لقد كان اهتمامي في هذا الكتاب منصبا على إبراز مواقف عبد الله كنون من القضايا الأساسية التالية :

أولا : العلاقة بين الإسلام وبين مذاهب العصر وأيديولوجياته .

ثانيا : الموقف من الدستـــور .

ثالثا : الموقف من الحكم النيابي .

رابعا : الموقف من اشتغال المرأة بالسياسة .

خامسا : الموقف من الجامعة الإسلامية والخلافة .

سادسا : مفهوم الدولة الإسلامية ومجال اختصاصاتها .

وهذه الموضوعات بقيت زمنا طويلا ولاتزال تثير الجدل في المجتمعات العربية الإسلامية وتشكل في مجموعها إحدى المعضلات الفكرية والسياسية القابلة للأخذ والرد .

وانطلاقا من الدراسة التي قمت بها فإن هذا الكتاب يبيّن لنا بوضوح كيف أن العالم المسلم والمفكر المسلم والداعية المسلم رجلُ سياسة له مدرسته التي تتميز عن المدارس السياسية السائدة ، ويظهر بجلاء كيف أن الإسلام ليس طقوسا وشعائر ومناسك فحسب ، ولكنه سلوك ومعاملة ومنهج حياة متكامل مترابط يأخذ بعضه بأسباب بعض في انسجام وتلاؤم ، وفي رحمة وعدل وسلام .

وعبد الله كنون طرازٌ فريدٌ من العلماء ، وهو المفكر الإسلامي الذي مارس السياسة من موقع الاعتزاز بالانتماء إلى حضارته وتراثه وتاريخه الذي علَّم الدنيا كيف تُقام الدول وتُساس المجتمعات وتُصنع الحضارات . وهو بذلك شخصية مغربية عربية إسلامية جديرة بالتقدير ، قَمِينَةٌ بالدراسة ، حقيقة بالتأمل ؛ ولعلَّ قيمة كنون تكمن في أن المعارك التي خاضها والمواقف التي اتخذها والآراء التي دعا إليها لا تزال معارك قائمة ومواقف مستمرة وآراء صالحة لحل مشكلات الحاضر وقضايا المستقبل ، لأنها من الإسلام الحق ، المُصَفَّي ، المُبَرَّإ من الهوى والغرض .

صحَّ مني العزم على إصدار كتاب شامل يكون مدخلا إلى عالم عبد الله كنون قبل سنوات مضت ، وذلك بعد أن توفرت لي المعلومات والمراجع والمصادر الأساسية بالقدر الذي أتاح لي الاطلاع الواسع على آثار الرجل ومواقفه وجوانب عديدة من حياته . فإلى جانب المؤلفات المطبوعة التي بذلت جهدا في الحصول عليها لاستكمال مكتبة عبد الله كنون ، اتجه اهتمامي منذ وقت مبكر إلى البحث في المكتبة العربية عن المصادر التي عنيت بترجمة هذا المفكر المغربي الكبير ، واهتمت بتقديمه للقارىء العربي والتعريف بشخصيته وبأعماله . وعلى الرغم من أن المحصول الذي ظفرت به قليل بالنظر إلى مستوى عبد الله كنون فإنه يمثل جميع ما صدر عنه من تراجم ودراسات وإفادات وتعريفات ، يستثنى من ذلك المؤلفات ذات الطابع المدرسي التي لم أدخلها في هذا الموضوع ، هذا إلى التنقيبات التي قمت بها في بطون الدوريات والصحف القديمة التي كان لكنون صلة بها لاستجلاء صورة العصر الذي عاش فيه وللوقوف على آثاره في مصادره الأولى ، فتجمعت لدي حصيلة من المعارف عن كنون أضفتها إلى ما أعرف عنه شخصيا بحكم الاتصال والتلمذة والاقتراب منه والعكوف على دراسة كتاباته ومتابعة نشاطاته والإلمام بقدر لا بأس به من أخباره وأحواله وشئونه . ووجدتني ، وقد امتلأ وفاضي ، أنكبُّ على تأليف هذا الكتاب الذي أقدمه للقراء كرؤية من الداخل لعالم عبد الله كنون ، فيها الصدق والأمانة والنزاهة ، ولكن فيها أيضا الحب الإنساني الراقي لهذه الشخصية التي خدمت الفكر والعلم والدعوة والثقافة والأدب وعاش صاحبها مجاهدا بالقلم وبالرأي الوطني

الإسلامي من أجل عزة الإسلام وشرف العروبة وكرامة الإنسان وحرية الوطن .

وأنا أتطلع إلى أن أكون بعملي هذا قد قدمت دليلا للباحثين والدارسين والمهتمين بالشخصيات المغربية يقودهم في يسر إلى فكر عبد الله كنون ، وثقافته ، وجهاده ، ومواقفه ، وحياته ، وآثاره ، وأسرته ، أصدر في ذلك عن اقتناع عميق بأهمية الدور الذي قام به كنون في خدمة الثقافة العربية الإسلامية والذود عن الإسلام والعروبة والمغرب وأوطان العرب والمسلمين في كل مكان . بل لا أخفي أني أنطلق أساسا من محبتي العميقة لهذا الرجل الذي ارتبطت به عقليا ووجدانيا فأكبرت فيه قيم النبل والشهامة والمروءة والشجاعة إلى جانب مكارم الأخلاق التي يعزُّ نظيرها في هذا العصر . وأرى أن هذا الكتاب بقسميه الأول عن الفكر السياسي عند كنون والثاني عن عالم كنون الخاص ومحيطه الفكري وحياته الثقافية وجهاده ومواقفه أقل ما يمكن أن أقدمه وفاء للرجل المفكر العالم الداعية المربي والمؤسس الذي تَتَمَثَّلُ فيه خصائص الحضارة المغربية الإسلامية العربية .

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

الرباط في : محرم 1412 هـ .
يوليو 1991 م .

عبد القــادر الإدريسي

عبد الله كنون : معالم حياة

ـــ 1908 ـــ (30 شعبان 1326) ـــ ولد بفاس .

ـــ 1913 ـــ انتقل مع أسرته إلى الإقامة بطنجة .

ـــ 1932 ـــ تزوج من كريمة الفقيه محمد بن تاويت من أعيان طنجة .

ـــ 1936 ـــ (فاتح ذي القعدة 1355) أنشأ مدرسة إسلامية للبنين والبنات بطنجة .

ـــ 1938 ـــ أصدر كتابه الشهير (النبوغ المغربي في الأدب العربي) .

ـــ 1939 ـــ نال الدكتوراه الفخرية من جامعة مدريد المركزية .

ـــ 1945 ـــ أنشأ المعهد الإسلامي بطنجة وتولى إدارته إلى سنة 1953 .

ـــ 1948 ـــ عين مديرا لمعهد مولاي الحسن للأبحاث بتطوان .

ـــ 1949 ـــ عين أستاذا بالمعهد الديني العالي بتطوان [1] .

ـــ 1953 ـــ التحق للإقامة بتطوان على أثر أحداث 20 / 8 / 53 .

ـــ 1955 ـــ عين وزيرا للعدل في الحكومة الخليفية بمنطقة شمال المغرب (تطوان) (21 / 1 / 55) .

ـــ 1955 ـــ عين عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق .

ـــ 1955 ـــ قدم استقالته من الوزارة على إثر عودة الملك محمد الخامس إلى أرض الوطن في 16 / 11 / 1955 .

---

(1) تأسس في 17 شوال 1363 الموافق 14 أكتوبر 1944 وتولى عمادته الفقيه أحمد بن الطاهر الزواقي ، وكان مقره بالمصلى القديمة رقم 42 .

— 1956 — عين عاملا على طنجة وقام بتصفية النظام الدولي بها .

— 1957 — ترأس وفد الحج المغربي الرسمي .

— 1960 — عين وكيلا لمجلس الدستور .

— 1961 — انتخب أمينا عاما لرابطة علماء المغرب وبقي في هذا المنصب إلى وفاته .

— 1961 — انتخب عضوا عاملا ممثلا للمغرب في مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

— 1969 — نال وسام الكفاءة الفكرية الكبرى من جلالة الملك الحسن الثاني .

— 1969 — ترأس وفد الحج المغربي الرسمي (للمرة الثانية في سابقة لم تتكرر) .

— 1970 — اختير للمشاركة في تأليف كتاب تاريخ الأدب العربي لجامعة كمبردج بإنجلترا إلى جانب جماعة من أساتذة هذه الجامعة .

— 1974 — عين عضوا بالمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة .

— 1975 — عين عضوا في لجنة تحرير (الموسوعة العربية للقرن العشرين) ببيروت .

— 1981 — عين عضوا عاملا في أكاديمية المملكة المغربية .

— 1981 — عين رئيسا للمجلس العلمي الإقليمي بطنجة .

— 1981 — عين عضوا بالمجلس العلمي الأعلى الذي يرأسه جلالة الملك الحسن الثاني .

— 1983 — عين عضوا في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت بعمان — الأردن) .

— 1989 — (9 يوليو) انتقل إلى الرفيق الأعلى .

القسم الأول

عبد الله كنون وموقعه
في الفكر الإسلامي السياسي الحديث

تمهيد

يقف عبد الله كنون في طليعة رجالات الفكر الإسلامي في القرن الرابع عشر ومطالع القرن الخامس عشر الهجري بشخصيته الفذّة ، وبأصالة فكره وبموقعه العقلي المتميز وبموقفه السياسي الثابت من قضايا عصره ومشكلاته ، ومن التحديات التي واجهت أمته ، ومن المخاطر التي هددت ولاتزال تهدد العالم الإسلامي سياسيا واقتصاديا وثقافيا وقضائيا ، وأدبيا وتربويا .

شارك كنون في صياغة اتجاهات جديدة في الفكر الإسلامي السياسي بما أضافه إلى المكتبة الإسلامية من مؤلفات وبما خاضه من معارك في الصحافة التي أنشأها ، وبما كان يمّد به الصحف والمجلات في المغرب والمشرق من أبحاث أصيلة ومقالات جريئة تكشف عن رؤية متكاملة إلى العصر ، وتعبر عن موقع متقدم في ساحة الفكر والسجال على مستوى معالجة المشكلات الكبرى التي تعاني منها الأمة الإسلامية ، وربط نفسه بقضايا التحرر والاستقلال في امتدادهما السياسي والثقافي والاقتصادي والتشريعي ، وانحاز إلى موقف الدفاع عن حرية الإنسان المسلم وحقه في العيش الكريم إنفاذًا للمشيئة الإلٰهية التي كرمت بني آدم ورفعت منزلتهم بين خلق الله أجمعين . ولم يتردد قط في نصرة هذه القضايا بالأسلوب الحكيم الذي أُثِرَ عنه وعرف به فكان قلمه مجندًا لخدمة قيم الخير والحق والعدل ، وكان صوته منَدّدا ، على الدوام ، بالظلم وبالعسف وبالقهر وبالباطل .

ولقد تميز كنون بخصوصيات جعلت منه مفكرًا إسلاميا عزيز المثال في طبقته الراقية من كوكبة المفكرين الإسلاميين التي عرفها القرن الماضي بدءا من جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومرورا بمحمد رشيد رضا وبشكيب أرسلان وبحسن البنا وانتهاءً بأبناء جيله الذين عاشرهم وامتدت بينه وبينهم أسباب المعرفة الشخصية أو الزمالة الفكرية أو اللقاء على طريق الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبالعلم

والحلم ، وبالوعي والرشد ، وبعزة نفس وعلو همة .

لقد جاء عبد الله كنون في أثر الرواد الكبار الذين وضعوا أسس النهضة الإسلامية ، ونشأ ، كأبناء جيله ، في كنف مدرسة اليقظة التي حمل رجالها مشاعل التنوير ، ومهدوا عبر مراحل طويلة للصحوة الإسلامية التي اقترن بزوغ فجرها بطلوع القرن الخامس عشر ، وكان كنون من أعلامها الكبار وقادتها البارزين .

كانت مدرسة الشيخ محمد عبده ذات تأثير قوي في البيئة المغربية والعربية حين قدر لكنون أن يتبوأ مقعده في مقدمة العاملين في حقول الدعوة الإسلامية ، ولم تكن دعوة أبي شعيب الدكالي وعبد الله السنوسي التي ترددت في ربوع المغرب إلا صدى لدعوة محمد عبده التي هي الترجمة الواقعية لفكر جمال الدين الأفغاني . كما لم تكن مدرسة محمد رشيد رضا التي عاش كنون في أجوائها وعاشر ازدهارها قبل وفاة صاحبها إلا امتدادا لدعوة محمد عبده مع اختلاف في الإطار العام وتباين في الأسلوب . فلقد كانت لمجلة (المنار) التي أصدرها محمد رشيد رضا في سنة 1898 بالقاهرة آثار بعيدة الغور امتدت من المغرب إلى أندونيسيا ، مما مكن لفكر محمد رشيد رضا وعَمَّق أثره في مختلف الأوساط ، فكان امتداد أثر هذا المفكر الإسلامي الكبير مرتبطا بظهور الصحافة الإسلامية وانتشارها في جميع أنحاء العالم الإسلامي . وهو ما لم يتوفر لمحمد عبده ولجمال الدين الأفغاني ولم تدركه مجلتهما (العروة الوثقى) التي أصدراها في باريس في فترة سابقة . فلم يتعد أثر (العروة الوثقى) بعض العواصم العربية والإسلامية ، ولم يطل صدورها حتى تحقق الانتشار الواسع فلم تزد الأعداد الصادرة منها على ثمانية عشر عددا ، بينما امتدت (المنار) ـــ مؤثرة متغلغلة فاعلة في الحياة العقلية والسياسية ـــ أزيد من ثلاثين سنة ، فتم لها بذلك الذيوع والانتشار ، وتهيأت لها أسباب التأثير القوي في الفكر والثقافة والسياسة بالرغم من أنها لم تكن مجلة سياسية بالمفهوم المتعارف عليه .

ولقد استوعب كنون أثر المدرستين ، واستجاب لدعوة المجلتين ، وهضم الفكر الإسلامي الحي الذي كانت المجلتان تتبنياه ، وكانت أصداؤه تتردد في الأوساط

التعليمية وعلى صفحات الجرائد والمجلات وعلى ألسنة قلة من العلماء الذين تعرفوا على الفكر الإسلامي المستنير السائد في المشرق العربي .

إذا قسنا الآثار المترتبة على دعوة الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا بمقياس عصرنا نجد أن الخط البياني لأفكار الرجال الثلاثة سار دائما في اتجاه متصاعد ومطرد . ويمكن القول إن تطور الفكر الإسلامي السياسي الحديث الذي تبلور بصورة واضحة في فكر حسن البنا وشكيب أرسلان وعبد العزيز الثعالبي وعلال الفاسي ومحمد إقبال وأبي الأعلى المودودي وعبد الحميد بن باديس ، مثلا يعود في جذوره الأولى إلى القادة الثلاثة الذين لعبت المجلتان (العروة الوثقى) و (المنار) دورا مؤثرا في نشر دعوتهم والتمكين لها في الحياة الفكرية والسياسية للمسلمين . ولذلك ، فلا مندوحة عن القول بأن الفكر الإسلامي السياسي عرف تطورا طبيعيا في القرن الرابع عشر الهجري وبلغ مستوى رفيعا من هذا التطور في مطالع القرن الخامس عشر . وقد مرت هذه الرحلة بمحطات كثيرة كان منها منهج (التوفيق) بين الآراء والاتجاهات المختلفة ، وكان منها صيغة (التبرير) للمواقف والالتزامات ، وكان منها اتجاه (الاستقلال) في الفكر والتصور والرأي والموقف من العصر . ونحن نضع عبد الله كنون في الخانة الأخيرة لما امتاز به من استقلالية في الفكر ، ومن شجاعة في الرأي ، ومن الجرأة في اتخاذ المواقف والتعبير عنها . فهو وإن كان ابن مدرسة اليقظة وجذوره تمتد مع جذور الأفغاني وعبده ومحمد رشيد رضا والألوسي وابن باديس والثعالبي وعلال الفاسي وحسن البنا وشكيب أرسلان والبشير الإبراهيمي والمودودي ، فإنَّ له موقعًا بالغ التميز بين هذه الكوكبة من أعلام الفكر الإسلامي الحديث دون أن يكون في هذا التميز ما ينال من قدره أو ينزله عن مكانته أو يطعن في قيمته كصاحب رأي حر يستقيه من فهمه الخاص لوظيفة الدين في تنظيم حياة الناس وتصريف شئونهم .

إن منزلة عبد الله كنون بين أعلام الفكر الإسلامي السياسي ترق به عن مستوى عالم ودرجة داعية ومقام كاتب ومصلح ومجاهد بالكلمة المؤمنة في سبيل إعلاء كلمة الله ، إلى مستوى أرفع يتمثل في الرأي الإسلامي المستقل ، وفي الموقف الفكري المتفرد ، وفي الدور الثقافي الذي عاش حياته متحملا تبعاته في كل الظروف .

الفصــــل الأول

الموقف الفكري في قضايا العصـــر

1) اتجاهات عـامة

لعل أول ما يصادفنا ونحن نستعرض الملامح العامة للفكر الإسلامي السياسي الحديث أن هناك اتجاهات ومدارس ارتبطت بالأشخاص أكثر من ارتباطها بالفكرة ، وكانت في معظمها ردود فعل ولم تكن بمواقف فكر ثابتة ، ولذلك فسرعان ما اعتراها التغير وعرفت التحول تحت دعوى مسايرة الظروف والاستجابة لتحديات المرحلة التاريخية . ومن أجل ذلك نجد فرقا أساسيا بين الأفغاني وعبده وبين محمد رشيد رضا ، وفرقا جوهريا بين هؤلاء الثلاثة ، وبين حسن البنا ، وفرقا ثالثا بين مدرسة البنا وبين مدرسة شكيب أرسلان ، ثم يواجهنا فرق رابع بين هذه الاتجاهات والمدارس وبين ما كان عليه الثعالبي والمودودي وابن باديس والإبراهيمي . وأخيرا يطالعنا اختلاف تكتيكي بين مدرسة الفكر الإسلامي السياسي التي تتمثل في هؤلاء جميعا وبين الفكر الإسلامي السياسي الذي واكب الحركة الوطنية المغربية ذات الجذور الإسلامية والمنطلقات السلفية والذي تبلور بصورة خاصة في كتابات قائدين من قادة هذا الفكر هما علال الفاسي وعبد الله كنون .

ولسنا هنا بصدد المقارنة بين علال وبين كنون ، فلقد كان الرجلان ينهلان من منبع واحد ، ويصدران عن فكر موحد في أصوله ومبادئه ، وإن كان يختلف من حيث الشكل العام والإطار الخارجي . ذلك أن الرجلين ينتميان إلى مدرسة اليقظة الإسلامية التي تأسست في المشرق العربي في مطالع القرن الهجري الماضي ، فلقد خرجا من جامعة القرويين ، وتشربا بروح الثقافة الإسلامية ، وانفتحا في وقت مبكر على الحياة السياسية والفكرية في مصر والشام ، ونالا حظا من التحصيل العلمي المتين فاقا به أقرانهما حتى صارا علمين من أبرز أعلام الفكر الإسلامي في بلادهما .

وإذا كان علال اتجه نحو العمل السياسي المباشر منذ وقت مبكر ، ونبغ في هذا المجال وتفوق على أبناء جيله ، وأحرز بملكاته وبمواهبه وباستعداده الفطري وبتكوينه العميق قصب السبق في هذا المضمار ، وتَصَدَّر الصفوف ليكون زعيما سياسيا وقائدا فذا من قادة العمل الوطني المغربي ، فإن كنون نزع نحو ميادين أخرى ، وظفر فيها بما لم يظفر به جيله ، حتى صار علما من أعلام الثقافة العربية الإسلامية في المغرب ، وإن كان هذا التباين في الاتجاه لا يبخس أحدهما حقه ، ومسألة التباين هنا تعبير اصطلاحي ليس إلا .

والربط بين كنون وبين علال الفاسي يأتي من أن كلا الرجلين خلف آثارا فكرية سياسية تمثل اتجاها في الفكر الإسلامي السياسي الحديث . لقد نشر علال مجموعة كتب تكشف عن رؤية شمولية للواقع ، وتوفر لدارسيها والباحثين فيها أداة عقلية تحليلية لفهم الواقع الخاص والعام على المستويين الوطني المغربي والعربي الإسلامي . ويتمثل ذلك بالدرجة الأولى في الكتب التالية :

1 ــ النقد الذاتي .

2 ــ مكارم الشريعة الإسلامية ومقاصدها .

3 ــ دفاع عن الشريعة .

لقد كان الكتاب الأول فصولا نشرها علال متتابعة في جريدة (رسالة المغرب) التي كانت في الأصل مجلة يديرها محمد غازي ، ثم تحولت إلى صحيفة قبل أن تعود إلى سيرتها الأولى في حجم متوسط بعد أن التحق بها عبد الكريم غلاب رئيسا للتحرير في مطلع الخمسينيات . وتعبر هذه الفصول ، التي ضُمَّت إلى بعضها لتصدر في كتاب فيما بعد ، عن ريادة فكرية واقتحام جسور لقضايا العصر من منطلق إسلامي غير مسبوق . ولذلك فإن ملامح الفكر الإسلامي السياسي تبدو جلية في (النقد الذاتي) باعتبار خلفية مؤلفه وموقعه في ساحة الدعوة والعمل الإسلامي وشجاعته في تناول موضوعات رائدة .

أما كتاب (المكارم) فهو في الأصل محاضرات جامعية . وهو وإن كان كتابا

أكاديميا ينحو منحى تعليميا ، فإنه يتضمن رؤية المؤلف إلى وظيفة الشريعة الإسلامية وإلى مقاصدها في إقامة العدل والتكافؤ والتكافل وتحقيق التوازن النفسي والاجتماعي في المجتمع . وهو كتاب يكشف عن أصالة فكر علال وعلوّ مقامه في مضمار التأصيل الفكري . وهو جليل القدر في هذا المقام .

ويشترك (دفاع عن الشريعة) مع (المكارم) في أنهما مجموعة محاضرات ، وإن كانت محاضرات الكتاب الأول عامة وليست جامعية ذات نسق تعليمي ؛ ولكنه كتاب متفرد في باب تجديد الفكر الإسلامي السياسيُّ بقدر ما هو رائد في هذا المجال على المستوى الوطني المغربي ، فلم يصدر كتابٌ يماثله في هذا المنحى .

ويلتقي كنون مع علال الفاسي في العديد من المواقف في الدفاع عن قيم الإسلام وفي إبراز خصوصية الموقف الإسلامي إزاء مشكلات الحضارة وقضايا العصر . ويمثل فكرَ عبد الله كنون بصفة أخص في هذا المجال الكتبُ التالية .

1 ــ مفاهيم إسلامية .
2 ــ إسلام رائد .
3 ــ الإسلام أهدى .
4 ــ شئون إسلامية .
5 ــ قضايا إسلامية .
6 ــ معارك .
7 ــ جولات في الفكر الإسلامي .

أما الكتب الأخرى مثل (الرد القرآني) و (فضيحة المبشرين) فإنها تعنى بموضوعات محددة ليس فيها تأصيل فكري لموقف سياسي ينطلق من منظور إسلامي . إنَّ فكر كنون يتجلى بوضوح كامل في هذه الكتب السبعة ؛ ولكن كتابا واحدا يختزل رؤية المؤلف ويضم خلاصة فكره . والكتاب هو : (إسلام رائد) الذي نشر ثلاث مرات ، وهو الوحيد بين كتب كنون الذي لم يسبق أن نشر مقالات متفرقة في الصحافة على غرار الكتب الستة الأخرى .

ويبدو كنون في (إسلام رائد) مفكرا إسلاميا سياسيا يخوض في القضايا السياسية ويغوص في مذاهب العصر ويحلل أيديولوجياته ويناقش الأفكار الكبرى التي تعرفها هذه الحقبة من التاريخ في المجالات السياسية والاقتصادية . وفي هذا الكتاب يختلف كنون عن علال الفاسي من جهة ، وعن حسن البنا ومدرسته من جهة ثانية ، وعن الأفغاني وعبده ورشيد رضا من جهة ثالثة ، وهذا هو موطنُ تميزِ الفكر الإسلامي السياسي عند عبد الله كنون .

يفصل كنون رأيه بالوضوح الكامل في مذاهب العصر من قومية وديمقراطية واشتراكية ورأسمالية . ويبني وجهة نظره على أساس أن الإسلام ليس رأسماليا ، كما أنه ليس اشتراكيا ، لأن الرأسمالية والاشتراكية إذا كانتا مذهبين متقابلين ، فإن الإسلام غيرهما معا ولا يقابل مذهبا منهما على انفراد ، ولذلك لايلزم من نفي صفة الاشتراكية عنه أن يكون رأسماليا [1].

2) الموقف من الرأسمالية

يحدد كنون الموقف الفكري بكل دقة فيقول في الفصل الذي خصصه للرأسمالية : « لقد توهم بعض الناس من حماية الإسلام للملكية الفردية أن نظام الاقتصاد في الإسلام نظام رأسمالي ، وربما يتوهم بعضهم من نفينا لأن يكون الإسلام يجامع الاشتراكيةَ أنه لا يتنافى مع الرأسمالية . وكلا الأمرين خطأٌ بين ؛ فإنه لا يلزم من حماية الإسلام للملكية الفردية أن يكون رأسماليا . إن الإسلام يحمِي الملكية الشرعية المستفادة من الكسب غير المدخول ، غير المبني على الضرر والأذى كاستغلال جهود العمال ، وبخس الناس أشياءهم ؛ ومن ثم حرم القراض في السلع والعروض ، وجعله في المال خاصة ، ولم يجعل على العامل فيه ضمانا ،

---

(1) إسلام رائد ، ط 2 (المطبعة الملكية ـــ الرباط) ، ص 84 .

وحرم الصرف بالتأخير ، وحرم تطفيف الكيل والميزان في البيع واستيفاءهما في الابتياع ، وحرم الغش والضرر ، وحرم الغبن ، وجعل للمغبون الحق في القيام على غابنه ، إلى غير ذلك مما يجرد الكسب من كل صفة نفعية تحللية ، وإلا فإنه لا يقره ، وبالطبع لا يحمي الملكية الناشئة عنه »[2] .

3) الموقف من الديمقراطية

ويجرد كنون الديمقراطية من كل مزية ويكشف زيفها من وجهة نظره ويبين عجزها عن تحقيق مجتمع الأمن والعدل والكفاية . وهو هنا يختلف إلى حد بعيد مع قطاع واسع من المفكرين الإسلاميين والمشتغلين بالعمل الإسلامي العام وبقضايا السياسة الشرعية ، ويُرْجِعُ هذا الفشل إلى بداية دخول الديمقراطية إلى البلاد الإسلامية ، ويقول في هذا الصدد : « ابتدأ العمل بتطبيق الحكم الديمقراطي في دولة الخلافة العثمانية سنة 1908 ، وكانت ماتزال تحتضن بلاد العرب وبعض شعوب البلقان ، وكان الاعتقاد أن سيادة الديمقراطية ستحمي هذه الدولة من التفكك ، ولكنها لم تغن شيئا عن المصير المحتوم الذي كان مقدرا لها ؛ فقد تتابعت الثورات في تركيا نفسها على الخليفة عبد الحميد الثاني الذي كان آخر من حكم هذه البلاد بجد وحزم ، وفي بلاد البلقان والبلاد العربية ، وانتشر ذلك السلك ، وصارت تركيا دولة صغيرة تحكم ظاهرا بالنظام الديمقراطي ، وواقعا بالديكتاتورية العسكرية التي نهج سبيلها أتاتورك بعدما ألغى الخلافة وأعلن فصل الدين عن الدولة ، وأعطى أعظم مثال على أن الديمقراطية خدعة سياسية لا غير »[3] .

فهذا الموقف الصارم الذي يعد من أبرز مذاهب العصر والذي يقول به عديد من مفكري الإسلام ويناضلون من أجل إقراره كأسلوب لممارسة الحكم بما أنزل الله ،

---

(2) إسلام رائد ، ص 82 .

(3) إسلام رائد ، ص : 69 — 70 .

وضع عبد الله كنون في صف المفكرين الإسلاميين المنتقدين بقوة وشجاعة لأمر يكاد يكون فوق مستوى الشبهة . وفي تقديري أن هذه شجاعة أدبية ، تحسب لكنون لأنه خرج عن المألوف سواء على المستوى المحلي أو على الصعيد العربي والإسلامي ، وهو « اجتهاد » قد يختلف الإنسان مع صاحبه وقد يتفق .

ويقول كنون : « لقد صار الأمر في البلاد العربية من الديمقراطية المزعومة إلى الديكتاتورية المفروضة ، مما أدى إلى عديد من الانقلابات السياسية والعسكرية ، وانعدام الاستقرار بتاتا ، ولا سيما بعد قيام دولة إسرائيل » (4) .

ويمضي كنون في كشف عورات الديمقراطية التي صارت محور كفاح قطاعات واسعة من المفكرين والمشتغلين بالعمل العام ، فيبرز أن المبدأ الأساسي الذي يقوم عليه هذا المذهب هو أن الشعب مصدر السلطة بجميع أنواعها ؛ من تشريعية وقضائية وتنفيذية ، وأول ما يصطدم به هذا المبدأ ما تقرر في الشرع الإسلامي من أنه لا حكم إلا لله ؛ فالمشرع في جميع الأحوال هو الله عز وجل على لسان رسوله المبلغ عنه (5) .

ويقول كنون في الرد على هذا المبدأ من مبادئ الديمقراطية : « إن القرآن أمر بالرد إلى الله والرسول أي إلى الكتاب والسنة ، وما استنبط منهما من أحكام بالنص أو القياس ، ولم يقل فردوه إلى الشعب ، فالشعب لا يعتبر مصدر تشريع في الإسلام » (6) .

---

(4) إسلام رائد ، ص : 70 .

(5) إسلام رائد ، ص : 70 — 71 .

(6) إسلام رائد ، ص : 71 .

4) رأيه في مبدأ (الشعب مصدر السلطات)

ويصل كنون إلى مفصل المسألة برمتها وينهي ألقول حول المبدأ الديمقراطي (الشعب مصدر السلطات) ، فيوضح أن حكم الشعب في هذا المذهب لا يعنى باعتراف الإجماع الشعبي ، لأنه أمر يكاد يكون مستحيلا ، وإنما يقصد به حكم الأغلبية ، وقد أصبح من المسلم به أن هذه الأغلبية أيضا إنما هي أغلبية نسبية ، وذلك أن التنظيمات الحزبية التي تعمل على تطبيق هذا الحكم غالبا ما تتعارض ، فالذي يحصل منها على أغلبية الأصوات هو الذي يحكم ، ويبقى التنظيم الحزبي المعارض لها خارجا عن الحكم ، ثم إن هناك الأكثرية الكاثرة من الشعب التي لا تنتسب إلى أي حزب من الأحزاب ، فهؤلاء كلهم يكونون خارج الحكم ، وعليه ضِدّاً كما هو المشاهد فكيف يقال : إن هذا الحكم حكم شعبي ولو بالأغلبية ؟ » [7] .

وإلى هنا يكون عبد الله كنون وصل إلى نقطة الاختلاف الأساسية مع مدارس الفكر الإسلامي السياسي الحديث التي تقول بالأسلوب الديمقراطي مثل مدرسة الإخوان المسلمين في مصر ومدرسة الجماعة الإسلامية في باكستان ومثل المدرسة السياسية الوطنية المغربية التي وضع علال الفاسي أسسها المذهبية وهي أسس حزب الاستقلال .

ولكن كنون ، الذي ألغى من حسابه الديمقراطية والاشتراكية والرأسمالية ، يؤكد تفتح الإسلام على الأفكار النافعة ويخصص فصلا لهذا الموضوع يقرر فيه ما يلي : [8]

---

(7) إسلام رائد ، ص : 72 .

(8) إسلام رائد ، ص 92 .

أولا : إنه لا يلزم من معارضة الإسلام للمذاهب المذكورة أنه دين منغلق ، فليست هذه المذاهب هي كل الأفكار الإنسانية والمناهج الحياتية حتى تكون معارضتها معارضة للتطور وسدّا للباب في وجه التجدد والانفتاح .

ثانيا : إن من أكبر الأدلة على بطلان الانغلاق المزعوم تلاقي الإسلام وهذه المذاهب ذاتها في بعض النظريات والتشريعات ، حتى ادعى كثير من المفتونين بها أنها والإسلام سواء ، فصاروا يصفون الإسلام بالديمقراطية أو الاشتراكية مثلا ، فهل يجب أن يذوب الإسلام في هذه المذاهب ؟ .

وينتهي كنون إلى القول حسمًا للجدل في هذا الموضوع الدقيق وإبرازًا لخصوصية الإسلام كمنهج سياسي للحياة الإنسانية : « إنَّ الإسلام عقيدة وشريعة ، والعقيدة تشمل الشعائر التعبدية ، والشريعة تشمل قواعد السلوك والأخلاق . وإن عقيدة الإسلام لا يعتريها تبديل ولا تغيير ، وأما الشريعة فمنها أصول وفروع ، ومنها ما يتعلق بالأحكام العملية وما يتعلق بالسلوك والمجتمع . فالأصول لا تبديل فيها ولا تغيير ، والأحكام ما كان نصا ظاهرا لا غموض فيه فهذا لا يتغير اليوم ولا غدا ، وتغييره تغيير لشرع الإسلام وإيمان ببعض الكتاب وكفر ببعض ، والفروع ونريد بها الأحكام الاجتهادية ، هذه إن لم تكن إجماعا ، فإنها تقبل التغيير وتتطور بحسب الزمان والمكان ، وتفتح قواعد الإسلام صدرها لكل ما جَدَّ أو حدث فيها ، فتضع له الحكم الذي يتطلبه مراعية في ذلك سماحة الدين ونفي الحرج عن الأمة »[9] .

وعلى ضوء هذا الرأي ــ وهو على كل حال رأي قابل للأخذ أو للرد ، إذ هو اجتهاد في موضع يجوز فيه الاجتهاد ــ فهلا نُدْخِلُ ضمن (مراعاة سماحة الدين ونفي الحرج عن الأمة) الأخذَ بالطرق والأساليب الحديثة للوصول إلى تطبيق أحكام الشريعة وإقامة مراسيم الدين ، ومن ذلك ، على سبيل المثال ، الأسلوب الديمقراطي

(9) إسلام رائد ، ص 94 ــ 95 .

الذي يُتيح فرصا لا يتيحها أي مذهب آخر لممارسة حق الدفاع عن حقوق العباد ونشر كلمة الحق ومواجهة الظلم والتصدي للخروج عن جادة الدين ؟ .

إن كنون الذي فصل القول في تحديد موقف الإسلام من المذاهب السياسية والاقتصادية الرائجة ، لم يشأ أن يبت في هذه المسألة بالوضوح الكامل على جلال قدرها ودقتها وحساسيتها .

إن القول بمغايرة الإسلام للمذاهب السائدة يقتضي البحث في الطرق التي تؤدي إلى تطبيق الإسلام كبديل لهذه المذاهب المهيمنة على حياة المسلمين ، فكيف السبيل إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ؟ . ما هي الوسائل العملية التي تدخل في إطار روح الإسلام العامة التي تمكن من إقامة أحكام الشريعة في المجتمعات الإسلامية ؟ .

ونستطيع أن نؤكد أن هذه الأسئلة هي قاعدة الفكر الإسلامي السياسي الحديث ، وهي محور الاتفاق أو الاختلاف بين المدارس الفكرية داخل الساحة الإسلامية . ويمكن القول إن مدرسة اليقظة الإسلامية التي قامت على أساس دعوة الأفغاني وعبده وأفكار رشيد رضا وحركة حسن البنا وأبي الأعلى المودودي ، اهتدت إلى الإجابة عن هذه الأسئلة . ويقتضينا الإنصاف أن نقول بكل الوضوح : إن علال الفاسي ، وهو المفكر الإسلامي السياسي وقائد العمل الوطني المنطلق من أسس إسلامية ، كان أشجع في المبادرة إلى تطويع الطرق والأساليب الحديثة للعمل الوطني الإسلامي ، فلم ير في الأخذ بالأسلوب الديمقراطي ما يمس جوهر الإسلام ما دامت الديمقراطيةُ أداةً يمكن تسخيرها لخدمة الإسلام ، ومادام الإسلام هو صاحب الهيمنة على هذه الأداة التي تتحققُ بها مصلحة العباد .

ولكن عبد الله كنون الذي اختار العزوفَ عن الممارسة العملية للسياسة الشرعية ، ونزع منذ وقت مبكر إلى العمل في واجهات تناسب استعداداته وميوله يرى ، المسألةَ بمنظار آخر ، وإن كان يقرر القاعدة العامة وهي (مراعاة سماحة الدين ونفي الحرج عن الأمة) ويؤكد أن الإسلام لم يوصد الباب في وجه الأفكار النافعة ، وأنه ليس ضد هذه الأفكار كما يُتوهم بل هو — كما يرى كنون — يرحب بكل ما فيه فائدة

ومصلحة للعموم ، ويتفتح على جميع النظريات والآراء الجديدة بشرط ألا يكون فيها هدم لقواعده وأصوله [10] .

فهل يعتبر الأخذ بالنهج الديمقراطي العام هدما لقواعد الإسلام وأصوله ؟ إن كنون ينطلق من حقيقة ثابتة يشترك في الاقتناع بها مع معظم مفكري الإسلام في هذا العصر ، وهي أن إضفاء صفة من الصفات على الإسلام يتنافى وطبيعة هذا الدين ، فليس الإسلام ديمقراطيا ، وليس هو بالرأسمالي ، ولا هو بالاشتراكي ، ولا هو بالليبرالي ، ولن تلصق به أية فكرة أو عقيدة سياسية أو مذهب اقتصادي سيظهر مستقبلا ، وإنما هذا الدين قائم الذات ، يعلو فوق كل أفكار البشر ومذاهبهم وعقائدهم ، وهو الإسلام وكفى . ولكنون في هذا المعنى كلام في غاية النفاسة والدقة والوضوح . ولكن المسألة المطروحة الآن هي استفادة الإسلام واستعانته بالوسائل المتاحة وصولا إلى الغايات السامية والمقاصد الكريمة التي تهدف إليها الشريعة الإسلامية دون أن تقرن تلك الوسيلة بالإسلام . ولعل هذا الأمر يدخل ضمن الإفادة من الأفكار النافعة التي هي حق متاح للبشر .

5) الموقف من الاشتراكية

وإذا كان كنون ، على صعيد آخر ، يفرق بين الاشتراكية التي تعارض التدين وتشكل نظاما سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، وهي ما يسمونه بالاشتراكية العلمية أو الماركسية ، وبين الاشتراكية الديمقراطية التي هي نظام سياسي واقتصادي فقط يسود في أكثر من بلد أوروبي ولا يتنكر للعقيدة الدينية ، بدليل وجود كثير من الأحزاب السياسية الأوروبية التي تحمل وصف الحزب الاشتراكي المسيحي ، كما أن أحزابا أخرى تحمل وصف الحزب الديمقراطي المسيحي [11] فإنه لم يضع

---

(10) إسلام رائد ، ص : 98 .

(11) إسلام رائد ، ص : 75 .

حدودا بين الديمقراطية كفلسفة وروح وأيديولوجية ، وبينها كأسلوب وأداة ووسيلة لتحقيق الأهداف التي لا تخرج عن مقاصد الشريعة الإسلامية ، وإن كان أثبت أن الفرق بين المذهبين ، الاشتراكية العلمية ، والاشتراكية الديمقراطية ليس كبيرا جدا حتى يستطيع السواد الأعظم من الناس التمييز بينهما .

وليس القصد من هذه الإشارة أن كنون غفل عن الفرق بين الحالتين المتقاربتين مع وضوح ملامح كل حالة ، وإنما القصد أن ندلل على أصالة رأي كنون وشجاعة موقفه واجتهاده الخاص في فهم مثل هذه القضايا التي هي من صميم مسائل الفكر الإسلامي السياسي الحديث . وفي هذا المقام يختلف كنون مع البنا والمودودي والترابي كأقطاب مدارس هذا الفكر ، بقدر ما يتباين موقفه بهذا الخصوص مع علال الفاسي الذي كافح من أجل الديمقراطية واتخذها وسيلة إلى تحقيق الأهداف الوطنية والإسلامية التي نذر حياته لها .

وليس هذا الاختلاف بالذي ينال من مكانة كنون الشامخة أو يقلل من قيمة أفكاره بقدر ما هو ميزة من مزاياه تعلي من مقامه كمفكر إسلامي تعامل مع قضايا العصر بفكر مستنير ، ونظر إلى الدنيا من حوله نظرة شمولية ، فلم يفهم رسالة الإسلام فهما قاصرا يحصرها في مسائل الوعظ والإرشاد والدعوة إلى الله بالأسلوب العاجز الذي لا يرقى إلى مستوى تحديات العصر والمخاطر التي تواجه الإسلام ويعاني منها المسلمون .

ولاشك أن كنون بموقفه هذا الذي خالف فيه أقطاب الفكر الإسلامي السياسي الحديث ، وبغض النظر عن الحكم لهذا الموقف أو عليه ، يُصَنَّف مع المفكرين الأحرار الذين لا يراعون الاتجاه السائد ويصدعون بالرأي الذي انتهوا إليه .

إن مقام كنون بين أعلام الفكر الإسلامي السياسي الحديث يتساوى مع مقام كوكبة المفكرين والمجاهدين بالكلمة وبالموقف ، وبالرأي وإن كان ينفرد عنهم بآرائه الصريحة في قضايا هي بطبيعتها قابلة للأخذ والرد . وليس يعني ذلك أن كنون يقف وحيدا في ساحة العمل الإسلامي بهذه الآراء التي عبر عنها بالوضوح الكامل في

كتابه (إسلام رائد) ، وفي كتب أخرى عديدة ؛ فإن أسماء كثيرة من رجالات الفكر والدعوة في المشرق والمغرب تشارك هذا الرجل الموقف ، ولكن الفرق هنا أن هذه الأسماء لا ترقى إلى مستوى الرواد الأعلام الذين سبق ذكرهم والذين تتساوى قامة كنون مع قاماتهم ، والذين دخلوا معترك الحياة العملية وخاضوا جهادا مريرا من أجل الدفاع عن أفكارهم وتطبيق برامجهم ، وتشكل هذه الأفكار والبرامج أهم ملمح من ملامح الفكر الإسلامي السياسي الحديث .

ويكشف موقف كنون من المذاهب السياسية والاقتصادية السائدة عن وعي سياسي ناضج ، فعلى مستوى إدراك حقيقة المؤامرة العالمية ضد الإسلام يرى كنون أن المعركة ضد الدين ليست معركة الأمم والشعوب [12] ، وإنما هي معركة طائفة من الناس استولوا على مقدرات بلادهم وأخذوا زمام السلطة فيها إما باستعمال القوة والعنف وإما بطريق المكر والخداع ، فاستطاعوا أن ينفذوا مخططاتهم في السياسة والاقتصاد ، وأن ينشروا أفكارهم التي تهدم دعائم المجتمع المتمدين ، لأنه لا يتلاقى ومخططاتهم المبنية على فلسفة مادية إلحادية [13]

(12) إسلام رائد ، ص : 11 .

(13) إسلام رائد ، ص : 11 .

الفصـل الثاني

في أزمة الفكر السياسي الحديث

1) شرعية الأنظمة

ينتقل كنون إلى موضوع سياسي من أبرز الموضوعات السياسية في هذه المرحلة من تاريخ العالم الإسلامي ، وهو شرعية الأنظمة السياسية القائمة في دنيا المسلمين ويحدّد بكل الدقة والصرامة الموقف الإسلامي منها باعتبارها أنظمة تقف في وجه تحقيق رسالة الإسلام فضلاً عن أنها أنظمة عميلة للاستعمار القديم منه والجديد .

وأمام هذه الظاهرة السياسية التي تشغل الرأي العام الإسلامي وتأخذ حيزا من مجال الفكر الإسلامي السياسي الحديث ، يقف كنون موقف المدافع عن حق الإسلام في أن تكون له القوامة والهيمنة والسيادة . ويمضي في فضح كثير من الزيف الذي يغطي على حقيقة الإسلام في هذا العصر فيقول [14] : « إن المعركة هي معركة الشيوعية والماسونية وغيرهما من الحركات المعروفة بمعاداتها للدين وطعنها في مثله وقيمه . وقد خصصت بالذكر هاتين الحركتين لأنهما منتشرتان على نطاق عالمي ، ولأنهما بواسطة الاستيلاء على مقاليد الحكم بالنسبة إلى الأولى ، وتسخير الحكام بالنسبة إلى الثانية ، تعملان على بث سمومهما ورفع راية الإلحاد في كل مكان » .

ويخلص كنون إلى التأكيد على الحقيقة التالية وهي : أن الغرب يشن حربًا صليبية على الإسلام ، ويتساءل : « ما دلالة هذه الحرب ؟ » ويذهب بعيدا في تحليل أوضاع العالم الإسلامي ، مستشهدا بعديد من مظاهر الهيمنة الصليبية . وينتهي به المطاف إلى هذا التساؤل : « كيف يرى مفكرونا الذين استبعدوا الدينَ من سياسة البلاد

---

(14) إسلام رائد ، ص : 11 .

الإسلامية ، ويرون أن الدين لم يبق عاملا سياسيا في تكوين القوميات وبناء السعوب ، وأنه إنْ بقي له وجود فعلى الهامش كظاهرة اجتماعية ضعيفة التأثير في حياة الأمة وكيانها ، وهي مع ذلك في طريق التلاشي والانقراض ؟ هل هذا الرأي عندهم مستمد من فلسفة خاصة أو من واقع المسلمين فقط ؟ وإذن فلينشروا هذه الفلسفة في البلاد الغربية المتعصبة لمسيحيتها عساهم يقنعوا أهلها برأيهم فيريحوننا من تعالئهم علينا ، أو فليقولوا أن الدين إنما هو ظاهرة هامشية في البلاد المتخلفة لا في البلاد الراقية [15] .

لقد تنبه عبد الله كنون إلى هذه المسألة تنبها جعله واعيا تمام الوعي لأبعاد المعركة التي خاضها في ساحة الفكر والدعوة مبشرا برسالة الإسلام ، صادعا بالحق ، على الباطل ، مبرزا الموقف الإسلامي السليم إزاء الظواهر السياسية السائدة . وكانت قضية انحراف الأنظمة ، التي جعلها كنون سببا في انفراط عقد العمل بالإسلام ومدخلا إلى شيوع الجهل بهذا الدين والتمكين للمذاهب الرافضة للإسلام لتسود بلاد المسلمين ، أحد مظاهر أزمة الفكر الإسلامي السياسي الحديث التي ردها د . عبد الحميد متولي في كتابه (أزمة الفكر السياسي الإسلامي في العصر الحديث : مظاهرها ، أسبابها ، علاجها) إلى أربعة أسباب هي [16] :

1 ــ الجمود وقفل باب الاجتهاد .

2 ــ الأنظمة الديكتاتورية أو الاستبدادية .

3 ــ اغفال التفرقة بين ما يعد من السنة وما لايعد منها تشريعا عاما .

4 ــ استغــلال الدين .

ولقد فطن كنون إلى هذه العلة التي تضافرت جهود القوى الدولية لتزكيتها والتشجيع عليها لتقوم أنظمة استبدادية تتفرغ لمحاربة الشريعة الإسلامية ولتنفيذ

---

(15) إسلام رائد ، ص : 34 .

(16) أزمة الفكر السياسي الإسلامي في العصر الحديث : مظاهرها ــ أسبابها ــ علاجها . ط 2 ، منشأة المعارف بالأسكندرية ، ص 33 .

المؤامرة الدولية ضد الإسلام . وقد شغل كنون نفسه طويلا بهذه القضية ، ومد بصره إلى أرجاء العالم الإسلامي متأملا ، وتجمعت لديه عناصر رؤية إسلامية شاملة إلى الحياة السياسية في البلاد العربية والإسلامية مكنته من فهم مجريات الأحداث ، والحكم الصحيح على الواقع السياسي في البلاد العربية والإسلامية ، ولذلك نجد كنون يولي اهتمامًا واعيًا بما يجري على الساحة الإسلامية ، ويتتبع الأحداث بعقل ناضج وبصيرة نافذة ووعي رشيد انطلاقا من اقتناعه بوحدة القضايا الإسلامية في المشرق والمغرب ، وبأن التحديات التي تواجه الأمة العربية الإسلامية لا تكاد تختلف في المشرق عنها في المغرب لوحدة المصدر ، ووحدة الأهداف المرصودة من وراء المؤامرات ضد العالم الإسلامي .

2) الإصلاح السياسي وحدوده

إن كنون وهو المفكر الإسلامي الحصيف والمهتم بشئون المسلمين والحريص على سلامة الكيان الإسلامي من الداخل ، يُولي قضايا الإصلاح السياسي عناية مركزة ويعتبر مواجهةَ الأخطار التي تهدد الجبهة الداخلية بالحكمة وبالتؤدة وفي إطار الشرعية القائمة ، مسألةً ضروريةً تمليها الحاجة إلى الاستقرار والأمن الفكري والاجتماعي والتعايش السلمي داخل المجتمعات الإسلامية . ولذلك نراه يهتم بمسألة البناء الدستوري بالمغرب من عدة نواحٍ ، ويتعامل مع الظاهرة الجديدة التي عاشها المغرب في مطالع الستينيات بدخوله العهد الدستوري على أساس أن الدستور وعاء لتقنين الحكم القائم على شرع الله . كنون في هذا المجال يحبذ وسيلةً حديثةً لتسيير شئون الحكم تأخذ بها دول العالم وهو ما لم يكن قائما في صدر الإسلام . فتقنين القواعد الدستورية في دولة من الدول هو أسلوب ديمقراطي خاصة إذا جاءت هذه القواعد الدستورية معبرة عن طبيعة الشعب تعبيرا لايطعن في صدقه ونزاهته .

وإذا كان كنون كتب في فترة ما قبل استقلال المغرب يناقش اتجاه الحكومات

العربية والإسلامية إلى العمل بالنهج الديمقراطي القائم على أساس الإسلام [17] ، فلأنه كان على ثقة من عدم إمكانية نجاح هذه التجربة في كل من مصر وسوريا ولبنان وباكستان . ففي فصل قيم عن (نظام الحكم في الإسلام) يؤكد في مستهله أن الحكم الإسلامي هو المستمد من الكتاب والسنة اللذين هما دستوره الخالد وقانونه الأساسي غير المُغَيِّى بغايةٍ إلاَّ غاية درء المفاسد وجلب المصالح والمساواة في الحقوق والواجبات . وقبل أن ينتقل إلى مناقشة فكرة جمال الدين الأفغاني حول نظام الحكم الصالح للعرب والمسلمين ، يذهب إلى تقرير ما يلي [18] : « لعل السيد جمال الدين الأفغاني كان يعني بمقالته الرد على الساسة الشرقيين الذين كانوا يرون أن إصلاح الشرق منوط باقتباس نظام الحكم الديمقراطي من الغرب ، فإن صَحَّ هذا فقد تحقق نظره في تركيا التي كانت أول من أحس بإفلاس هذا النظام فنبذته نبذ النواة ، وإن لم تهتد إلى الحكم الإسلامي الذي هو خير ، ثم هو يتحقق اليوم في سوريا ومصر ولبنان التي عاينت من مفاسد هذا الحكم ما جعلها تعتبر الثائرين عليه رسل إنقاذ وزعماء تحرير . على أن مصر بالخصوص قد بدأت تسير على نهج السياسة الإسلامية [19] كالباكستان التي بنت دستورها على أساس القرآن الكريم والسنة النبوية الغراء [20] . وهنا في المغرب لابد أن تسير القافلة على هذا النهج السوي بعد الاستقلال ، وسنكون في الطليعة إن شاء الله بفضل السياسة الإسلامية الرشيدة التي يتبعها جلالة الملك سيدي محمد بن يوسف نصره الله .

---

(17) مفاهيم إسلامية ، ص 1 ، دار الكتاب اللبناني ـــ بيروت ، ص : 127 .

(18) مفاهيم إسلامية ، ص 127 .

(19) لعل عبد الله كنون يُبدي هنا تفاؤلا مبالغا فيه بحركة 23 / 7 / 1952 في مصر التي خدعت الناس في أول عهدها برفع الشعارات الإسلامية في فترة زعامة محمد نجيب لها . وكان كنون قد أيد هذه الحركة التي كانت تسمى بـ « الحركة المباركة » في إحدى مقالاته بمجلة (لسان الدين) ع : 8 ، سنة : 6 (غشت 1952) ص : 15 .

(20) استدرك كنون بعد نشر هذا الفصل في كتابه (مفاهيم إسلامية) بأن هذا الكلام كتبه قبل أن تطيح قوى الشر في الباكستان بالعناصر الخيرة التي كانت تعمل على المنهج الإسلامي . وهو هنا يقصد الجماعة الإسلامية بقيادة أبي الأعلى المودودي .

3) مفهومه للدستور

نرى كنون بعد استقلال المغرب يقف في معركة الدستور الأول موقفا إسلاميا يتجاوب فيه مع الأسلوب الديمقراطي الحديث والمتمثل في تقنين القوانين الدستورية وإن كان يتخذ هذا الموقف في إطار فكري وشرعي عام يلتزم فيه بالشروط التي يجب أن تتوفر في دستور دولة مسلمة . وهو هنا يقبل عمليا ما رفضه نظريا .

يقول كنون في فصل تحت عنوان (الذين سيوضع لهم الدستور) [21] :
« تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم ، فاستدعى نخبة من رجال العلم والفقه والسياسة [22] ، وأناط بهم مهمة وضع **دستور البلاد الذي يدعم كيان الدولة ، وينظم شئون الحكومة ، ويحدد حقوق الشعب الأساسية** . والمهمة عظيمة جدا ، ولذلك فإن الفكر العام قد شغل بها غاية الشغل ، ولم تفتأ الصحافة تتناولها بالكتابة والتعليق منذ نشر نبإ هذا الاستدعاء ، وقد كان في الكتاب والمعلقين من عرف قدره فتناول الموضوع بما يلقي بعض الضوء **على المبادئ والأصول التي يجب أن ينبني عليها الدستور** ، ومنهم من ركب رأسه فصار يملي أفكاره الخاصة ، بل إرادته على الناس ، كأنما الدستور له وحده دون سائر المتساكنين في هذا الوطن .

« والذي يجب أن يعرفه كل واحد هو أن المغرب قطر يسكنه اثنا عشر مليونا من الناس [23] ، كلهم يدينون بالإسلام ويقدسون العروبة ويتمسكون بمغربيتهم أعظم تمسك . وهذا باستثناء أقلية صغيرة من اليهود ، كانت قبل هجرة الكثير منهم إلى فلسطين المغتصبة تعد بمائتي ألف نسمة ، وبعض ذوي الأفكار المضادة لهذه المبادئ وهم مهما بَالغْنَا في تعدادهم تصديقًا لدعواهم فلن يتجاوزوا بضع مئات .

---

(21) مفاهيم إسلامية ، ص : 134 .
(22) كان عبد الله كنون واحدا منهم .
(23) كان هذا تعداد سكان المغرب في سنة 1962 .

« أما إسلام المغاربة وإيمانهم القوي ، فلا يحتاج إلى إقامة الأدلة العديدة عليه من الماضي ، وتاريخهم في خدمة هذا الدين الحنيف معروف ، وإنما ننظر إلى واقعهم الحالي فنجد أنهم من أعظم شعوب الإسلام تمسكًا به ، وغيرة عليه ، ودفاعا عنه ، وقياما بشعائره ، وخضوعا لشرائعه . ويكفي المرء أن يدخل المساجد العديدة التي لا تخلو منها قرية ولا بلدة ليرى أفواج المصلين في الأوقات الخمسة تكاد تغص بهم هذه المساجد ، ويرى الذين تفوتهم الصلاة في هذه الأوقات لِمَانِعٍ من شغل وغيره يتعاقبون على المسجد ، ويؤدون ما عليهم من فرائض فيما بين ذلك . أما صلاة الجمعة فإن المساجد تضيق بالفعل عن استيعاب المصلين مهما اتسعت وكثرت ، ولذلك فإن الجماهير الغفيرة من المؤمنين تصليها في الساحات والرحاب المتصلة بالمسجد على مرأى ومسمع من المارة ، ولاتتركها بحالٍ لأنها تعلم أن الجماعة فيها واجبة .. وبدافع هذا الشعور الديني القوي يبني المغاربة كل عام في مختلف المدن والقرى عشرات المساجد من مالهم الخاص ، ولاسيما في الأحياء الجديدة التي لايكون فيها مسجد للأوقاف ، ويقومون بتكاليف تسيير هذه المساجد مدة تقصر أو تطول حتى تتسلمها الأوقاف .

« ومثل الصلاة وهي العمود الفقري للدين ، الزكاة والصيام والحج ، فإن المغاربة يؤدون هذه الواجبات كلها ولايتهاونون بها مطلقا . أما الزكاة وهي أثقلها على النفس لتعلقها بالمال ، فإن من لايخرجها من المغاربة أقلية ضئيلة . نعم الكثير منها يذهب في غير محله ، ولو نظم أمرها وتكلف بها من يقبضها من الناس ويصرفها في مصارفها الحقيقية لما امتنع من أدائها أحد . وأما الصيام فلا يخفى ما للمغاربة به من عظيم الاحتفال ، واعتبارهم شهرَه عيدًا من الأعياد ، وأنه لم يكن أحد منهم يخل به حتى **طغت علينا هذه الحرية الموبوءة التي نرجو أن يكون الدستور وقاية لنا من عقابيلها الفتاكة** . وأما الحج فبالرغم من أتعابه ونفقاته الباهظة ، حتى قال بعض العلماء إنه ساقط عن أهل المغرب ، فإن الحجاج المغاربة كل عام يعدون بالآلاف ، لولا العراقيل التي وضعت في سبيله ، واستغلال شركات النقل لِضَعَفَةِ الحجاج ، لكان عددهم أضعافا مضاعفة عما بلغ إليه لحد الآن . »

« هذا بالنسبة لأركان الدين العظمى . وأما السنن والفضائل وأدب السلوك العام فإن المغاربة ما برحوا **يزنون جميع أعمالهم بميزان الشرع الشريف** ، ويحرصون أشد الحرص على عدم مخالفته في قول أو فعل ، ومن ثم نرى هذه الثورة التي تضطرم بها جوانحهم **على ما شاع في العهد الجديد من الفسوق والفجور** [24] ، **ومعاقرة الخمور ، والاستهانة بأمور الدين في كثير من المظاهر والأعمال لما أن القوانين العصرية لا تتعرض لذلك بنفي ولا إثبات ، والشرع الذي يعاقب على ذلك قد عطل ، أو لم يبق بيد أهله نفوذ** . وإلى هذا فإن المجتمع المغربي لا يزال في عوائده وتقاليده إسلاميا صميما ، إلا عند بعض المنحرفين الذين أشرنا إليهم فيما قبل .

« على أن أعظم حجة على تدين المغاربة ، وتمسكهم بالعقيدة الإسلامية ، هو ما نراه ونسمعه من تملق بعض الساسة للعاطفة الدينية عند الشعب المغربي وتظاهرهم باحترام شعائر الإسلام ، وإن كانوا في باطنهم يستخفون بها رغبة في تأييد الجماهير الشعبية لهم ، وكسب أكثر ما يمكن من الأنصار .

« وأما تعلق المغاربة بالعروبة وانتماؤهم إلى القومية العربية ، فلا أدل عليه من هذه الصيحات المتوالية من جميع الطبقات بوجوب تعريب التعليم وتعريب الإدارة على العموم ، ومن تأييد فكرة المغرب العربي الذي هو الجناح الأيسر للجامعة العربية ، ومن الحماس المنقطع النظير الذي قابل به الشعب المغربي الانضمام إلى هذه المؤسسة العتيدة [25] بعد ما تشوف إليه منذ فجر الاستقلال ، ومما يبديه في كل مناسبة من التضامن مع الشعوب العربية لنصرة قضاياها المختلفة ، ولاسيما قضية

---

(24) الكلام منشور في سنة 1962 ، في مقال بجريدة (الميثاق) لسان رابطة علماء المغرب . وأعيد نشره في كتاب (مفاهيم إسلامية) الذي صدرت طبعته الأولى في بيروت في سنة 1964 .

(25) تأخر انضمام المغرب إلى جامعة الدول العربية سنتين كاملتين ، فلقد كان من المتعين الانضمام إليها غداة الاستقلال في سنة 1956 ، ولم يتم ذلك إلا في سنة 1958 . وليست هناك مبررات مقنعة لهذا التأخير ، بعد أن بادر جلالة الملك محمد الخامس إلى الترحيب الحار بجامعة الدول العربية بعد سنتين من إنشائها في خطاب طنجة في سنة 1947 .

فلسطين الشهيدة ، واستعداده للتضحية بالنفس والنفيس في سبيل تحريرها وإنقاذها من الاستعمار الصهيوني الغاشم ، إلى غير ذلك مما هو خبر بمعلوم .

« وأما تشبثهم بمغربيتهم وما لها من خصائص ومقومات ، فيظهر في قوة عاطفتهم الوطنية ، ومحافظتهم على عوائدهم ، وفي نظام بيوتهم ، ومعيشتهم وما إلى ذلك » .

وبعد أن انتهى كنون من بيان الأصول الراسخة للعروبة والإسلام في المغرب ، والتي تشكل أساس الكيان التاريخي ، والتي يجب أن يقوم على قاعدتها الكيان السياسي الذي يعد الدستور المحتوي المعبر عنه والوعاء الذي يجمع أطرافه فيما يعتبر مرافعة سياسية رفيعة المستوى يجب أن ينظر إليها من زاوية الظروف التي اقتضتها ، بعد هذا كله يعود إلى تحديد الشروط الموضوعية لصياغة دستور المغرب . وذلك على النحو التالي [26] :

« هذه هي المثل العليا التي من أجلها يعيش كل مغربي ، وعلى هداها يسير ، وفي سبيلها يعمل ، ثم هي من حيث حرصه عليها وتعلقه بها وتقديسه لها على هذا الترتيب الذي ذكرت به . فالمغربيةُ تلي العربيةَ ، وإذا تعارضتا فرضًا وتقديرًا فهو عربيٌّ فكرًا وشعورًا ، وأنْفُ الوطنية الإقليمية الضيقة راغم ، تماما كما لو تعارضت العربية ــ وهي لاتتعارض ــ مع الإسلام ، فهو مستعد للتضحية بها والتنكر لها احتفاظا بعقيدته ، وتمسكا بدينه الذي لايبغي عنه بديلا . **فالذي يريد أن يسوس المغرب ويحظى بثقة المغاربة ، عليه أن يراعي هذه المبادئ الثلاثة في كل عمل يعمله ، وكل سياسة ينتهجها ، وإلا فإنه سيبوء بالفشل الذريع والخذلان الشنيع .**

« إن أول انطلاقة تحررية جدية بإجماع الآراء ، هي التي انبعثت من خطاب طنجة التاريخي سنة 1947 ، وهي التي أعلن فيها جلالة الملك أن اتجاه المغرب الطبيعي نحو الشرق الإسلامي والبلاد العربية . فالذين يقولون اليوم إن المغرب من الغرب أو إنه واسطة بين الشرق والغرب ، إنما يحاولون فصم العرى المتينة التي بينه وبين إخوانه

---

(26) مصدر سابق . ص : 136 .

المسلمين والعرب تمهيدا للانزلاق به نحو التبعية الغربية ، والانسلاخ من قوميته العربية الإسلامية . ولو كان من الشعوب العربية من يصح له أن يدعي هذه الدعوى لكانت مصر التي سبقتنا للاتصال بالحضارة الغربية بقرن ونصف قرن ، والتي تعد اليوم من علمائها وخبرائها وفنييها عشرات المئات إن لم نقل الآلاف . على أن خديويها الذي لم يفهم نفسية شعبه ، وقال إن بلادي قطعة من أوروبا قضى بقية حياته منفيا في أوروبا .. فكيف نحن ببضع (ليسانسات) في الحقوق الفرنسية من غير عربية ، أو ببعض أفكار (شيوعية) يخلب بها السياسيون الفاشلون عقول البسطاء من الناس ، نكون واسطة بين الشرق والغرب ، والشرق قد اتصل قبلنا ولم ينتظر وساطتنا ، والغرب يرى تنكرنا لتراثنا الفكري والحضاري الضخم فيتأهب لالتهامنا حين لا يبقى لنا رصيد روحي ولا خلقي يثير حفاظنا ويبعث نخوتنا » [27] .

4) المعركة الدستورية

ينتقل كنون إلى مقام أعلى في هذه المرافعة السياسية التي تعتبر نموذجًا للكفاح السياسي الذي خاضه ببسالة وجسارة مكرسا به اتجاها جديدا في الفكر الإسلامي السياسي الحديث . ويكشف عن أبعاد (المعركة الدستورية) في المغرب عهدئذ ويقول في هذا السياق :

« إننا إذن مقبلون على معركة حاسمة بالنسبة لمستقبل المغرب ، فإما أن يكون عملنا عملا بناء هادفا يرتكز على أسس متينة من مقدساتنا وواقعنا الاجتماعي ، وحياتنا البيتية المبنية على النظافة والطهارة وعدم الإثارة ، وحينئذ فإن المغرب سيسير في طريقه نحو النمو والتقدم والازدهار بخطى ثابتة وسريعة وبتعاون

---

(27) الفكرة التي يرد عليها هنا انتصرت بعد ربع قرن من تاريخ نشر هذا الكلام واتخذت لها مسمى جديدًا هو الوساطة بين الشرق والغرب .

جميع العناصر والطبقات من المواطنين والمواطنات ، وإما أن ننحرف ونميل ونترك الطريق السوي والنهج القويم فنضحي بالاثني عشر مليونا من أجل خاطر الأقلية التي لا تكون حتى اثنين في المائة فقط ، من أجل أن يقال إننا تقدميون متحررون ، كما قالت جريدة (إسبانيا) [28] الطنجية يوم استقبلت أول فوج من المسيحيين الذين اكتسبوا الجنسية المغربية في حين أن المسلمين الذين ولدوا فوق التراب الإسباني لا يسمح لهم القانون إلا برعوية منقوصة .. **وفي هذه الحال فإن دستور المغرب سيكون نسخة لا غير من دساتير الدول اللادينية ، ولا سيما القدوة العظمى فرنسا المطروبول** ، وفي هذه الحال سنبقى وحدنا وسنخسر الشعب بأجمعه . **وإن** كنا سنكسب تصفيق الخوارج والمتملقين .

« **إن المغاربة الذين** نحن في خدمتهم عربا ومسلمين ، **دستورهم الخالد هو القرآن ، وقانونهم العام هو الشرع الإسلامي** ، فعلى هذا الأساس **يجب أن يوضع دستور الدولة التي تحكمهم** ، ومن هذين المنبعين الثريين يجب أن يستمد ذلك الدستور مبادئه وأصوله ، **وهذا إن لم يكن إيمانا بالقرآن ولا بالشرع الإسلامي فليكن إيمانا بالديمقراطية التي هي حكم الشعب من غير تحريف لها ولا تزييف ، وبموجب هذه الديمقراطية التي يتبجح بها الجميع ، لا يكون الحكم إلا للأكثرية ، وأي أكثرية هذه ؟ إنها الأكثرية الساحقة على حد التعبير المقتبس من اللغات الديمقراطية** .

« وعلى كل حال، فنحن لا نطمع في ديمقراطية أكثر من ديمقراطية الإنجليز الذين يقسم رئيس دولتهم بمقتضى دستورهم على حماية الكنيسة الإنجيلية ، والمذهب البروتستانتي ، من غير ملاحظة لما يضمه الشعب البريطاني من ملايين الكاثوليك وغيرهم من أتباع الديانات الأخرى . وفي نص الدستور على ضمان حقوق الأقليات

---

(28) من الصحف الأجنبية التي كانت تصدر بمدينة طنجة في عهد الحماية وواصلت الصدور بعد الاستقلال إلى منتصف الستينيات وكانت واسعة الانتشار في المنطقة .

مرضاة للجميع ، وفي نصه على المساواة القانونية بين جميع السكان نفي لكل حيف يحتمل وقوعه على الأقليات .. وما عدا ذلك فإنما هو استخذاء من الأكثرية أو أنانية من الأقلية ، وكلا الوضعين لا يليقان بالمواطن الحر » .

نخلص من هذه القراءة المتأنية لهذا النص السياسي الهام الذي يضم خلاصة فكر كنون في هذا الموضوع الحيوي ، إلى تسجيل الملاحظات التالية :

أولا : إنه لا ينكر أسلوبا من أساليب الديمقراطية الحديثة وهو وَضْع الدساتير وتقنين المبادئ العامة التي تقوم عليها الدول .

ثانيا : إنه يرى في الدستور أداة صالحة تعين على تطبيق الحكم الشرعي .

ثالثا : إنه يحرص على قيد هذه الأداة بقيود الشرع لتكون أداة شرعية خالصة من أية شائبة .

رابعا : إنه يؤكد على المقومات الأساسية للشعب المغربي من إسلام وعروبة ومغربية ولا يرى دستورا للمغرب لا يكون متضمنا لهذه المقومات .

خامسا : إنه يسوغ في هذا المجال العمل بمبدأ أساسي من مبادئ الديمقراطية وهو النزول على رأي الأغلبية والرضا بحكمها .

سادسا : إنه يحذر من أن يكون دستور المغرب على شاكلة دساتير الدول اللادينية .

سابعا : إنه يقر بصلاحية النظام الديمقراطي في إحدى الدول الأوروبية العريقة ، ولذلك لا يطمع في أكثر من الاقتداء بذلك النظام .

ولعل الملاحظة العابرة لهذا النص ، الذي هو واحد من نصوص كثيرة تضمها المؤلفات والصحف التي أصدرها كنون ، ربما تكشف عن نوع من تناقض في الموقف إزاء المذاهب السياسية الحديثة . غير أن التأمل العميق لأفكار كنون ، منظورا إليها في سياق التطور التاريخي ، وتقلب الأحداث والظروف التي تولت عنها ، يبطل هذا التناقض على النحو الذي ينتهي بنا إلى تقرير ما يلي :

أولا : تميُّز فكرُ كنون السياسي بالمرونة في الحالات التي لا تمس المبادئ والأصول وفيما يتصل بالوسائل المؤدية إلى تنفيذ هذه المبادئ والعمل بهذه الأصول . وهو موقف يحمد للمفكر الذي يلتزم بالعقيدة وبالشريعة ولا يرى مندوحة عن التصرف فيما يتعلق بالفقه الدستوري ، أي في غير مجال العقيدة والشريعة وبالطرق التي توصل إلى إقرار محتوى الشرع الإسلامي دون إخلال بمبدأ من مبادئ الشرع الحنيف .

ثانيا : في إطار المرونة التي هي طابع مميز لفكر كنون عرفت مواقفه الفكرية إزاء المستجدات السياسية تطورا إيجابيا . فلقد رأى كنون مثلا في حركة 23 / 7 / 1952 بمصر مؤشرا على إمكانية إصلاح الأحوال بهذا القطر ، وتفاءل بها وكتب عنها فيما يشبه التأييد الحار في مجلته (لسان الدين) ، ولما وضحت الأمور ، وكشف زعماء هذه الحركة عن نواياهم وأعلنوا عن فكرهم الذي لا يسير في الخط الإسلامي السياسي الذي يأخذ كنون به ، لم يجد غضاضة في التعبير عن الموقف المغاير الذي انبثق عن الاقتناع بانحراف سياسي واضح طبع السياسة المصرية في تلك المرحلة . والتغير الذي حصل في مصر هو الانتقال من نظام أظهر منذ اليوم الأول الرغبة في الإصلاح وفق السياسة الشرعية استجابة لتطلعات الشعب المسلم ، إلى نظام شمولي أخذ بأحد المذاهب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي ظهر فسادها في موطنها الأصلي .

ولكن الملاحظة الأساسية هنا ، أن (السياسة الشرعية) التي رحب كنون بشروع حكومة مصر في تطبيقها في مطالع الخمسينيات ، لم تكن تخلو من إطار ليبرالي ديمقراطي ؛ أي أن الأداة التي اعتُمدت مستحدثة ومن نتاج الفكر البشري . وهو الوضع الذي يشابه من بعض الوجوه الحالة في المغرب في مرحلة الشروع في البناء الدستوري أي من حيث اعتماد أداة التنفيذ مع الفارق في المناخ السياسي . وهذا ما يوضح أن كنون لم ير بأسا في تطويع الوسائل الديمقراطية لإقامة الشرع الإسلامي على اعتبار أن (النظام الإسلامي) لابد له من تقنين وقواعد دستورية تضعه في موضع قابل للتنفيذ .

ثالثا : يلاحظ وجود بعض تفاوت ، دون أن يرقى إلى درجة التناقض ، بين الكتابات النظرية التأصيلية عند كنون والتي تقتضيها ضرورة إبراز الخصائص المميزة للنظام الإسلامي ، وبين الكتابات السياسية المباشرة التي يمليها الظرف السياسي الخاص (حالة الدستور المغربي الأول سنة 1962) . وهذا واضح في كتابات كنون في مختلف مراحل حياته ، وإن كان أمرا طبيعيا أن يتباين الموقف النظري والموقف العملي . ولذلك نجد كنون يسلم بالتجربة الدستورية ويحكم عليها من وجهة نظر إسلامية . وهذا في حد ذاته تطور إيجابي دون أدنى شك .

رابعا : القدرة على استيعاب المتغيرات . وهي ميزة اتسم بها فكر كنون السياسي جعلته يساير التطورات ويحتك بها ، إلى درجة الاصطدام في بعض الحالات [29] ، مدليا بالرأي الإسلامي ومقتحما الساحة السياسية بالكياسة التي عرف بها . وهذه الميزة دفعت بكنون إلى عدم التحرج من تغيير الموقف من الظواهر السياسية . ومثال ذلك الموقف الذي اتخذه في المؤتمر العام لرابطة علماء المغرب الذي عقد بمدينة وجدة في سنة 1980 وأعلن فيه عن تأييده للثورة الإيرانية التي أسقطت الشاه نتيجة التأثر بالشعارات التي رفعتها هذه الثورة ، ثم مالبث الوضع أن انكشف عن انحرافها عن جادة الإسلام ، حيث نجد كنون سباقا إلى الرد على خميني وتفنيد مزاعمه ودحض افتراءاته وإعلان تبرئة الإسلام منه .

إن هذه الخصائص التي تضع فكر كنون السياسي في موضع النخبة من مفكري الإسلام في هذا العصر ، تكشف عن مزايا بالغة الأهمية تطبع حياة المفكر الإسلامي المغربي الكبير ، منها أن كنون لم يكن يخوض معركة خيالية وهو يدلي برأيه الإسلامي في قضية الدستور في سنة 1962 ، وإنما كان يستقرئ الواقع ويحلل الحدث ، ويذهب بعيدا في تقرير جملة مبادئ رآها أساسية ليقوم عليها البناء الدستوري .

---

(29)لكنون مواقف فكرية وسياسية إسلامية مشهودة عارض فيها الخط السياسي العام بالأسلوب القرآني القائم على الحكمة والموعظة الحسنة . وقد أتت معارضته أكلها في بعض الأحايين .

لقد جاء دستور سنة 1962 (الدستور الأول للمملكة المغربية) — كما جاء بعد ذلك الدستوران الثاني والثالث — عاكسا للمبادئ العامة التي أكد عليها كنون كمفكر إسلامي يعالج موضوعا يهم السياسة العليا للدولة . وهذه المبادئ هي :

— المملكة المغربية دولة إسلامية ذات سيادة كاملة .

— لغتها الرسمية هي اللغة العربية . ولم ينص على أنها دولة عربية في حين أن القانون الأساسي الذي سبق الدستور كان يعلن أن : (المغرب مملكة عربية إسلامية والإسلام دين الدولة الرسمي . العربية لغة البلاد الرسمية) [30] .

— جزء من المغرب الكبير [31] .

— تتعهد بالتزام ما تقتضيه مواثيق المنظمات الدولية من مبادئ وحقوق وواجبات . كما تؤكد عزمها المحافظة على السلم والأمن في العالم . ولم تخصص (الجامعة العربية) مثلا من هذه المنظمات [32] ولم يشر الدستور إلى عمل المغرب لتحقيق الوحدة العربية التي هي هدف الجامعة العربية [33] .

ويمكن القول ، استنادا إلى مراجعات واسعة ، إن كنون كمفكر إسلامي يشعر بثقل الأمانة وعظم الرسالة التي يحملها بين جنبيه لم يكن بادي الارتياح للدستور جملة وتفصيلا ، وإن كان استقبله بما يليق به من احترام كقانون أسمى للبلاد ، نظرا إلى أنه دون ما كان يريده له من تأصيل مبادئ أساسية يراها كنون قاعدة للعمل بما جاء به الشرع الإسلامي . بيد أن هذا الموقف المتميز لم يكن ليصرف كنون عن الالتزام بالمنهج القرآني في مثل هذه الحالات وهو معالجة أوجه القصور بالحكمة

---

(30) هذه الملاحظة سجلها عبد الكريم غلاب في كتابه : (التطور الدستوري والنيابي بالمغرب) ط : 1 سنة 1988 ، ص : 195 .

(31) يلاحظ أيضا خلو هذا التركيب (المغرب الكبير) من صفة العروبة .

(32) مصدر سابق ، ص : 195 .

(33) مصدر سابق ، ص : 195 .

والموعظة الحسنة ومتابعة العمل في مجال الدعوة والفكر لتصحيح المفاهيم وللتأكيد على وجوب التشبث بالمقومات والقيم والخصائص المميزة للشعب المغربي . وكان هذا أسلوب كنون ؛ يتصدى لمظاهر الفساد والانحراف والانسياق في اتجاه التبعية بما فطر عليه من رفق وسماحة .

لقد رأى كنون في دخول المغرب الحياة الدستورية عاملا مشجعا على ممارسة الدور الذي أوقف حياته له ؛ فبدأ في مطالع الستينيات ، وبعد صدور الدستور الأول وتأسيس رابطة علماء المغرب واجتيباره أمينا عاما لها ، وإنشاء جريدة (الميثاق) لسان حال الرابطة ، مرحلة جديدة من العمل الإسلامي اقتضت مواجهات متتالية لضروب شتى من الانحرافات عن الخط الإسلامي الذي ارتضاه لنفسه . فطفق يكتب في (الميثاق) مندفعا في تدفق واسترسال يدافع عن الفكرة الإسلامية ويعبر عن الرأي الإسلامي في مختلف مجالات الحياة المغربية والعربية والإسلامية . وخاض معارك في التعليم والقضاء ، وكان لمواقفه في هذين المجالين على وجه أخص أثر في درء المفاسد وإيقاف عديد من التجاوزات التي كانت لا تراعي ــ أحيانا ــ حكم الشرع في بعض المجالات . وتعتبر هذه المرحلة من أخصب المراحل في حياة عبد الله كنون . وتعد المعارك [34] التي خاضها في هذه الفترة أكثر أهمية وأحفل بالسجال السياسي والصراع الفكري من سابقاتها . وفي جميع هذه الأحوال نرى كنون رجل فكر إسلامي مستنير ، وحامل رسالة حضارية ، وصاحب رأي سياسي يستمده من إسلامه الذي هو عدته وسلاحه في جميع الأحوال .

وجانب آخر في حياة كنون الفكرية يكشف عن مواقف متميزة في ساحة العمل الإسلامي السياسي هو ما يتعلق بالدور الذي قام به في المؤتمرات العامة لرابطة علماء المغرب ، والذي تعبر عنه بالوضوح الكامل التقارير الأدبية التي كان يكتبها بدقة ويلقيها في هذه المؤتمرات ، وفيها يحدّد الموقف الإسلامي الواضح من شئون الساعة وقضايا المجتمع ، سواء على الصعيد الوطني المغربي ، أو على المستوى العربي والإسلامي ، أو

---

(34) جمع كنون بعضا من هذه المعارك الفكرية والسياسية في عدد من مؤلفاته مثل (معارك) و (شئون إسلامية) .

فيما يتعلق بالقضايا الدولية .

لقد انتقل كنون في مراحل كثيرة من حياته من طور التنظير إلى طور التنفيذ ؛ فبعد أن كان في المراحل الأولى من تعاطيه التأليف والكتابة في الموضوعات السياسية من منظور إسلامي يعالج القضايا معالجة نظرية تأصيلية ، ويخوض في المسائل ذات الصبغة المذهبية الخالصة ، نراه يعكف في مراحل أخرى على إثبات جدارة الحكم الإسلامي وصلاحيته وأهليته للتطبيق في إطار الشروط العامة التي تتيح للإسلام أن يسود وأن يهيمن على الفكر والحكم والحياة ، ومراعيا في ذات الوقت طبيعة الظروف ومقتضيات التحولات التي يشهدها المجتمع . ومن هذا المنطلق كان رأيه السياسي يصدر متسما بقدر كبير من الواقعية السياسية ، دون أن يكون لهذه الواقعية مدلول انتفاعي أو انتهازي أو انتقائي يفصّل الأحكام والآراء والمواقف حسب مقاييس معينة ، وإنما هي واقعية سياسية تدخل في إطار (نفي الحرج عن الأمة) ومراعاة مصلحة العباد عملا بالقاعدة الأصولية : حيثما كانت المصلحة فثمة شرع الله .

وعلى هذا الأساس أقام كنون موقفه من الدستور ومن الانتخابات ومن الحياة البرلمانية ، وهي مظاهر للنظام الديمقراطي ، وذلك على الرغم من إقراره أن الإسلام هو غير الديمقراطية وليس الاشتراكية ولا الرأسمالية وإنما هو (منهج حياة متكامل) له أصوله وقواعده وتصوره الخاص لمسألة الحكم ولقضايا العدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان السياسية والاقتصادية . ويمتاز كنون في هذا المجال ، على وجه الخصوص ، بميزة فريدة هي الشجاعة الأدبية على التكيف مع الأحوال السائدة من غير أن يكون (التكيف) على حساب أصل من أصول الإسلام أو مبدأ من مبادئه .

وفي الوقت الذي تقف مدارس فكرية إسلامية موقف المعارضة الكاملة للديمقراطية والنبذ المطلق للأفكار والوسائل الحديثة في ممارسة العمل السياسي وتنظيم شئون الحكم ، ويقودها هذا الموقف إلى الخصومة السياسية والعداء الفكري والقطيعة الشعورية مع هذه الطرق التي أثبتت التجارب صلاح بعضها وقابلية تجويد بعضها الآخر ليتماشى مع نظام الحكم الإسلامي ــ نجد كنون يجرؤ ، في وضوح وجسارة وقوة بيان وشجاعة رأي ، على إعلان قدرة الإسلام على تطويع هذه الوسائل والطرق بما يحقق مقاصد الشريعة الإسلامية وبالقدر الذي يقيم قواعد النظام الإسلامي على أسس ثابتة .

5) أزمة المصطلح السياسي

لقد تمكن كنون ، بتفوق عقلي يحسب له ، أن يتجاوز إحدى الأزمات التي يعاني منها الفكر الإسلامي السياسي الحديث ، ونعني بها أزمة (المصطلح) الذي يحمل في كل الأحوال دلالات فكرية وسياسية محددة . وتنبع هذه الأزمة من أن الذين يقولون برفض الإسلام ومقاصده الشرعية ، ينتهون إلى مصطلح غير محدد وهو قولهم إن الإسلام (منهج حياة متكامل) وإنه (أسلوب للحياة قائم الذات) وإن هذا الدين ليس رأسماليا ولا هو بالاشتراكي ولا بالليبرالي . وكل هذا جزء من حقيقة الإسلام ، أما الجزء الثاني الذي لا يكشف عنه بصورة محددة فهو أن الإسلام وإن كان كما وصفوا ــ وهو حق لا ينكره مسلم ــ فإنه رسالة هداية شاملة جاءت بالأصول الأساسية والمبادئ العامة التي على أساسها يقوم الحكم الشرعي وينهض النظام الإسلامي . إن الإسلام منهج حياة شامل وجامع ومتكامل ، هذه حقيقة لا شك فيها بتاتا ، ولكن الوجه الآخر لهذه الحقيقة هو أن الإسلام لم يحدد إطارا عاما جامدا لتطبيق هذا النظام وإقامة هذه الشريعة . ولذلك كانت الأشكال والقوالب الدستورية منفصلة عن أصول الشريعة ومبادئ الدولة الإسلامية . وانطلاقا من وجهة النظر هذه ، قال كنون ، في مرحلة محددة من حياته ، بالدستور وبالانتخابات وبالبرلمان وبالأسلوب السياسي الذي هو جزء من الديمقراطية ، أي أنه قال بالنظام النيابي الذي هو نظام لم يأت به الإسلام أصلا ، وإن كان لم يقل بأن (الإسلام دين ديمقراطي) أو نادى (بديمقراطية الإسلام) أو (باشتراكية الإسلام) . وهنا يكمن أحد الفروق الأساسية بين كنون المفكر الإسلامي وبين عديد من مفكري الإسلام في هذا العصر .

أخذ كنون بالوسيلة ولم يأخذ بالمضمون مع صعوبة الفصل بين الشكل والمضمون في النظام السياسي . وفهم الوسيلة فهما مستنيرا على أساس أنها الأداة التي تعين على إقامة الشرع الإسلامي وتطبيق حكم الله وبناء قواعد المجتمع الإسلامي . وبذلك تجاوز كنون أسباب الأزمة التي تفرض نفسها على الفكر الإسلامي السياسي الحديث والتي تنحصر في أزمة (المصطلح) ، أو بعبارة أخرى

أزمة (الوعاء) أو (القالب) ، أي أزمة الشكل لا أزمة المضمون .

ولقد فطنت بعض المدارس الإسلامية السياسية الحديثة إلى هذه القضية فاهتدت إلى إيجاد حل لها ، وخرجت بذلك من منطقة الضباب والحيرة ، التي لم تبرحها المدارس التي لم تهتد إلى فهم قرآني مستنير لوظيفة الدين في الحياة الإنسانية .

لقد وعى كنون في وقت مناسب أن دولة الإسلام لا يمكن أن تقام من فراغ ، وأن السعي لإقامة الدولة الإسلامية ، لابد أن يصحبه جهد عقلي لتأصيل أسلوب ، أو مجموعة أساليب ، تكون عونا على تطبيق مبادئ الإسلام في الواقع الحي حتى يصير واقعا إسلاميا . وهذا الوعي الرشيد هو الذي دفع كنون إلى (مسايرة) العصر في أشكاله الدستورية و (مواكبة) الأحوال العامة في أساليبها السياسية سعيا وراء تحقيق الغايات الإسلامية والمقاصد الشرعية . وبذلك أثبت كنون بحق صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان ، عمليا وتطبيقيا ، لا يقينيا واعتقاديا فحسب . وهي خطوة رائدة بكل المقاييس السياسية والفكرية المعتمدة .

لقد اقتنع كنون أن الإسلام دين ودولة ، وعقيدة وشريعة ، وأن دولة الإسلام في هذا العصر محفوفة بالمخاطر ، وأن العمل الإسلامي من أجل إقامة النظام الإسلامي لابد أن يقترن بالعمل الجدي لإقناع الرأي العام وأولي الأمر في الحياة الإسلامية بصلاحية هذا الدين ليكون بديلا موضوعيا للمذاهب السائدة ، وأن الوصول إلى هذه الغاية لا يكون إلا بالعبور عبر القنوات الدستورية القائمة وهو الأمر الذي يقتضي (المسايرة) و (المواكبة) دون أن يكون في الأمر تفريط ولا تنازل عن مبدأ من مبادئ الدين .

فهل يجوز القول إن كنون تطور فكريا في تعامله مع هذه القضايا السياسية ؟

إن التطور في الفكر ميزة محمودة في المفكرين الأحرار . ولقد كان كنون مفكرا حرا ، بالمعنى الإسلامي الأصيل ، لا بالمفهوم الغربي المتداول ، لأن حرية فكر كنون إنما كانت في دائرة الإسلام . ولذلك نُقر دون تردد بتطور كنون فكريا في الدائرة الإسلامية على النحو الذي يرقى به إلى معنى من معاني الاجتهاد .

إن القالب الفكري الذي وضع فيه د . فهمي جدعان[35] المفكر الإسلامي علال الفاسي حين وصف فكره بأنه (يشتمل على قدر كبير جدا من المرونة والوعي والقدرة على التكيف مع العصر الحديث) يمكن أن يَسَعَ عبد الله كنون هو أيضا من حيث أنه عبر عن وعي سياسي مستنير في مرحلة من مراحل المواجهة مع تحديات التغريب والغزو الفكري ومخلفات العهد الاستعماري .. إن د . فهمي جدعان يقول عن علال الفاسي إنه (أحد الأصوات العربية الإسلامية النادرة التي استطاعت أن تتكلم لغة العصر دون أن تخرج من إهاب الإسلام وقيمته الجوهرية)[36] . وينطبق هذا الوصف على فكر كنون بالقياس إلى مساهمات أبناء طبقته من مفكري الإسلام الذين قصرت إمكاناتهم العقلية واستعداداتهم الفطرية عن بلوغ ما بلغه من درجة في التحرر من الجمود الذي يسود بعض المدارس الفكرية الإسلامية والاتجاهات المنتسبة إلى الإسلام والعاملة في حقل العمل العام . لقد استطاع كنون ، بروح النقد العلمي للواقع وبتجاوز ما هو مألوف ، أن يلتقي مع علال الفاسي في أن يظل في النهاية متشبثا بفكرة ميزت معظم سابقيهما ، فكرة (التركيب بين الأصول الروحية والعقلية الإسلامية وبين الحياة الحديثة)[37] . وإذا كان علال قد دافع عن هذا التركيب اعتقادا منه بأن (خروج العرب والمسلمين من حالة الضعف لا يمكن أن يتحقق إلا بقوة الروح وبقوة المادة معا)[38] ، فإن كنون لم يتح له الموقع الذي اختاره أن يقوم بمثل هذا الدفاع وبالقدر المطلوب وعلى نطاق واسع ؛ لأن عدم التشابه في المواقع انعكس على المواقف الفكرية والتبريرية والدفاعية لكلا الرجلين ، بقدر ما انعكس ، بطبيعة الحال ، في بعض المواقف السياسية وليس

---

(35) أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الإسلامي . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط : 2 ، ص : 338 .

(36) مصدر سابق ، ص : 338 .

(37) مصدر سابق ، ص : 338 .

(38) مصدر سابق ، ص : 338 .

في جميعها تبعا للظروف .

بيد أننا نقف في حياة كنون على مواقف سياسية لا تكاد تختلف من حيث العمق والجوهر والأصالة عن مواقف علال بالرغم من تباين بينهما في الموقعين اللذين يصدران عنهما . وهو الأمر الذي يؤكد بما لا يرق إليه الشك التقاء الرجلين التقاء كاملا في وحدة الأصول ، وفي وحدة الانتماء الفكري ، وفي وحدة الأهداف التي عملا من أجلها منذ أن اختارا النزول إلى معترك العمل العام لخدمة الوطن والشعب ، كلٌّ بالأسلوب الذي ارتضاه .

الفصل الثالث

في قضايا العمل الإسلامي العام

1) الإخوان المسلمون ومدرسة كنون

لقد كان كنون مفكرا مقتحما للصعاب ، جسورا في المواقف ، ينطلق من التصور الشامل لرسالة الإسلام ، ولا يتردد في إبداء الرأي في القضايا العامة التي تشغل الأمة ، وإن خالف فيه المفاهيم السائدة التي ينتحل أصحابها لها الصفة الإسلامية . وإذا كان له رأي في الشروط التي يجب توافرها في دستور الدولة الإسلامية ، انطلاقا من حالة المغرب الخاصة ، فإنه يلتقي في هذا الموقف مع أحد قادة العمل الإسلامي في هذا العصر على نحو واضح ، مما يثبت سمو منزلة كنون وعلو كعبه في هذا الميدان . لقد ذهب حسن البنا [39] إلى القول بأن قواعد النظام النيابي ليس فيها ما يتنافى مع القواعد التي وضعها الإسلام لنظام الحكم ، معتقدا أن هذا النظام ليس بعيدا عن النظام الإسلامي ولا غريبا عنه . وانتهى إلى التأكيد أن القواعد الأساسية التي قام عليها الدستور المصري (لاتتنافى مع قواعد الإسلام وليست بعيدة عن النظام الإسلامي ولا غريبة عنه)[40] . وإن كان أشار إلى الفرق بين الدستور وبين القوانين التي تسير عليها المحاكم المصرية (إذْ إنَّ كثيرا من هذه القوانين يتنافى صراحة مع ما جاء به الإسلام)[41] .

وإذا كان البنا خاض في قضايا الحكم والسياسة بسبب ممارسته للعمل العام كزعيم لتيار إسلامي سياسي فإن كنون تعامل مع مثل هذه القضايا من منطلق الاهتمام بشئون الوطن والقيام بالواجب المنوط به كعالم ومفكر وصاحب رأي إسلامي تقتضي الأمانة أن يجهر به . ولعل موقف كنون من الدستور المغربي بصفة عامة أكثر ثقلا في ميزان الأعتبار المعنوي من موقف البنا من دستور بلاده ؛ لما كان يمثله هذا الأخير من دور لم يتح لكنون أن يمارسه ، ذلك بحكم أن البنا كان رئيس جماعة نزلت إلى المعترك السياسي بكل ما يلزم من تنظيم وحشد للقوى المادية والمعنوية ،

---

(39) مشكلاتنا الداخلية في ضوء النظام الإسلامي — من مجموعة رسائل الإمام حسن البنا ، ص : 322 — المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر — بيروت ، ط : 3 .

(40) مصدر سابق ، ص : 322 .

(41) مصدر سابق ، ص : 322 .

بينما بقي كنون عند موقعه المتميز الذي اختاره لنفسه كرجل فكر لم يمارس العمل السياسي بالمفهوم العام . وهو الأمر الذي يعطي لموقفه وزنا أكبر ، اعتبارا لهذه الخصوصية التي طبعت أدوار حياته كلها . وهذه إحدى نقط التميز الذي ربما وصل إلى درجة التمايز بين كنون وبين أبناء جيله من المفكرين والعلماء العاملين في حقل الدعوة الإسلامية والعمل الإسلامي العام .

وإذا كان البنا اقترب اقترابا عظيما من التصور الديمقراطي المعمول به في المغرب وقبل بالنظام التمثيلي ، نظام الانتخابات [42] ، شريطة أن يكون المنتخبون الذين سيناط بهم الحل والعقد أكفاء أحرارا من كل ضغط أو سيطرة تمليها قوة خارجية ، فإن كنون اقترب من هذا التصور على حذر محتفظا بموقفه الفكري الذي يقوم على أساس مغايرة الإسلام للأنظمة والمذاهب السياسية الحديثة .

بيد أنه لو قدر لكنون أن يحتك بالعمل السياسي مباشرة ويخوض المعارك السياسية من الموقع الطبيعي الذي تُخاض منه المعارك من هذا الصنف ، لما كان يختلف عن البنا ، ولسار في نفس الخط السياسي الذي انتهجه علال إلى آخر المدى ، ولكان بإمكانه أن يضيف جديدا على قدر كبير من الأهمية للفكر الإسلامي السياسي الحديث ، يخوله لذلك ما كان يمتاز به من خصال فكرية عالية ومن قدرات عقلية كبيرة ومن استعدادات للتطور في الدائرة العربية الإسلامية .

ويمكن الجزم ، استنادا إلى معايشة طويلة لفكر كنون الإسلامي والسياسي ، بأنه لولا عوامل ذاتية محض ، ليس هذا مجال الخوض فيها ، لاستطاع كنون أن يتبوأ مكانة عن جدارة في مقدمة الزعامة السياسية جنبا إلى جنب مع علال والبنا والمودودي ، وأضراب هؤلاء من أعلام الفكر الإسلامي السياسي .

لقد لعبت الاستعدادات الفطرية والتركيب النفسي لدى كنون دورا في عزوفه عن دخول المعترك السياسي وفي إحجامه عن الخوض في القضايا السياسية بصفة

---

(42) مصدر سابق ، ص : 352 .

مباشرة . ولهذه الأسباب الخاصة بقي كنون محتفظا إلى آخر المطاف بموقعه الخاص ، مؤثرا العمل في إطار رابطة علماء المغرب وفي الصحافة الناطقة بلسانها وفي المجالس والمنظمات والهيئات الثقافية والعلمية والفكرية في داخل المغرب وخارجه مدافعا عن الفكرة الإسلامية في كل مجلس مبرزا الموقف الإسلامي في كل محفل داعيا إلى العمل بالإسلام واعتماده قاعدة لإصلاح الأحوال والبناء الحضاري من الداخل .

إن التقاء عبد الله كنون مع حسن البنا على أكثر من صعيد ، يؤكده تقديره العميق للدور الذي نهضت به حركة الإخوان المسلمين في مصر ، باعتبارها الجماعة التي حملت مشعل دعوة الأفغاني وعبده وسارت على الطريق التي اختطاها ، وذلك قبل مرحلة اختلاط الرؤى والأوراق التي سادت فترة الخمسينيات في مصر . ونجد كنون يرحب بعودة جماعة الإخوان المسلمين إلى ساحة العمل السياسي الإسلامي ، وذلك في فترة حكم حزب الوفد في أوائل الخمسينيات قبل قيام ثورة الجيش . فتحت عنوان (عودة الإخوان) كتب كنون مايلي [43] :

« كانت الحكومة المصرية في عهد النقراشي باشا قد أصدرت قرارا بحل جمعية الإخوان المسلمين ، ثم تتابع الضغط على هذه الجمعية وقتل رئيسها المجاهد المبرور الشيخ حسن البنا رحمه الله ، فظن الخصوم أن أنفاسها قد كتمت وأنه لن تقوم بعد هذا قائمة لدعوة إسلامية من هذا القبيل . والآن وقد عادت لمصر حكومة الوفد فإن قرار الحل قد ألغي وعاد الإخوان إلى نشاطهم المعهود وعملهم في سبيل إحياء مجد الإسلام وبعث الروح الدينية في نفوس شباب الجيل الذي تتقاذفه الأهواء وتستدرجه النزعة الإلحادية إلى تضييع شخصيته وتقويض كيان أمته . فالله تعالى يوفق الإخوان ويعينهم على تجديد شباب الإسلام وإعلاء كلمته على الكَلِم » .

وقد استمر كنون مؤيدا للخط الإسلامي العام الذي تسير عليه جماعة الإخوان ، معتبرا اتجاهها اتجاها إسلاميا صرفًا ، ومتخذًا موقفا إسلاميا شجاعا إزاء المحنة التي أصابت

---

(43) مجلة (لسان الدين) ، العدد : 5 ، السنة : 5 ، مايو 1951 .

الإخوان في الخمسينيات والستينيات في عهد عبد الناصر في الوقت الذي لم ينقطع تردده على القاهرة خاصة بعد التحاقه عضوا بمجمع اللغة العربية في مطالع الستينيات وانتخابه فيما بعد عضوا مؤسسا في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الذي حل محل هيئة كبار العلماء . وكان الإعراب عن مواقف تأييد وتعاطف مع الإخوان في هذه الفترة يسبب لأصحابه كثيرا من المتاعب .

ونستطيع أن نؤكد أن كنون كان أكثر تقاربا والتقاء وانسجاما مع حسن البنا منه بمن خلفه على زعامة جماعة الإخوان . ولذلك فإن التعاطف الذي ظل كنون يبديه مع الإخوان كلما سنحت الظروف كان مرتكزا أساسا على التجاوب مع الفكرة لا مع التنظيم ، ومع الأهداف الإستراتيجية لا مع الأساليب التكتيكية . ولعل كنون يلتقي هنا مع رهط كريم من مفكري الإسلام في هذا العصر الذين تجاوبوا مع دعوة جماعة الإخوان وأيدوا الفكرة التي تنادي بها ، ولم يصدر عنهم ما يتعارض مع هذه الفكرة على نحو من الأنحاء . ويأتي في مقدمة هؤلاء علال الفاسي الذي دافع عن الإخوان حين اضطهدوا ، وأيد أفكار كتابهم ومواقف قادتهم ، وهو الزعيم الرائد للحركة الوطنية في بلاده ورئيس حزب يكافح من أجل عزة الإسلام وكرامة أهله بالأساليب الديمقراطية وعبر القنوات الدستورية .

ونخلص من تأكيد هذا التقارب بين كنون وإحدى كبريات الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي إلى أن الأفكار الإسلامية الأصيلة تتجاوب مع بعضها البعض تلقائيا وإن اختلفت السبل بأصحابها . ولقد كان كنون مفكرا من مستوى عالمي مما وضعه في صف واحد مع فكر جماعة الإخوان المسلمين في أسسه المذهبية ، خاصة في المرحلة الأولى من قيامها على عهد زعيمها حسن البنا .

2) حقوق المرأة عند كنون والهضيبي والمودودي

لكن تطور فكر كنون والقدرة التي كان يملكها للتكيف مع العصر وانفتاحه الواسع على الدنيا من حوله وفهمه العميق لروح مقاصد الشريعة الإسلامية ، كل

ذلك جعله يتخذ مواقف يسبق بها بعض المدارس الإسلامية سواء في مصر أم في باكستان البلدين اللذين عرفا نشاطا إسلاميا سياسيا بلغ درجة من النضج والتفتح لم يبلغها هذا النشاط في بلد آخر . ويتجلى هذا بصورة واضحة في موقف كنون من قضية (مشاركة المرأة في الحياة السياسية) التي ثار حولها جدل كثير لا يزال مستمرا إلى اليوم . ففي سنة 1952 كتب كنون افتتاحية في مجلته [44] تحت عنوان (حقوق المرأة السياسية) عالج فيها الموضوع من زاوية التعقيب على ما كان يروج في الأوساط المصرية من نقاش سياسي وإسلامي حول إمكانية دخول المرأة الحياة السياسية . وهنا نجد الرأي الذي تبناه كنون بخصوص هذه القضية السياسية الهامة ، التي شغلت الرأي العام الإسلامي في العقود الأولى من هذا القرن ، مطابقا تماما للرأي الذي أعلنته جماعة الإخوان المسلمين في مصر ، ومختلفا تمام الاختلاف مع اتجاه الجماعة الإسلامية في باكستان . يقول كنون : « لقد أعجبت كثيرا بجواب المرشد العام للإخوان المسلمين ، الأستاذ حسن الهضيبي ، عن هذه المسألة الذي قال فيه : من رأيي أن تتعلم المرأة شئون دينها أولا ، فإذا تم لها ذلك ، وأصبحت عالمة بما يجوز لها وما لا يجوز ، كان من حقها بناء على هذا العلم أن تتصرف في شئونها وتشترك مع الرجال في الرأي ، وتبدي رأيها في دخولها البرلمان أو عدم دخولها . وعلق كنون على ذلك بقوله : « هذا الجواب من أسلوب الحكيم » . وبعد أن يورد وجهتي نظر الفريقين ، الذي يقول بعدم جواز انتخاب المرأة للبرلمان ومساواتها للرجل في الحقوق السياسية ، والذي يقول بجواز ذلك ، يبين رأيه على النحو التالي : « يعتمد حضرات المشايخ على الفرق الطبيعي بين الرجل والمرأة في المزاج والتكوين ، فيفرقون بينهما في هذا الأمر كما فرقت الشريعة بينهما في كثير من الأحكام ، فجعلت القوامة للرجل على المرأة وجعلت الطلاق بيد الرجل .. إلخ ، ويأخذون من قوله تعالى : ﴿ وقرن في بيوتكن ﴾ أن مهمة المرأة الطبيعية هي تدبير المنزل وتربية الأولاد .. وهذا صحيح ، ولكنه لم يمنع في نظر حضرتهم من توليها

---

(44) لسان الدين ، العدد : 7 ، السنة : 6 ، يوليو 1952 .

لمهمة التعليم والتطبيب والتوظف في بعض المصالح الاجتماعية ، فيقاس على ذلك كل ما لم تمنعه الشريعة نصّا إذا استوفيت الشروط ووجدت الموجبات . وقد قلنا إن النادر من النساء اللائي يطلبن حق الانتخاب ، فإذا قمن بواجبهن في البيت وبقي لهن مع ذلك فراغ لهذه المهمة وهي النيابة أو التصويت لمن يعلمن أنه أحق من غيره ، فما المانع من ذلك ؟ إنه ليس في طبيعتهن ما يحول بينهن وبين النيابة أو التصويت ، و حكم التصويت في الدين حكم الوكالة من باب لا فرق . ولا نحتاج أن نرقي به إلى حكم المبايعة التي يستشهد بها المجوّزون ويبطل حضرات المشايخ هذا الاستشهاد بلا حجة . وأما النيابة فحقا أنها تتعرض لما تستدعيه الانتخابات من الاختلاط والمساومة والخلوة مع الأجانب ، وغير ذلك ، وهذا يمكن تفاديه بقصر انتخاب النساء على النساء أو بضابط آخر يدرأ تلك المفسدة » .

3) موقف من الحقوق السياسية للمرأة

ينتقل كنون إلى جانب آخر من هذه القضية التي تعتبر من أعقد القضايا التي أثارت كثيرا من الخلافات في أوساط المدارس الإسلامية السياسية الحديثة ، والتي هي من صميم المسائل السياسية التي شغلت شطرا من اهتمامات الفكر الإسلامي السياسي في هذا العصر ، فيقول : « بقي كونه ــ أي الانتخاب ــ يؤدي إلى عضوية البرلمان وهي من الولايات العامة التي لا تجوز للمرأة ، لأنها ولاية سن القوانين والهيمنة على تنفيذها وهي خاصة بالرجل . ولا أدري كيف يصح هذا ؟ وكتب السنة عامرة بما نقل عن نساء الصحابة فضلا عن أمهات المؤمنين من الفتاوى والأحكام التي صدرت منهن عن رأي واجتهادٍ لا عن رواية وأخبار ، وليت شعري هل يُرد اجتهادُ المرأة ولو صادف الصواب لكونه اجتهاد امرأة فقط ؟ » .

ويصل كنون إلى فصل الخطاب بعد أن أتى بأمثله دامغة من عصر الإسلام الأول ومواقف الصحابة من اجتهاد المرأة فيقول : « .. وإلى هنا نكون قد بددنا الشبه التي تعرض لأمر انتخاب المرأة للبرلمان وحتى لولايتها القضاء والوزارة

لاسيما وهي في ولايتها لذلك داخلَ إطار الحكم النيابي الدستوري الذي لايبعد عن نظام شورى الإسلام [45] غير مستقلة بالرأي والعمل بل معززة مؤيدة بإشارة ومعونة باقي أعضاء المجلس ورئيسه فلا ضير عليها ولا تثريب » .

ويخلص كنون من هذا إلى القول بأن « الذي لا تصح ولايتها له ، لأنه ورد فيه النص صريحا لا مجال للرأي معه ، فهو الإمامة العظمى أي الملك ورياسة الجمهورية بل ورياسة الوزارة والبرلمان أيضا ، وهي الولايات التي ينبغي أن تسمى ولايات عامة ، وينطبق عليها الحديث الصحيح (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) ، فالملك بولاية العهد أو بالانتخاب ورياسة ، الجمهورية ورياسة البرلمان هي ولايات عامة لأمور الدولة وشئون الحكم ورياسات ليس فوقها رياسة فلا يجوز أن تتولاها امرأة لمنافاتها للقوامة التي جعلها الله للرجال على النساء » [46] .

وقد قاس كنون هذا الرأي على الواقع المعاصر في الخمسينيات حين لم تكن المرأة قد وصلت إلى منصب رئيس الحكومة ، ولذلك استشهد في عدم جوازه تولي المرأة إحدى وظائف الولاية العامة كرياسة الوزارة بما هو قائم في عصره ، وقال بهذا الخصوص : « هذا هو الواقع في العالم الغربي اليوم : فباستثناء الملك الذي تخوله ولاية العهد ــ عندهم ــ لم نر امرأة تولت رياسة الجمهورية ولا رياسة الوزارة وهو أمر جد طبيعي كما لا يخفى » .

على الرغم من هذا الموقف المحدد من قضية ولاية المرأة ، فما نعتقد أن كنون لو اطلع على كتاب محمد الغزالي فإنه يخالفه الرأي فيما ذهب إليه ، لما عُرف عنه من مسايرة

---

(45) ها هو ذا كنون يثبت بكيفية واضحة أن الحكم النيابي الدستوري لا يبعد عن نظام شورى الإسلام ، مما يؤكد أن الإطار العام لتنفيذ حكم الشرع في النظام الإسلامي لا يفترض فيه أن يكون إطارا جامدًا .

(46) يجب وضع رأي كنون في هذه المسألة في إطاره الزمني . لأنه كتبه في وقت ثار فيه الجدل حول موضوع مشاركة المرأة في الحياة السياسية على مستوى دخول البرلمان لا على مستوى ممارسة السلطة التنفيذية في هرمها الأعلى . أما اليوم فإن بعض المفكرين الإسلاميين يقولون بجواز تولي المرأة المسلمة السلطات العليا كرياسة الوزارة ورياسة البرلمان مثلا . ومنهم محمد الغزالي في كتابه (السنة بين أهل الحديث وأهل الفقه) .

ذكية ورشيدة لروح العصر ، وفهم مستنير لمقاصد الشريعة ، وإيثار فطن للمصلحة العامة في المقام الأول ، وبُعد عن النظر الفقهي الضيق من زاوية تلغي العصر والمصالح المرسلة إلغاء . لقد اشترط كنون ، بصفة إجمالية في ممارسة المرأة لحقوقها السياسية « أن تكون متقيدة بأوامر الدين والخلق الكريم ، فإذا كان الإسلام يبيح لها أن تنتخب للبرلمان وتُنتخب وأن تتولى الولايات المختلفة غير الولايات العامة فليس معناه أنه يبيح لها الاختلاط بالرجال في غير ضرورة وعلى حالة من التبرج لا يرضاها الله ولا الرسول ، ولعل هذا هو ما حدا بحضرة المشايخ إلى القول بالمنع من هذه الحقوق السياسية سَدًّا للذريعة » (47) .

وعلى الرغم من ذهاب كنون إلى هذا المدى في تجاوز ما هو مألوف ومتبع من آراء بخصوص قضية من أكثر قضايا الرأي إثارة للجدل في ساحة الدعوة والعمل الإسلامي ، فإنه حرص دائما على المرابطة داخل حصن الفكر الإسلامي الأصيل ، رافضا كل دعوة للانسياق في تيارات تغريبية أو التورط في دعوات لا تمثل حقيقة الإسلام وجوهره . ولذلك كان رأيه في قضية حقوق المرأة السياسية نابعا من الشعور بضرورة تحريك الواقع الإسلامي ونبذ التخلف في الدائرة الإسلامية والانطلاق في آفاق البناء الحضاري الراسخ والمتميز بخصوصية الإسلام . ويقوم هذا الموقف الوسط الآخذ بمبدأ لا إفراط ولا تفريط انطلاقا من مفهوم (الأمة الوسط) ، التي جعلها الله شاهدة على الناس وعلى الحضارة الإنسانية ، على ثلاث ركائز أساسية :

أولاها : أن الإسلام دين الحركة ، وهو نقيض الجمود ، وأن الحركة تقتضي ديناميكية التفكير لاستنباط الأفكار الجديدة والحلول البديلة للمشكلات التي تطرحها سنة الحياة في التقلب والتغير من حال إلى حال ومن وضع إلى آخر .

ثانيتها : أن الحركية الإسلامية لا تعني بحال من الأحوال الانطلاق والانفلات والضرب في متاهات العقل والخيال بلا هدى ، وإنما هي قائمة على أساس التسليم

---

(47) مصدر سابق .

بقدرة الإسلام على قيادة الحياة الإنسانية والهيمنة عليها عملا بما هو مقرر شرعا من توجيهات وأحكام تصلح لكل زمان ومكان .

ثالثتها : أن البحث عن حلول للمشكلات القائمة ، يقتضي اقتحام المناطق التي ظلت في عصور التراجع الحضاري والضمور الفكري والانحطاط السياسي مقفلة أمام الفكر الإسلامي ، على أن يتم ذلك في إطار من الانضباط الشرعي والتقيد بالأصول وبما هو معلوم من الدين بالضرورة .

لقد اجتهد كنون ـــ سياسيا ـــ داخل هذه الدائرة وأبدى آراءه الجريئة في عديد من القضايا الشائكة ، وظل دائما مثال المفكر الإسلامي الصلب الذي لا تزعزعه الحوادث ولا تنال من عزيمته وإرادته وثباته الظروف ، اشتدت أم خفّت .

4) تحليل واقع العالم الإسلامي من منظور كنون

في أحد مواقف كنون التي تؤكد هذه الخصال الفكرية العالية يعرض لحاضر العالم الإسلامي محللا أوضاعه من وجهة نظر تنتهي به إلى رأي يخالف فيه ما هو مسلم به في بعض الدول العربية والإسلامية ومنها المغرب ، ويقول في هذا المجال [48] :

« **إنه ما من شك في أن حالة الإسلام اليوم هي أقبح مما كانت عليه في الأندلس** [49] ، ولكن المسلمين سوف لأيطردون من بلادهم ـــ وإن كانت بادرة فلسطين لا تحمل على الاطمئنان كثيرا ـــ وإنما الذي يقع وهو جارٍ بالفعل ، أن يُطرد المسلمون من حظيرة دينهم ، وأن يُجردوا من كل ما يميزهم عن غيرهم من شعارات ومظاهر ، وأن ينسلخوا من ربقة الإسلام ورابطته شيئا فشيئا حتى لا يبقى بيدهم

---

(48) مفاهيم إسلامية ، ص : 26 .

(49) نشر هذا الكلام في الطبعة الأولى من (مفاهيم إسلامية) الصادرة ببيروت في سنة 1964 .

إلا هذه القوميات الضيقة التي هي إلى التقاطع أدعى منها إلى التواصل ، وبذلك يحارب بعضهم بعضا مع الأجانب وبدونهم ، وبذلك لا تقوم لهم قائمة بعد ، ولا يزالون يسبحون في فلك المستعمر وإن جلا عن أرضهم » .

وبعد هذا التحليل الذي يقوم على شقين اثنين ، أحدهما مثير للانتباه لما اتسم به من شجاعة نادرة فيما يتعلق بوصف حالة الإسلام اليوم بأنها أقبح مما كانت عليه في الأندلس ، وهو ما يفتح باب الخلاف مع بعض المدارس الفكرية ، وثانيهما أقرب إلى تقرير ما هو قائم فعلا ومعترف به من قبل جميع الاتجاهات الإسلامية في هذا العصر ويقول به مفكرو الإسلام اليوم كلٌّ بلغته الخاصة . بعد هذا التحليل يخلص كنون إلى نقطة هي مثار خلاف على أكثر من مستوى حين يقرر : « **أن فكرة القومية والوطنية** كانت هي أول ما غزا عقول الجيل الراهن من المسلمين ، ولما تخلصت البلاد الإسلامية من الاستعمار السياسي بفضل الشعور الديني لا بفضل القومية والوطنية ، والانقلاب التركي نفسه لا يستطيع نكران هذه الحقيقة ، جاءت **خدعة نظام الحكم عند الغربيين** ، فاستولت على أفكار هذا الجيل ؛ فهذا مغرم بالديمقراطية ، وهذا بالاشتراكية منها خاصة ، وهذا بالشيوعية ، وهذا بغير ذلك . **أما نظام الحكم الإسلامي فلم يعد يشغل حيزا من فكر الزعماء والقادة ، والمتمسلم منهم من يلطخ دعوة الإسلام ودستور القرآن فيصمها بهذه الأسماء المدخولة ، ويتحدث عن ديمقراطية الإسلام والاشتراكية ، وربما في يوم قريب نسمع حديثا عن الإسلام الشيوعي** » .

ويعود كنون في هذه المقام إلى التأكيد على المفهوم المتميز للإسلام ويذهب إلى القول : « لو شبهت هذه الديمقراطية ومذاهبها المختلفة بالإسلام ، لكان ذلك طعنا في حقه ، فكيف يشبه ما أتى به من قيم عليا وتوجيهات سامية بالديمقراطية أو الاشتراكية وما إليهما ؟ . إن هذا النظام الذي لا ضمير له إلا الرشوة ولا قانون إلا الميز ، حرام أن يقاس به النظام الذي جعل صهيبا وبلالا وسلمان في مستوى واحد مع أبي بكر وعمر وعلي » .

ويسمي كنون القطيعة التي وقعت بين العالم الإسلامي وبين الإسلام بالإصْفَاق ، وهي كلمة أقوى في الدلالة على المعنى المقصود . ويقول في هذا الصدد : « وبعد الإصْفَاق على نظام الحكم الإسلامي في العالم الإسلامي كله ، واجه أصحابنا القوانين والأحكام والعقود فلم يترددوا في اقتباس القوانين الغربية ومجلات أحكامها ، بل انتساخها وترجمتها بالحرف ، إنه العجز لا يساعدهم حتى على الاقتباس . **وهكذا بعد أن كان الحاكم يحكم بما أنزل الله صار يحكم باسم غيره ، لأن الغربي أسقط الدين والاعتقاد والشرع الإلٰهي من حسابه** ، فمقلده الذي هو أهون منه لا يمكن أن يكون إلا كذلك ، ولم يحكم باسم الله وهو لا يحكم بشرعه ؟ . اللهم إلا هذه العقدة التي واجهت أصحابنا في كل بلد إسلامي ، وهي **عقدة الأحوال الشخصية** ، فمن حيث أن الأجنبي لم يهتم بها حتى يقننها فيوفر عليهم تعبا كبيرا ، كانوا مضطرين لتبويبها وتفصيلها والتبجح بعد ذلك بأنهم قاموا بأعظم **إصلاح للقانون الإسلامي** ، وإنصاف المرأة المسلمة المهضومة الحقوق المستباحة الحرمة » .

ويبلغ كنون بهذا النقد الحاد للواقع الإسلامي على المستويين السياسي والقانوني درجة عليا في التعبير عن موقفه بصراحة مطلقة ، وإن كان يلاحظ بصفة أساسية أنه كان يصدر في هذا الرأي عن حالة استثنائية ناتجة عن ظروف عاشها أو عاينها عن قرب ، أو عن تتبعه الدقيق لما يجري في العالم العربي الإسلامي وانفعاله بذلك ، لأن أسلوب الخطابة السياسية يطغى هنا على الأسلوب الذي طبع كتابات كنون كمفكر بالغ الاتزان والروية . ونتيجة لذلك انتهى به المطاف في هذا النص إلى الباب المغلق وهو القطيعة مع كل الوسائل السياسية المتاحة . ولعل مما يثبت خضوع هذه الآراء إلى حالة استثنائية وليدة ظروف عارضة تلبست الكاتب ، أنه يقول في كتابات أخرى كما رأينا بالنظام النيابي ويقبل بالأسلوب الديمقراطي وسيلة لإقامة النظام الإسلامي . وفي كل الأحوال فإن كنون يبدو منسجما مع طبيعة المفكر الحر الذي لايدع للجمود سبيلا إلى السيطرة عليه وينفعل بالأحداث التي تحيط به وبالملابسات التي تكتنفه . وهذا الوضع طبيعي وليس يمس بمصداقية الكاتب والمفكر على كل حال . والمسألة هنا لا تعدو المجال الذي تتغير فيه وجهات النظر بتغير المكان والزمان

ولا صلة لها بتاتا بالمبادئ الأساسية التي لا سبيل إلى التفريط فيها مهما تكن الدواعي والضغوط والظروف .

ونعود إلى مسألة النظام النيابي الذي هو حجر الزاوية في النظام الديمقراطي والذي يتأرجح رأي كنون بشأنه بين القبول والرفض فنجد مؤلف كتاب (أزمة الفكر السياسي الإسلامي في العصر الحديث) يلتمس مخرجا من الأزمة التي يطرحها موقف بعض المدارس الإسلامية من هذا النظام . ويقول [50] : « على أنه مما تجدر ملاحظته أنه إذا لم يكن في القرآن ولا في السنة ما يفرض الأخذ بنظام الانتخاب العام فإنه **ليس ثمة ما يحول — في بلد إسلامي — دون الأخذ بهذا النظام إذا اقتضت المصلحة ذلك** ، ولكن ثمة فارقا هائلا بين الرأي الذي نعارضه ، وهو أن الإسلام يفرض هذا النظام في كل زمان ومكان ، وبين الرأي الذي نقول به وهو **إذا تبين للمشرع الإسلامي أن المصلحة تقتضي الأخذ بهذا النظام فليس في الشرع ما يحول دون ذلك** . فالرأي الأول (الذي نعارضه) يجعل من هذا النظام الانتخابي مسألة دينية ، أما الرأي الذي نقول به فهو يجعل منه **مسألة اجتماعية سياسية تتغير بتغير تلك الظروف الاجتماعية والسياسية** . الرأي الأول يصبغ أحكام الشريعة بصبغة الجمود وفي ذلك شر تصاب به شريعة من الشرائع ، أما رأينا فهو يتفق مع ما عرفت به أحكام الشريعة ، في ميدان المعاملات ، من المرونة ومسايرة التطور ومراعاة المصلحة .

ونحن نميل إلى اعتبار الرأي الذي عبر عنه كنون في النص السابق مما يدخل في إطار ما عبر عنه د . متولي بقوله (المسألة الاجتماعية والسياسية التي تتغير بتغير الظروف الاجتماعية والسياسية) ونحكم على فكر كنون من خلال هذا الاعتبار الذي ثبت لدينا رجحانه بما لا يرقى إليه الشك .

---

(50) أزمة الفكر السياسي الإسلامي في العصر الحديث : مظاهرها ، أسبابها ، علاجها ، د . عبد الحميد متولي ، ط : 2 ، ص : 267 .

5) موقفه من فكرة (الوطنية)

أما ما ذهب كنون إليه من رده النكسة التي أصابت العالم الإسلامي إلى فكرة (الوطنية بخاصة فهو عندنا مسألة في حاجة إلى مزيد من التأمل لسبب موضوعي هو أن كنون نفسه انخرط في الوطنية المغربية وكان أحد ألمع نجومها في مرحلة مبكرة من حياته ولم يعرف عنه سوى مؤازة العمل الوطني مؤازرة كاملة فاق فيها بعض أبناء جيله وظل هذا دَيْدَنَهُ حتى وهو خارج نطاق الأحزاب حين اختار العمل في دائرة العلم والثقافة والدعوة والعمل الإسلامي العام [51] .

وعلى هذا الأساس فإن مفهوم الوطنية في المغرب يختلف عنه في الشرق العربي الإسلامي فهي وطنية إسلامية مؤمنة و لم تكن قط وطنية عرقية علمانية . وكنون أول من يدرك هذا الفرق الجوهري ، ولعله قصد إلى ما كان عليه الوضع في بعض الدول العربية والإسلامية التي تنكرت لدينها وجردت الوطنية من مضامينها الإسلامية .

إن وطنية كنون وعلال في المغرب ، ووطنية ابن باديس والإبراهيمي في الجزائر ، ووطنية البنا في مصر على طرفي نقيض مع مفهوم الوطنية عند المودودي ـــ مثلا ـــ نظرا إلى المحيط الذي كانت الجماعة الإسلامية في الهند وباكستان تتحرك داخله بحكم وجود الأغلبية من غير المسلمين بالنسبة للهند التي فيها برزت الجماعة الإسلامية . وبهذا المعنى يمكن فهم موقف الحركات الإسلامية عموما من الفكر الوطني والقومي . ودائما هناك اختلاف بين الوطنية التي قادت معارك التحرير والاستقلال في البلاد العربية وأدت إلى إجلاء المستعمر ، وبين القومية العربية التي حاربت الخلافة الإسلامية في المشرق العربي ، فقد كانت الأولى وطنية مؤمنة مخلصة للإسلام ومهتدية

---

(51) كان كنون عضوا عاملا نشيطا في كتلة العمل الوطني أولاً ثم في الحزب الوطني الذي تزعمه علال الفاسي وذلك امتدادا لعمله السياسي داخل كتلة العمل الوطني التي سبقت ظهور الحزب ، وإذا كان آثر البقاء خارج دائرة حزب الاستقلال بعد تجديده في سنة 1944 والذي هو الحزب الوطني باسم جديد فقد بقي من أنصاره والمتعاطفين معه .

به ، بينما كانت الثانية قومية لا دينية قامت على عقيدة فصل الدين عن الدولة . وهذا هو المعنى الذي يقصد كنون إليه قطعا ، وفيه يلتقي مع علال الفاسي لما يجمع بينهما من وحدة المنطلق والفهم المشترك لدور الوطنية المغربية في بلورة الفكر الإسلامي وتقوية تياره على النحو الذي يجعل الوطنية في المغرب وطنية إسلامية بالقدر الذي يجمع في وعاء واحد بين العروبة والإسلام.

لقد استحدث الفكر الإسلامي للعروبة مضمونا جديدا ومعيارا جديدا [52] . ولذلك فإن عروبتنا ــ بهذا المعنى ــ هي عروبة إسلامية ، من صنع الإسلام ونحن نقول قياسا على ذلك ، إن وطنيتنا ــ بهذا المفهوم ــ هي وطنية إسلامية ، من صنع الإسلام . لقد مثل الإسلام « النواة » التي تبلورت من حولها حضارة عربية إسلامية [53] دخلت في نسيجها مواريث عربية سبقت ظهور الإسلام ، ومواريث غير عربية لشعوب فتحها العرب المسلمون ــ من العرب وغيرهم ــ عرب وغير عرب لم يتدينوا بالإسلام .. كما مثلت الجماعة العربية المسلمة نواة الأمة الجديدة التي اندمجت فيها والتحمت بها الجماعات والقبائل والشعوب التي انخرطت في هذا المد الجديد [54] .

وهذه الحقيقة التاريخية تنطبق على تاريخ المغرب ، وقد كرس كنون جزءا من حياته لتأكيد هذا المفهوم خاصة في موسوعته الفريدة : (النبوغ المغربي في الأدب العربي) ، ومثيلتها التي نُشِرَ منها أربعون حلقة : (ذكريات مشاهير رجال المغرب) ، وسلسلة : (شخصيات مغربية) التي نشرت في الصحافة . وتنحو هذه الكتب الرائدة منحى واحدا هو إبراز تمازج العروبة والإسلام بالمغرب مما يؤكد أن معنى العروبة والوطنية بالمغرب مرتبط بالإسلام تمام الارتباط . (أما الذين يتبنون مفاهيم الغرب في القومية ، فيقيمونها على العرق والعنصر والعصبية الجنسية ،

---

(52) الغزو الفكري : وَهْمٌ أم حقيقة ، د . محمد عمارة ، دار الشروق ، ط : 1 ، ص : ق 7 .
(53) مصدر سابق ، ص : 86 .
(54) مصدر سابق ، ص : 86 .

ويجردونها من مضمونها الإسلامي المتميز ، ويستبعدون منها ـــ بالعلمانية ـــ علاقتها العضوية بالإسلام ويقفون باهتماماتهم عند حدود الدائرة القومية ، مسقطين ـــ في الحالة العربية مثلا ـــ ما وراء الخليج والمحيط ، فإنهم ، ولا شك رافد تغريبي في المسألة القومية .. يمثلون نموذجا للغزو الفكري في هذا الميدان [55] .

6) مفهومه للفكر القومي

فإذا كان كنون يرى أن نكسة العالم الإسلامي ارتبطت بظهور الفكر القومي بالمعنى العلماني اللا ديني القائم على أساس فصل الدين عن الدولة فهو مصيب في هذا الرأي إلى أبعد الحدود . فلقد كان تآمر القوميين العرب على الخلافة الإسلامية أبرز ما طبع أحداث القرن الرابع عشر الهجري مما نتج عنه تمزق دولة الخلافة إلى كيانات ودول . ولكنون رأي في مسألة الخلافة الإسلامية جدير بالتنبيه إليه في هذا السياق لأنه من جهة يلقي الضوء على موقف سياسي بالغ الوضوح هو أصل المدرسة الإسلامية السياسية عند كنون ، ومن جهة أخرى يكشف عن وجهة نظر مستنيرة حيال قضية سياسية أثارت جدلا واسعا في الوسط العربي والإسلامي امتدت آثاره إلى يومنا هذا ، وأقصد بها قضية (**الدولة الإسلامية**) ، وهل الإسلام (**دين ودولة**) ، أم هو (**عقيدة وعبادة**) ، أم (**عقيدة وشريعة**) بتعبير آخر .

---

(55) مصدر سابق ، ص : 88 . وتجدر الإشارة إلى أن د . محمد عمارة كان ممن يقفون باهتماماتهم عند حدود الدائرة القومية إلى وقت قريب قبل أن يهتدي بفطرته وعقله المستنير إلى الفهم الإسلامي الصحيح . ولعل هذه الميزة هي التي تعطي للاستشهاد بأقواله قيمة أكثر .

الفصـل الرابـع

الخلافة في فكر عبد الله كنون

الفصل الثاني

[illegible] بعد [illegible] في الإسلام

1) مفهوم السياسة الإسلامية عند كنون

يسجل كنون رأيه في مسألة الخلافة الإسلامية ، وهي من أخطر قضايا الفكر الإسلامي السياسي قديما وحديثا ، في مقال له نشر في مجلة كان يصدرها عبد الوهاب بن منصور في الأربعينيات وضمه كتابه (مفاهيم إسلامية) وذلك تعليقا على إحدى الرسائل الواردة إليه من القاهرة ورد فيها هجوم عنيف على (السياسة الإسلامية) والخلافة . وحتى تتبين خيوط هذه المسألة لابد من نقل فقرات مطولة من الرسالة التي نشرها كنون ضمن مقاله [56] :

وقد اهتمت صحف مصر بزيارة جلالة الملك لطنجة [57] اهتماما كبيرا ، وهي تنشر كل يوم تفاصيل هذه الزيارة على الصفحة الأولى وتشغل أعمدة كثيرة بل صفحة بأكملها ، وعلقت على التصريح الذي صرح به جلالة الملك لأعضاء السلك السياسي الذي جاء فيه : « لقد اشتركت مراكش في الحرب ، وأنه من العدالة أن تنال حقوقها الشرعية التي تتمناها ، وتلك الحقوق تتألف منها الأماني الشرعية عند الشعوب الأخرى وتلائم الوقت الحاضر . غير أني لم أرتح لتعليق رئيس الوزارة الفرنسية المسيو بول رماديه الذي جاء فيه : « لكي يتسنى تقدير التصريح الذي فاه به عظمة سلطان مراكش في طنجة يجب أن ننظر إليه على ضوء الحالة السياسية على حقيقتها ، إن عظمة سلطان مراكش هي أنه الوحيد من سلالة النبي عليه السلام وقد وضعه العالم العربي في وضع خاص ، إنه لم يطالب بالخلافة التي اختفت من العالم العربي منذ قيام الجمهورية التركية ، وهكذا فإن له مكانة خاصة من الناحية الدينية ، وأيا كان الوضع فإنه يستطيع أن يلمح كما سبق أن فعل في عدة مناسبات .. إلخ .. »

---

(56) مفاهيم إسلامية ، ص : 31 .

(57) زار الملك محمد الخامس قدس الله روحه مدينة طنجة في يوم 9 / 4 / 1947 .

وتمضي الرسالة فتقول : ومسألة الخلافة هي مسألة قضى عليها الزمن وماتت إلى غير رجعة ، فلا يصح لنا في هذا العهد الذي ننشد فيه الحرية ورد الاعتبار إلى شعبنا والاتصال بالعالم الخارجي والجامعة العربية ، أن نربط سياستنا بالدين ، فقد ذهب عصر التعصب الديني عهد الحروب الصليبية . ولا أدري كيف نوفق بين أمانينا في الارتباط مع الجامعة العربية وهذه السياسة الدينية ، وهناك شعوب إسلامية كثيرة حتمت عليها الظروف العالمية أن تغير هذه السياسة وتتمسك بالعروبة . ومن جملة هذه الشعوب شعب مصر ، فهو ليس شعبا عربيا ، ومع ذلك فقد تمسك بهذه السياسة التي حبذها الكثير من المفكرين في مصر والشرق العربي ، وهي أن أية أمة لغتها العربية يجب أن تدعى أمة عربية ، ولذلك فإني أقترح عليك أن تسمي مدرستك بالمدرسة العربية بدل المدرسة الإسلامية [58] التي سمعت أنك سميتها بهذا الاسم . أما هذه الحركة الإسلامية التي تظهر في بعض الشعوب فما هي إلا سموم استعمارية يبثها المستعمر للتفرقة بين المواطنين كما فعل الإنجليز في الهند ليؤخروا حركة الاستقلال الهندي ، فدفعوا (علي جناح) ليقوم بحركته المعروفة وهي مطالبته باستقلال المسلمين عن الهندوس ، ونتيجة هذا التعصب تظهر دائما في هذا القتال الطائفي الذي لم يفتر منذ استعمر الإنجليز الهند . وكم حاول الإنجليز أن يثيروا هذه الدسائس في مصر بين المسلمين والأقباط ، ولكن سياستهم كانت تفشل دائما لأن المصريين أعقل من أن يقعوا في هذه الدسائس وهم دائما يصرحون بأنهم مصريون قبل كل شيء . ثم لما أخذت الجامعة العربية تعارض سياسة الإنجليز أخذوا يعملون من وراء الستار لكي يبذروا الشقاق بين أعضاء الجامعة العربية ؛ فظهرت مسألة سوريا الكبرى على يد ملك شرق الأردن ، وهو معلوم في الشرق بأنه ينفذ سياسة الإنجليز ويخدم مصالحهم الاستعمارية أكثر مما يطلبون ، وهذا الذي أخر حركة الشعوب الإسلامية الشرقية ، وما أعقب من زيارته لتركيا .

---

(58) هي المدرسة التي أسسها كنون بطنجة ، وكانت من رائدات المدارس العربية الإسلامية بالمغرب وتخرج منها جيل تلو جيل من حملة الروح العربية الإسلامية .

وهذه الحركة كان يراد بها القضاء على الجامعة العربية ، وعلى زعامة مصر لهذه الجامعة وانتزاع هذه الزعامة منها ؛ لأن مصر اليوم أصبحت تعارض سياسة الإنجليز ، ولذلك فالإنجليز يريدون أن يعطوا هذه الزعامة لتركيا الحليفة التي تنفذ سياستهم ضد الروس ، **ولقد لاحظت هذه السياسة الإسلامية في الخطاب الذي أرسله جلالة ملك المغرب إلى جلالة ملك مصر بمناسبة عيد ميلاده ، فلقد تعرض الملك لهذه الحركة الإسلامية** . ويكفي أن أذكر لك أن خطاب جلالة **ملكنا هو الخطاب الوحيد الذي تعرض لهذه المسألة من بين سائر خطابات ملوك الدول العربية** ورؤسائها ، **فما كان من جلالة ملك مصر إلا أن تعرض كارها لهذه النقطة في رده على جلالة ملك المغرب** [59] .

ولقد أولى كنون هذه الرسالة عناية كبيرة ورد عليها ردّاً ذا أهمية بالغة انطوى على آراء صريحة في السياسة الإسلامية تبرز أهم ملمح من ملامح شخصية كنون الإسلامية .

ويبدأ كنون الرد بهذا التساؤل الذي صاغه في ثلاثة محاور أساسية :

أولا : هل صحيح أن الخلافة ذهبت إلى غير رجعة ؟ .

ثانيا : وهل صحيح أن الارتباط بالجامعة العربية لا يصح مع التعلق بالدين ؟ .

ثالثا : وهل صحيح أن التمسك بالسياسة الإسلامية تعصب ديني ، ورجوع إلى عهد الحروب الصليبية ؟ .

---

(59) إلى هنا تنتهي الرسالة التي وردت على كنون من أحد المغاربة المقيمين آنذاك بالقاهرة . وهي رسالة ذات أهمية خاصة لما تضمنته من آراء حول العلاقة بين العروبة والإسلام والموقف من (الحركات الإسلامية) و (الجامعة الإسلامية) و (الخلافة الإسلامية) ، ولهذا السبب فيما نرى حرص كنون على نشرها مرتين ؛ الأولى في مجلة أدبية والثانية في أول كتاب له يجمع فيه مقالاته الإسلامية التي كتبها في فترة الحماية . وواضح أن صاحب الرسالة متشبعا بالفكرة العلمانية ، ولعله كان قريبا من محيط حزب الوفد الذي تأسست جامعة الدول العربية على يد زعيمه مصطفى النحاس رئيس وزراء مصر عهدئذ .

ونحن نرى أن هذا التساؤل ذا المحاور الثلاثة لا يزال يتردد في المحافل الفكرية والسياسية ، ولا يزال رجال الفكر الإسلامي ودعاة السياسة الإسلامية يواجهون به إلى يومنا هذا ، وذلك على الرغم من قيام أجهزة سياسية دولية تجسدت فيها — على نحو من الأنحاء — التوجهات الإسلامية في العلاقات الدولية وتكاملت بها حركة جامعة الدول العربية وجهودها السياسية دعما للوجود العربي .

إن أهمية ردود كنون على هذه القضايا المطروحة تأتي من أنها تعرّف — تعريفا دقيقا — بفكره الإسلامي السياسي . ولهذا الغرض فإننا نرى الفائدة كلها في نقل هذه الردود مفصلة . يقول كنون [60] :

« .. هذه أفكار زائغة جدا عن الحق والصواب ، ولو أنها قيلت في سنة 1922 حين طغت موجة الإلحاد والشك على مصر والشرق لما وجدت من يقبلها ، ولزيفتها الأقلام المثقفة تزييفا ، فكيف بعد أن تقررت السياسة الإسلامية في الشرق كله ، لا فرق بين عربية وعجمية ، وعادت الطمأنينة الروحية إلى النفوس ، فلم تعد تساورها النزعات المادية الممقوتة — يقول قائل إن التمسك بالسياسة الإسلامية تعصب ديني ورجوع إلى حافرة العهود الصليبية ؟ .

« إن مصر بلد إسلامي ، وفيه أكبر جامعة إسلامية في العالم ، كل هذا وغيره مما لانحتاج إلى تعداده يطبع مصر حكومة وشعبا بالطابع الإسلامي الخالد ، ويثبت دعائم سياستها الإسلامية التي لا تخفى على ذي عينين ، فلم لم يمنعها ذلك من الاتصال بالجامعة العربية بل من أن تكون مركز دائرتها وقطب رحاها » .

« وهل أتاك نبأ الأمين العام لهذه الجامعة وبماذا أدرك هذا المنصب السامي ؟ . نحن لم ندرك زمن كان عبد الرحمان عزام محاربا إلى جانب الجيوش التركية — جيوش الخلافة الإسلامية — في حرب طرابلس الغرب ضد المغيرين من الطليان ، ولئن كنت أنا مولودا في ذلك الوقت فإني لا أثبت الحادث ، وهل كانت هذه الحرب حربا

---

(60) مفاهيم إسلامية ، ط : بيروت ، ص : 32 .

عربية أو إسلامية ، والزمن زمن الترك ، والجامعة العربية لازالت لم يعلق جنينها بفكر العرب بعد ؟ » .

« ثم إني أثبت بالأمس القريب المؤتمر الإسلامي العام الأول المنعقد من أجل فلسطين وقد كان الصوت المدوي فيه من مصر ، بل من الأقطار العربية جمعاء هو صوت عزام ، في حين كان غيره من الساسة العرب يتحفظون تحفظا كبيرا في ذلك الوقت إزاء مسألة فلسطين . **فهذه الروح الإسلامية الكبيرة هي التي رفعت عزام باشا اليوم إلى أمانة الجامعة العربية العامة ، وبذلك نعرف أن التعلق بالدين لا ينافي الارتباط بالجامعة العربية** [61] » .

لم يكن التعصب الديني شعار المسلمين قط ، والإسلام دين التسامح والإخاء البشري المطلق ، ولم يكن في الإسلام عهد للحروب الدينية أصلا .. وأما الحروب الصليبية فإن عارها يرجع إلى من شنها على المسلمين الآمنين المطمئنين في أرضهم وبلادهم بدون حجة ، ولا سبب إلا المطامع والأهواء ، والجهل المطبق بحال المسلمين الذي كانوا في ذلك الوقت أرق منهم أخلاقا وأفكارا وحضارة مادية وأدبية بشهادة المنصفين من كتابهم ومؤرخيهم :

ومليحة شهدت لها ضراتها
والحق ما شهدت به الأعداء

« .. وإذن فلا تعصب ديني ولا رجوع إلى الحرب الصليبية من طرفنا ، وإذا كان شيء من ذلك فهو من الخصوم ومن دول الغرب النصرانية التي لا تجد مع الأسف حتى من شبابها المتنور من ينعي عليها سياستها المسيحية ، ويقول لها إن ذلك يتنافى مع الجامعة اللاتينية أو السكسونية أو السلافية أو الأوروبية عامة » .

« .. لقد برح الخفاء ، فهذه منظمة الأمم المتحدة تجتمع إلى مائدتها اثنتان

---

(61) هذه إحدى الحقائق التي وقع تجاهلها في محيط العمل العربي الإسلامي المشترك .

وخمسون دولة من أديان وألوان وأصول مختلفة ومنهم المسلمون ، بل إن المسلمين مبرزون فيهم ، ولقد اضطرت الدول إلى الاعتراف لهم بهذا التبريز فانتخبتهم في لجان الأمن العام والعدل الدولي وغير ذلك ، وما قال لهم أحد إنكم مسلمون ، وإن تمسككم بالإسلام في أنفسكم أو تمسك دولكم به مما يفرق بيننا وبينكم ويصمكم بالتعصب الديني . فليفتح شبابنا أعينهم وليعرفوا سبل الرقي الحقيقي ، **وليعلموا أنه مهما تجردوا عن الدين تماما ، أو صاروا نصارى بالكلية ، فلا أحد يمكن أن يعتبرهم إلا بالعلم والعمل والسعي في سبيل الصالح العام »** .

« .. ولقد ذكرتني هذه التفرقة بين الجامعة العربية والإسلام ، بما نشرته جريدة (البيان) الأمريكية في أحد أعدادها الأخيرة لبعض الغيورين منددًا بالذين يذكرون شكيب أرسلان ويؤبنونه فيقولون عنه فقيد العروبة وفقيد الإسلام قائلا : أي فرق بين العروبة والإسلام ؟ فإن إحدى الكلمتين تكفي عن الأخرى ، وحيث إن العصر الحاضر أسقط اعتبار الدين من حسابه ، فالواجب أن يقال فقيد العروبة وحسب .. وقد أجابته جريدة (البيان) بأن هناك أقطارا إسلامية كبيرة لا علاقة لها بالعروبة ، وكان الأمير يدافع عنها ، ويهتم بقضاياها كاهتمامه بالبلاد العربية أو أشد ، ولهذا فهو فقيد العروبة والإسلام وإن استنكر المستنكرون » .

« .. وشبيه بهذا ما ورد في رسالة صاحبنا من أن برقية جلالة ملك المغرب هي التي أشارت إلى القضية الإسلامية ، فكان أن تعرض لها جلالة ملك مصر كارها ... فليت شعري من أين عرف حضرته كراهة ملك مصر لذلك ؟ . ومن الذي أكره جلالته حتى ارتكب هذا الأمر الذي ليس من النضج السياسي في شيء إذا قدرنا أن جلالة ملكنا ارتكبه وهو لا يدري ما فيه من منافاة لسياسة الجامعة العربية ؟ » .

« .. أما قضية سوريا الكبرى فإنها ليست من هذا السبيل في شيء ، وحقيقتها أنها مشروع إنجليزي ولذلك استنكرها ساسة العرب لا لسياسة عبد الله الإسلامية ، فما من أحد من الناس يأتمن شرق الأردن وحليفته تركيا على الإسلام .. » .

« .. وبخلاف ذلك مسألة الباكستان في الهند ، فإنها قضية وطنية حقيقية ، ونجاحها نجاح للعروبة والإسلام ، إذ إن تسعين مليونا من المسلمين الهنود إذا كانوا ذوي كيان سياسي مستقل فإنهم قوى عظمى لا يستهان بها ، والهندوكيون والإنجليز يعرفون ذلك ، فهم يتآمرون عليهم ، ويريدون أن يجعلوهم أقلية لا شأن لها في سياسة بلادهم ولا في السياسة الدولية ، فمن يخرج عن فكرة الزعيم الإسلامي جناح هو الذي يساير الاستعمار الإنجليزي ويؤخر قضية الهند والشرق على العموم .

ومن دهاء الزعيم جناح أنه قبل مشاركة أنصاره في الحكومة الوطنية التي عقدت قبل هذا بقليل ، وحضر في مؤتمر لندن الأخير الذي أعرب عن فشل تام لتصلب الهندوكيين وتعصبهم على المسلمين ، فأعذر بذلك للرأي العام البريطاني والدولي عن موقفه ، وعرف الناس حينئذ أن الباكستان هي مسألة حياة أو موت لمجموعة من البشر يفوق تعدادهم عدد سكان بريطانيا مرتين .

« .. **الخلاصة أن السياسة الإسلامية التي تتبعها غالب الأقطار العربية والشرقية هي سياسة موفقة لا تدل على تعصب ديني ، ولا تدعو إلى حروب صليبية كما يتوهم ، بل ليس هناك من يتوهم ذلك حتى الصهيونيون لم يجرءوا على أن يقولوا إن مناهضة العالم الإسلامي لهم بدافع التعصب الديني ، لأن العالم كله يعرف أن ذلك صراع سياسي سيكون النصر فيه للجانب المحق ، وهو الجانب الإسلامي أو العربي بعبارة أخرى** » .

« .. فليهدأ روع من يقلق من هذه المسائل الدينية ، **وليعلم أن المستقبل دائما** للمبادئ الفاضلة ، وهي في جانب الدين ، وللتكتل والاجتماع ومكاثرة الخصوم ، وهذه إن تحققت في جانب العروبة فهي في جانب الإسلام أكثر تحققا .. **وما دامت دول غربية تعد بمائة مليون ومائة وخمسين مليونا فلن يحمي حوزة الشرق والشرق العربي على الخصوص إلا الخلافة الإسلامية التي لن تموت أبدا ، ولو في شكل**

جامعة إسلامية ، أو على الأقل سياسة إسلامية يتبعها المسلمون في جميع الأقطار »[62].

2) العلاقة بين (الخلافة) والسياسة الإسلامية

بهذه النظرة الشمولية إلى حاضر العالم الإسلامي ومستقبله رَدَّ كنون على الأفكار التي تفصل العروبة عن الإسلام وتسقط الدين من حساب السياسة والجدير بالملاحظة ههنا هو موقف كنون من قضية (**الخلافة الإسلامية**) و (**الجامعة الإسلامية**) أو حسب تعبيره (**السياسة الإسلامية التي يتبعها المسلمون في جميع الأقطار**) . فلم يكن من ذوي النظر القصير الذين لا يرون أبعد من مواقع أقدامهم ، أو في أحسن الفروض أبعد من المحيط الذي يتحركون فيه ، وإنما كان مفكرا إسلاميا عالمي الاهتمامات دولي الإنشغالات شمولي الرؤية . ولذلك كان لابد أن ينحاز إلى صف المنادين بالجامعة الإسلامية من الذين يعتبرون سقوط الخلافة الإسلامية كارثة أنزلت بالأمة الإسلامية ، ويلتقي كنون هنا مع صفوة من مفكري الإسلام في هذا العصر الذين أيدوا فكرة الوحدة الإسلامية ولو في مستوياتها الدنيا وعملوا ما في طاقاتهم لبلورة هذه الفكرة في الحياة السياسية والدعوة إليها في كل المحافل .

وفي مقابل هذه الصفوة من المفكرين الأحرار الملتزمين بقضايا أمتهم ظهر دعاة فكرة فصل الدين عن الدولة والتصدي لمحاربة الخلافة الإسلامية ومناوشة كل الاتجاهات التي يتبنى أصحابها التضامن الإسلامي فلسفة وعقيدة .

وإذا كان كاتب مغربي يطعن في مصداقية النظام الإسلامي ويسخر من القول بأن الإسلام دين ودولة مردّدا مقولات المستشرقين وتلامذة الاستعمار الذين تتولى

---

(62) وقد تحقق هذا فعلا ، وقامت (منظمة المؤتمر الإسلامي) التي تضم دول العالم الإسلامي كافة وبذلك انتصرت فكرة التضامن الإسلامي ، وصح ما قاله كنون في أواخر الأربعينيات : « الخلافة الإسلامية لن تموت أبدا ، ولو في شكل جامعة إسلامية ، أو على الأقل سياسة إسلامية يتبعها المسلمون في جميع الأقطار » .

دوائر الغزو الفكري والتغريب تلميعهم في المحيط العربي الإسلامي [63] فإن هذا لن ينال مثقال ذرة من موقف كنون وصحبه في الدفاع عن السياسة الإسلامية والعمل من أجل أن تكون للإسلام دولة تحميه وتقيم شريعته . إن الكاتب المغربي يتناول هذا الموضوع الخطير ــ الذي صدق حين وصفه بأنه (**من أبرز القضايا السياسية الأساسية التي شغلت الفكر العربي الحديث**) ــ بقدر غير قليل من الخفة والاستخفاف والسخرية مما يتنافى والصرامة المنهجية والنزاهة الموضوعية اللتين تقتضيهما الكتابة في مثل هذه الموضوعات الهامة . فبعد أن يستشهد بأقوال علي عبد الرازق من كتابه الذي لم يكتب غيره (الإسلام وأصول الحكم) ويصفها ــ في تهكم ــ بأنها (تصريحات خطيرة ستثور لها ثائرة السلفي لأنها جاءت ــ كما يعتقد خاطئا ويسايره في هذا الاعتقاد جمهور المثقفين الذين لم يقرءوا الردود الدامغة على هذا الكتاب ــ من صفوفه في صورة عقوق وقح ، ينتهي إلى القول (إن الخطاب السلفي تركز حول « سياسة » الماضي ، حول « الخلافة » ، « وحقيقة الإسلام وأصول الحكم » ، و«النظريات السياسية الإسلامية » ، و « نظام الحكم في الإسلام » .. والعناوين كثيرة .. ومع كثرة « المتكلمين » في « سياسة » الماضي من المعاصرين ، ومع تنوع اختصاصاتهم ودرجاتهم العلمية .. فإن المرء لا يسعه إلا أن يسجل أن « حصاد المعركة » لا يتعدى التأكيد على ما كان وما يزال يعتبر في هذا المجال من قبيل البديهيات .. لايتعدى التأكيد على أن [ليس الإسلام .. دينا فقط ، له عقائده المعروفة ، بل هو دين ودولة معا ، ومن ثم يوجب إقامة رئيس للدولة يكون حاكما لها ويجري في حكمه وتدبيره وسياسته لأمور الدولة على ما جاء به القرآن والسنة النبوية من مبادئ وأصول [64] أو على أن الحكومة الإسلامية الشرعية ليست هي الحكومة التي تعمل وفقا للقانون الطبيعي .. وليست أيضا التي تعمل وفقا للقانون السياسي .. أو القوانين الوضعية .. وإنما الحكومة الإسلامية هي التي يكون قانونها

---

(63) الخطاب العربي المعاصر : دراسة تحليلية نقدية ، د . محمد عابد الجابري ، ط : 1 ، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ، ص 59 ــ 76 .

(64) ينقل الجابري هذه الفقرات من كتاب (نظام الحكم في الإسلام) لمؤلفه د . محمد يوسف موسى .

شرع الإسلام ، وهو الذي يستمد مبادئه من القرآن والسنة][65] .

ويواصل الكاتب المغربي الهزء بالنظام الإسلامي بأسلوب لا يليق بالدرجة العلمية التي يشغلها ويقول :

(... الإسلام دين ودولة ، والحكومة الإسلامية هي التي يكون قانونها شرع الإسلام .. تلك هي **النتيجة الهزيلة** [66] التي خرجت بها السلفية الجامعية المعاصرة ، بمختلف تكويناتها ، من قراءاتها لـ « التاريخ الإسلامي » [67] . بل من تأويلها لـ « الشرع » الإسلامي .. بل منهما معا : فالسلفية تقرأ التاريخ في الشرع وتقرأ الشرع في التاريخ تماما مثلما تقرأ الدولة في الدين والدين في الدولة) .

3) نقض كتاب (الإسلام وأصول الحكم)

وأمام هذه العملية القيصرية لفهم حقائق الأمور وطبائع الأشياء لا يسعنا إلا أن نفسح المجال لمفكر إسلامي كبير ؛ ليتولى الرد على الكاتب المغربي الذي وجد الجو خاليا فصال وجال ما شاء له موقفه المسبق من النظام الإسلامي أن يصول ويجول . يقول د . محمد ضياء الدين الريس في دحض ادعاءات علي عبد الرازق متفقا في موقفه الإسلامي مع موقف عبد الله كنون [68] :

« إن الخلافة الإسلامية التي هاجمها واضع كتاب (الإسلام وأصول الحكم) هي حكومة شورية ديمقراطية يُختار حاكمها بانتخاب الأمة له ، ويعلن هو بعد اختياره

---

(65) د . الجابري في كتابه السابق ص : 65 .

(66) جملة (النتيجة الهزيلة) وكتابتها بالبنط الأسود من عند د . الجابري (المفكر العلمي الرصين) وليس من عندنا .

(67) عجيب أمر د . الجابري يضع كلمة (التاريخ الإسلامي) هنا بين مزدوجتين كأن (التاريخ الإسلامي مشكوك فيه أو لكأن المسلمين لم يكن لهم تاريخ ، فجاءت العبارة هنا من قبيل الاصطلاح ليس إلا .

(68) الإسلام والخلافة في العصر الحديث : نقد كتاب الإسلام وأصول الحكم .

أنه مسئول أمام الأمة ، ومقيد بأحكام دستور الدولة وهو الإسلام ، وأن الأمة لها حق تقويمه وعصيانه وعزله إذا حاد عن طريق الحق . حدث هذا في عهد أبي بكر وفي عهود أخرى . فأي حكم دستوري أرقى من هذا ؟ . ثم هو يزيد على الديمقراطية الحديثة بأن أساسه روحي وملتزم بقواعد الأخلاق والفضيلة ، وأن غاياته هي تنفيذ شريعة الله : أي شريعة العدل والمبادئ الإنسانية السامية . وهذه الخلافة أو الحكومة الإسلامية ، هي امتداد واستمرار للدولة الإسلامية التي أقامها الرسول عليه السلام والمؤمنون ، هذه الدولة أو الحكومة إذن هي مثل أعلى ، قل أن تجد له نظيرا في تواريخ الأمم ، وبالنسبة للعصر الذي وجدت فيه كانت أشبه بمعجزة أو ثورة إنسانية إصلاحية . وكانت هذه هي الحقيقة في عصر الرسول عليه السلام ، ثم في عصر الصديق أبي بكر والفاروق عمر بن الخطاب وسائر الخلفاء الراشدين . هذه هي الخلافة الصحيحة السامية ، وهؤلاء هم الخلفاء الذين كانوا مثلا عليا في الأخلاق وفي العدل والزهد . فهل هؤلاء كانوا ملوكا بالمعنى الذي يقصده واضع كتاب (الإسلام وأصول الحكم) ؟ . إن هذا لم يستثن حتى الخلفاء الراشدين وصحابة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فهو يقول : (الأصل في الخلافة عند المسلمين أن تكون راجعة إلى اختيار أهل الحل والعقد .. غير أننا إذا رجعنا إلى الواقع ونفس الأمر وجدنا أن الخلافة في الإسلام لم ترتكز إلا على أساس القوة الرهيبة ، وأن تلك القوة كانت — إلاّ في النادر — قوة مسلحة) ثم يخفف من وقع كلامه بالنسبة للخلفاء الأُوَّل — وكأنما يعترف ببعض الحق كارها ، فيقول : (قد يسهل التردد في أن الثلاثة الأُوَّل من الخلفاء الراشدين — مثلا — شادوا مقامهم على أساس القوة المادية وبنوه على قواعد الغلبة والقهر) . فهذا تعبير لا يقبل ؛ فالمسألة ليست أنه يسهل التردد ، بل يجب الجزم بأن خلافتهم لم تقم أبدا على أساس القوة المادية والغلبة والقهر ، كما يزعم . هذه حقيقة تاريخية ظاهرة ومقطوع بها . وننتقل إلى فرية أخرى ، فهو يقول : (ذلك أن مقام الخلافة الإسلامية كان منذ الخليفة الأول .. إلى يومنا هذا عرضة للخارجين عليه المنكرين له .. ولا يكاد التاريخ الإسلامي يعرف خليفة إلا عليه خارج ، ولا جيلا من الأجيال مضى دون أن يشهد مصرعا من مصارع

الخلفاء) . وهذه فرية كبيرة ، خطأ ظاهر ولا توافق حقائق التاريخ ؛ فقد قلنا وأثبتنا أن خلافة الخلفاء الثلاثة الأول تمت كلها بالإجماع فلم يكن هناك إذن خارج ولا منكر للخلافة ، فإذا أراد أن يشير إلى المرتدين ، فهؤلاء لم يكونوا منكرين للخلافة أو منازعين فيها ، ولكنهم كانوا خارجين على الإسلام نفسه ومرتدين وبغاة . وهذا كان طبيعيا في أول نشأة الإسلام ، إذ لم يكن الدين قد تمكن من قلوب بعض الأعراب ــ كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم . ثم انتهت هذه الفتنة وقضي عليها وعاد كثير من المرتدين ، فصاروا من أكبر المجاهدين من أجل الإسلام ، العاملين في ظل الخلافة . ولم نسمع أن أحدا خرج على الخليفة عمر بن الخطاب . وإذا كان حدث أن خرج بعض المسلمين في آخر خلافة عثمان ، أو حدث الخلاف بعدئذ بين علي ومعاوية ، أو إذا حدث خلاف أو خرج أحد بعد ذلك في أي عهود تالية ــ فإنما كان ذلك دليلا على الحرية التي أعطاها الإسلام لأهله ، وهي حرية الرأي والاجتهاد . والخلافات تكثر في الديمقراطيات ، والمعارضة تدل على الحرية وحيوية الأمة ، فهي حركات من أجل الإصلاح أو الدفاع عن الحق . على أن الخلافة ظلت أحوالها منتظمة في الجملة ، وهادئة سليمة طوال عهد بني أمية ــ إلا في فترات قليلة ــ وتلك مدة بلغت نحو قرن . ثم ظلت الخلافة منتظمة أيضا طوال عهود خلفاء الدولة العباسية الذين تلوهم ، نحو قرن آخر . فإذا قورن هذا بما كان يحدث ومازال يحدث في تواريخ كثير من الأمم والدول ، فإننا نجد أن تاريخ المسلمين كان أكثر سلاما وانتظاما .

أما أن الخلافة كانت (**نكبة على الإسلام والمسلمين**) .. فهل الخلافة التي جعلت العالم الإسلامي أقوى الأمم على وجه الأرض وأرقاها حضارة ، والتي تحت علمها المرفوع سارت الجيوش المنتصرة فهزمت قوى الإمبراطوريتين الرومية والروسية ، وحررت الشعوب والأقطار من حكمهما الظالم ، والتي جعلت المسلمين سادة العالم ــ هل هذه كانت نكبة على الإسلام والمسلمين ؟؟ إن تاريخ الخلافة الإسلامية ــ والدول التي تفرعت عنها ــ كان سلسلة من أمجاد ، وحلقات من انتصارات ، ففي عهودها حدثت المواقع المجيدة : في اليرموك والقادسية ونهاوند وأجنادين وبابليون والقيروان ، وغيرها ، ثم مواقع حطين وعين جالوت والمنصورة

وأمثالها . فليت لنا اليوم جزءًا من قوة أو أمجاد الخلافة الإسلامية ، والدول الإسلامية التي كانت مرتبطة بها أو مماثلة لها . وهذه الدول الإسلامية هي التي حمت الإسلام والمسلمين من المغول والصليبيين وردتهم على أعقابهم مدحورين .

ويرد د . محمد ضياء الدين الريس على التهمة التي أوردها واضع كتاب (الإسلام وأصول الحكم) التي توصم المسلمين بأنهم لم يعرفوا (مؤلفا في السياسة ولا مترجما) وهي التهمة التي يراد بها إظهار الإسلام بمظهر كهنوتي لا صلة له بشئون الحكم والدولة ، فيذكر (أن المسلمين بحثوا كثيرا في السياسة وأنتجوا مؤلفات عديدة قيمة كما أنهم اطلعوا على كتب اليونان وغيرهم وترجموا أهمها وشرحوها . لقد بحث المسلمون في علم الإمامة وهي الخلافة وألفوا فيها كتبا كثيرة . وبحث الفقهاء أيضا موضوع الإمامة ، فكان كل كتاب في الفقه يحتوي على باب الإمامة وباب القضاء وباب الجهاد . وفي كل هذه الكتب يشترط الفقهاء شروطا دقيقة للخلافة يعرف من يطلع عليها أنها ليست متحققة في بعض الخلفاء القائمين ، ومع ذلك فلم يحدث أبدا أن تدخل أحد الخلفاء ليمنع وجود تلك الأبواب وتلك الشروط . ولم نسمع أنه وقع ضغط على أحد من العلماء من أجل ذلك ، ثم توالت المؤلفات في علم السياسة ومباحثه نذكر أهمها وهي : الأحكام السلطانية للماوردي . علم السياسة للرازي ، التبر المسبوك في نصائح الملوك للغزالي وله بحوث في السياسة في كتابه إحياء علوم الدين ، سياسة تامة لنظام الملك ، سراج الملوك للطرطوسي ، المدينة الفاضلة للفرابي ، سلوك المالك في تدبير الممالك لابن أبي الربيع ، المنهج المسلوك في سياسة الملوك لعبد الرحمن بن عبد الله ، الآداب السلطانية لابن طباطبا ، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لابن تيمية ، بذل النصائح الشرعية فيما على السلطان والرعية لابن الرفعة ، المقدمة السلطانية في السياسة الشرعية لطوغان المحمدي الأشرفي ، ثم مقدمة ابن خلدون وكلها بحوث في السياسة والإدارة والملك [69] .

---

(69) المصدر السابق ، ص : 335 .

وينتهي د . الريس إلى فصل الخطاب في دحض افتراءات واضع كتاب (الإسلام وأصول الحكم) حين يذكر أن الشيخ علي عبد الرازق نسب الكتاب إلى نفسه ، وأن اسم الكتاب نفسه غريب لا يحمل معنى واضحا ، فما معنى أصول الحكم ؟ [70] . ولا ينطبق هذا أيضا على ما هو واراد في داخل الكتاب ، فليس فيه شيء من أصول الحكم ، ويظهر أن هذه عبارة مترجمة أيضا ، وقد تكون في الأصل الإنجليزي أصول الحكومة أو مبادئ الحكومة [71] . **والكتاب ليس في الحقيقة إلا مجموعة من الأخطاء الواضحة والاستنتاجات الخاطئة ، وأكثر من ذلك هو سلسلة من الدعاوى المضللة بأسلوب التغرير بالألفاظ والتلاعب بها دون أن يكون معناها محددا ؛ مثل استعماله لفظ ملك وملوكية في غير موضوعه واستخدام لفظ (دينية) بحيث أنها تكون ضد الدنيا أو الحياة ، وأن الدين مضاد لشئون الحياة والمجتمع فلا تكون له صلة بها وإيهامه أن الزعامة جاءت من طريق الوحي ، مع أنها جاءت من مبايعة الناس أو الأمة وهكذا .. والكتاب في مجموعه ــ وهذا هو المقصود منه ــ هو محاولة للهدم والتشكيك والطعن في الشخصيات التي يحمل لها المسلمون القداسة ، وهم قادة الإسلام »** .

4) سرُّ التآمر على الخلافة الإسلامية

وإذا راعينا الظروف التي ظهر فيها كتاب (الإسلام وأصول الحكم) نجد أنفسنا أمام مخطط غربي صليبي لضرب وحدة العالم الإسلامي ضربا موجعا قاضيا ، وقد فطن علماء الأمة ومفكروها إلى هذا الهدف الإستراتيجي ، وهو الهدف الذي غفل عنه مفكرون ظهروا في جو الغفلة والتيه وانحسار مد الصحوة الإسلامية . ولذلك فإنه لمما يثير الاستغراب أن يردد د . الجابري هذه المقولات الخاطئة

---

(70) المصدر السابق ، ص : 336 .

(71) المصدر السابق ، ص : 337 .

بالرغم من مضي كل هذه العقود على المعركة الخاسرة التي أُقحِمَ الشيخُ علي عبد الرازق فيها .

ولقد فطن كنون لأبعاد هذه المعركة في وقت مبكر وكان له دور في تصحيح المفاهيم المغلوطة التي راجت على إثر ظهور كتاب الشيخ علي عبد الرازق . وشغل موضوع الخلافة الإسلامية كنون زمنا طويلا وكان دائم الإشارة فيما يكتب إلى أن الضربة التي وجهت إلى العالم الإسلامي إنما جاءته من إسقاط الخلافة بتآمر اليهودية العالمية والصليبية الجديدة . وقد اهتدى كنون إلى السر وراء التآمر على الخلافة الإسلامية ، وله في هذا المجال كتابات شاهدة على يقظة وعيه وتفتح إدراكه السياسي . وأسوق هنا على سبيل المثال ما قاله في هذا المعنى [72] تحت عنوان : « ظهر الآن سر التآمر على الخلافة الإسلامية » :

« نعم ظهر السر في تآمر الدول الغربية بالأمس القريب على الخلافة الإسلامية حتى أطاحوا بها على يد ثلة من ربائبهم وصنائعهم ممن زعموا أنهم رواد البعث الإسلامي أو العربي في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وشوَّهوا سمعتها وألحقوا بعهدها كل وصمة من الرجعية والتأخر ، وجعلوا الجالس على عرشها باستحقاق عبد الحميد الثاني مثال الرعونة والاستبداد ، ثم خلعوه فلم يستقم لها أمر بعده ، فها هو الآن البابا يصول ويجول ، ويتدخل في القضايا السياسية الكبرى لصالح المسيحية طبعا ، ويسافر إلى إفريقيا متفقدا رعاياه ، متقبلا فروض الطاعة من الرؤساء المسيحيين الذين فُرض بعضهم فرضا على دول إسلامية مائة في المائة تقريبا ، مركزًا عمله على قضية الإقليم النيجيري المنفصل عن أم الوطن بمؤامرة مسيحية مكشوفة — وهذا يعني أن المسيحية ومستقبلها في القارة السمراء لها من يرعاها ويتعهدها سواء من الناحية المادية أو المعنوية — في حين أن الديانة الأخرى ، وهي الإسلام الذي يعتنقه أكثر من ثلثي سكان أفريقيا ، لاتجد من يهتم بها أو يحميها من مؤامرات الصليبيين الجدد

---

(72) شئون إسلامية ، ط 1 : دار الطباعة الحديثة الدار البيضاء ، ص : 95 .

وحلفائهم الاستعماريين والصهيونيين .

« إن هذا الفراغ في العالم الإسلامي هو ما سعى إليه من كانوا يسمون في مطلع هذا القرن بالشبان الترك ومن حذا حذوهم من المغفلين العرب المسلمين الذين فتلوا في الذروة والغارب من حيث لا يشعرون لتحقيق **أمل الغرب المسيحي في القضاء على خلافة الإسلام وتفريق كلمة المسلمين وتقسيمهم إلى دويلات وشعوب متباينة متقاطعة** ، حتى صاروا إلى ما نراهم عليه الآن من تشتت وتفتت وتمزق ، وما يتبع ذلك من ضعف وذل وهوان » .

« ولقد قلنا مرارًا إن القارة الوحيدة التي يجب أن تكون إسلامية هي قارتنا الأفريقية ؛ نادينا بذلك في مؤتمر رابطة العالم الإسلامي (73) وبينا الأخطار التي تهدد الإسلام فيها بتولية قيادة منظمة الوحدة الأفريقية إلى رئيس غير مسلم ، وكتبنا في ذلك المقالات المتعددة وتحدثنا به في غير مؤتمر ، وها هو ذلك الخطر يكشف عن وجهه ، وها هو ذا الإسلام غريب في داره ، يتيم بين أهله وذويه ، لا يجد من يهتم به ولا من يدافع عنه . **ولو كانت دولة الخلافة الإسلامية قائمة لساندت النيجيريين الاتحاديين ولارتفع صوت الإسلام باستنكار المؤتمرات المسيحية ضد وحدة التراب النيجيري** . تلك المؤامرات التي يشترك في تدبيرها حتى الصليب الأحمر الذي يعتبر منظمة إنسانية حيادية ، ومن واجبه أن يبقى كذلك ، ويبلغ الأمر إلى أن ينتقل الكرسي الرسولي ــ كما يسمونه ــ إلى عين المكان ليبارك المساعي التي تبذل من أجل تعزيز الانفصاليين البيافريين ، وإن تظاهر بالدعوة إلى السلام ومحاولة التوفيق بين المسيحية والإسلام ــ لكن من غير أن يكون هناك طرف يمثل الإسلام في مثل مقامه وزعامته الروحية المسيحية » .

« **فهل تكون في هذا عبرة للرؤساء والقادة المسلمين الذين جعلوا قضية الإسلام**

---

(73) كان كنون عضوا في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي . وهو هنا يشير إلى ما ورد في تدخله في المؤتمر الأول التأسيسي للرابطة الذي عقد بمكة المكرمة سنة 1965 .

دبر آذانهم ، فيراجعوا موقعهم ويعلموا أن سياستهم منبوذة من شعوبهم ولا يرضى عنها أيضا حتى (الكمشة) من المسيحيين غير المخلصين لأوطانهم من شعوبهم ، لأن هذه (الكمشة) لا ترضى إلا أن يعود الحكم المسيحي الاستعماري لبلاد الإسلام والبلاد العربية خاصة ».

« إننا نهيب بالدول الإسلامية أن تعلن تأييدها للقضايا الإسلامية باسم الإسلام والدين لا بأي اسم آخر وليتقدم إلى ذلك من عنده بقية من إيمان ولا عليه فيمن خالفه »[74].

وهكذا يقف كنون بفكره الثاقب ورؤيته التحليلية للأحداث العالمية على السرِّ وراء سقوط الخلافة الإسلامية من حيث بقي مفكرون ظهروا حديثا يرددون مقولات هي بكل المقاييس رجعية مغرقة في الرجعية ومتخلفة عن العصر.

5) موقف مستقل من الخلافة

وإذا كان كنون يلتقي في هذا الموقف من الخلافة الإسلامية مع بعض المدارس الإسلامية الحديثة فإنه يحتفظ بموقعه المتميز إلى درجة التعارض في بعض الجوانب المتعلقة بهذه القضية مع مواقف بعض المفكرين المشتغلين بالعمل الإسلامي العام . ونرى أن كنون في هذه القضية على وجه الخصوص يصدر عن المميزات التي طبعت التاريخ المغربي الذي لم يندمج مع الخلافة الإسلامية وظل محتفظا بخصوصياته . وذلك منذ أن قامت الدولة الإسلامية الأولى بالمغرب على يد إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة إلى أن سقطت دولة الخلافة الإسلامية ، وإن كان

---

(74) يلاحظ هنا أن كنون يعلق على الزيارة التي قام بها بابا الفاتيكان إلى أفريقيا في منتصف الستينيات . وقد جاء البابا بولس الثاني ليدعم هذه السياسة دعما غير مسبوق .

المغرب لم يدخل في صراع مع الخلافة وظلت أواصر الإخاء والتعاون والاحترام المتبادل ممدودة بين الدولة الإسلامية المغربية ودولة الخلافة باستثناء الفترة العباسية المحدودة التي عرفت تآمر الخليفة العباسي على إمام المغرب إدريس بن عبد الله . ومن واقع هذه الخلفية التاريخية ، ومن موقع استيعاب تجارب التاريخ ودروسه وقف كنون من الخلافة الإسلامية موقفا متسما بكثير من الفقه والوعي والفطنة والتبصر .

ويسعفنا كنون بتحليل مستفيض لمفهوم الخلافة عموما وذلك في سياق عرضه لقواعد نظام الحكم ومبادئه في الإسلام . فيشير إلى (أن ما نذكر من صفات هذه الدولة (الإسلامية) ، أنها **خلافة عن أنبياء الله ورسله** ، الذين هدوا من الضلال وأحيوا الضمائر الميتة ، وبشروا بالسعادة الأبدية ، فما في الدنيا من خير بقية خير إنما هو إثارة من دعوتهم وصبابة من فيضهم . **وتسميتها بالخلافة إشارة إلى ما فيها من معنى النيابة ، وأنها ليست حكما بالأصالة ، وذلك لجعلها دائما في مقام النائب الذي لا يصح له التصرف بغير نظر المنوب عنه ، ثم هي نيابة عن رسول الله صاحب الشرع ، وليست نيابة عن الله كما قد يتوهم ، فخلافة الله في الأرض إنما تكون للأنبياء والرسل ، كما قال تعالى : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴾** . [سورة : ص ، الآية 26] **أما غيرهم فهم خلفاء بالنيابة على ما ذكرنا . وهكذا كان الصحابة يسمون أبا بكر وعمر وباقي الخلفاء الراشدين وينادونهم يا خليفة رسول الله**) [75] .

هذا هو الإطار الفكري والعقائدي العام لمفهوم الخلافة كما يراها كنون ووفق ما هو مقرر شرعا لدى الفقهاء . وبذلك يرد كنون على ما هو رائج من مفاهيم ما أنزل الله بها من سلطان بخصوص الخلافة انطلاقا من موروث الفكر الغربي الذي لا يهضم أن يحكم الإسلام ويمارس الخليفة باسم الشرع وظيفة إقرارِ العدل وإقامة

(75) الإسلام أهدى ، ط : 1 ، دار الطباعة الحديثة ، الدار البيضاء ، ص : 97 — 98 .

القسطاس وسياسة الناس على أساس أحكام الدين ومبادئ الشريعة . ولما كان هذا هو الرأي السائد في المجتمعات العربية الإسلامية والمجتمعات العالمية قام كنون بشرح مدلول الخلافة بمنتهى الدقة واضعا إياها في الإطار الشرعي ومحددا الملامح العامة التي تتميز بها عن أنظمة الحكم الأخرى . فيقول [76] :

« الخلافة بهذا المعنى (أي المعنى الذي شرح خطوطه العامة في الفقرة السابقة) **تنفي كل صلة بالثيوقراطية أو ما يسمى بالحق الإلهي في الحكم** ، فقد قال أول **خليفة في الإسلام** إثر مبايعته : أيها الناس ، قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني [77] ، وما أتى في الشرع من الحض على الطاعة وعدم منازعة الأمر أهله ، إنما هو لضمان حياة الاستقرار والأمن التي لا تتقدم الشعوب ولا تزدهر إلا في ظلالها ، **وليس ذلك لأن الخليفة معصوم من الخطأ أو أنه يستمد من الله عز وجل ، فتجب طاعته على كل حال** » .

وليس بعد هذا التوضيح للمفهوم الشرعي للخلافة من مزيد ، فلقد جاء كنون بالقول الفصل في هذه القضية التي أريد لها أن يتجدد طرحها كلما تجددت الدعوة إلى تحكيم الإسلام في حياة الناس والاحتكام إلى شريعته . وفي هذا المعنى يقول كنون [78] :

« إن الكتَّاب الذين كانوا يهاجمون الخلافة العثمانية في أول هذا القرن ، قصد إسقاطها ويشنعون عليها بهذه التهمة ، لم يكونوا في الحقيقة إلا مرددين لما يتقوَّله الأجانب على دولة الإسلام إفكا وبهتانا ، وما يلصقونه بخلفاء المسلمين من أوصاف وسير أكثر ما عرفت عن ملوك الغرب وأباطرته بل وبَابَوَاتِه ، فقد كان ملك فرنسا لويس الرابع عشر يقول : (أنا الدولة) ، وقبله كان ملك الفرنجة شارل الأول

---

(76) المصدر السابق ، ص : 98 .

(77) البداية والنهاية لابن كثير ، ج : 6 ، ص : 301 ، والكامل لابن الأثير ، ج : 2 ، ص : 160 .

(78) الإسلام أهدى ، ص : 98 .

يقول : (أنا ملك بأمر الله) . وكان البابا جريكوار السابع يقول : (أنا بابا وإمبراطور) هذا في حين كانت ألقاب الخلفاء ترمي إلى التواضع والخضوع مثل المستعين بالله ، والمتوكل على الله ، وما هو منها بخلاف ذلك فليس بمرادٍ على الإطلاق كالمقتدر بالله والحاكم بأمر الله ، لأنها تعني المدلول العقائدي الذي ينفي كل حول وطول عن العبد إلا بإرادة الله وقدرته ، هذا في اللقب الأول ، أما في الثاني فإن المتعلق به يعني شرع الله ودينه ، فالمراد الحاكم بما أمر الله به لا بما يأمر به هو ويشرعه من تلقاء نفسه ، وعلى هذا **فإن أولئك الذين يصفون الخلافة الإسلامية بما يسلكها في نظام الحكم الثيوقراطي من الأجانب هم ممن يصدق عليهم المثل العربي « رمتني بدائها وانسلت »** .

ويمضي كنون في تمحيص هذا المعنى إلى أن يخلص إلى القول : **إذا ثبت أن الخلافة هي نيابة عن الرسل ، فغني عن البيان أنها فيما تأتي وتذر ، إنما تقصد إلى مصلحة البشر عموما ، وما هو خير لهم بالذات ، فهي تترجم مقاصد الرسالة الإلهية التي جاء بها الرسول من القول إلى الفعل وتنسج على منوالها فيما جد من الأحوال ، وقد كانت غاية هذه الرسالة هي ما أشارت له الآية الكريمة التي تقول ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾** .

ويبرز من خلال هذا الشرح الذي ساقه كنون أن قضية الخلافة الإسلامية ذات شقين ؛ الأول نظري والثاني تطبيقي . فالنظري يتعلق بتأصيل مفهوم الدولة في الإسلام على أساس أن الإسلام دين ودولة ومنهج للحكم وللسيادة وللسياسة . بينما التطبيقي يرتبط بالإطار العام للنظام الإسلامي بما يعني الشكل الخارجي الذي ليس هو بالضرورة نظام الخلافة بالصيغة التقليدية . ولذلك كان الموقف إزاء الخلافة الإسلامية كنظام قائما ، جامعا لشتات العالم الإسلامي ، وقد وقع التآمر الدولي لإسقاطه ، وهو يختلف عن الموقف من المطالبة بإقامة نظام الخلافة الإسلامية من جديد وبالشكل الذي كانت عليه في السابق . وقد ظهر أن كنون انحاز إلى الموقف الأول انحيازا كاملا ومطلقا ورأى في سقوط الخلافة بالتآمر الصليبي واليهودي والماسوني عليها بداية

نكبة العالم الإسلامي في هذا العصر ، في حين احتفظ بموقف بالغ الجذر والحيطة طبع بطابع التبصر والتعقل والوعي السياسي العميق إزاء الدعوة إلى تجديد الخلافة الإسلامية ، ولذلك لم يتوفر لدينا أي نص كتبه كنون يدعو فيه إلى قيام نظام الخلافة ، وتحت أيدينا كل ما نشره في الصحف والمجلات وألقاه من بحوث ومحاضرات وجمعه في كتب صدرت تباعا [79] .

ولعل القصد الذي اتجه إليه كنون هو (**الدولة الإسلامية**) لا (**الخلافة الإسلامية**) من منطلق التركيز على ضرورة قيام تضامن إسلامي تتحقق به الوحدة الفكرية والثقافية والشعورية التي لا تنفي وجود الكيانات والدول والأنظمة الإسلامية . وهذا هو محور العمل الإسلامي الدولي في المرحلة الراهنة ، حيث نجد الإرادة الإسلامية ممثلةً في الحكومات والدول الإسلامية تعمل من أجل ترسيخ أسس الوفاق والتضامن والتعاون في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي .

وهكذا نجد كنون يركز على مفهوم (**نظام الحكم في الإسلام**) و (**الدولة الإسلامية**) في عديد من الحالات مبرزا في وضوح كامل الخصائص المميزة لهذا النظام ولتلك الدولة . وبذلك يكون ساهم بحظ وافر في تأصيل المفاهيم السياسية للعمل الإسلامي وأرسي قواعد الفكر الإسلامي السياسي الحديث ، منطلقا من فهم متوازن لوظيفة الدولة الإسلامية ، مركزا بشكل خاص على المميزات الخاصة بنظام الحكم في الإسلام الذي يرى أنه (**نظام مستمد من الكتاب والسنة** اللذين هما دستوره الخالد وقانونه السماوي غير المُغَيَّى بغايةٍ إلا غاية **درء المفاسد وجلب المصالح** وهيمنة الفضائل على المجتمع وإتاحة فرص العيش الكريم لكل المواطنين الذين سماهم رعايا ، وسمى المتولي القائم بأمرهم راعيا أخذًا من الرعي والحفظ والاهتمام . **والقائم بأعباء الحكم في هذا النظام هو الخليفة الذي تنتخبه الأمة عن طواعية واختيار ، متوخية فيه توفر شروط العلم والدين والسياسة والشجاعة والعفة والحلم ، مع التزام مشاورة أهل الرأي والتدبير ، كما قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾**

(79) انظر هامش 62 . حيث نجد أن كنون استبدل بـ (الخلافة الإسلامية) عبارة (جامعة إسلامية) مما عبر به عن وعي سياسي رشيد وفهم عميق لمقتضيات المرحلة التاريخية التي تفرض على المسلمين خيارا محدّدا .

وقال سبحانه متحدثا عما هو الشأن بين المسلمين : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ ، والشورى في الإسلام ، هي شورى أهل الحل والعقد ممن لهم خبرة بالشئون السياسية والحربية والاجتماعية والاقتصادية ، مع الإيمان والنزاهة والدين والإخلاص ، وإن كانوا أقلية ، لأن الناس واحد منهم كَالْفٍ وأَلْفٌ كَأُفٍّ ، فالأكثرية العددية هنا معوضة بالأكثرية النوعية ، وهي خير منها بكثير ، لا سيما مع ما عُلِمَ من تهالك الناس على طلب الحكم والشورى ، واستكثارهم بشراء الأصوات ومغالبة أهل العلم والنزاهة والإخلاص بالأغلبية المصنوعة [80] .

---

(80) هذا رأي في نظام الانتخابات المعمول به في الشرق والغرب جدير بالتأمل يسجل به كنون موقفا بالغ الأهمية في تصور فكرته العامة عن النظام النيابي .

الفصـل الخامس

في مفهـوم الدولـة الإســلاميـة

أ ــ الإســلام والسياســة

ب ــ وحدة العالم الإسلامي

جـ ــ الدستــور الإســلامي

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

1) الإسلام والسياسة

جنَّد كنون إمكانياته الفكرية وقدراته العلمية لخلق رأي عام إسلامي على قدر من الوعي بحقيقة ما يستهدف الإسلام والمسلمين من مخاطر وما يُدبر ضدهم من مؤامرات ، وعمل من أجل أن تكون للمسلمين سياسة إسلامية توفر لهم إطارا دوليا للتحرك في اتجاه حماية حقوق المسلمين والدفاع عن قضاياهم . وهو هنا يلتقي مع دعاة الجامعة الإسلامية من حيث الجوهر والمبدأ لا من حيث الشكل والصيغة . وقد كتب تحت عنوان (**متى تكون لنا سياسة إسلامية**)[81] داعيا إلى ما عبر عنه **بالجامعة السياسية** التي من شأنها أن تجعل المسلمين (**كتلة واحدة وصفًّا متراصًّا في وجه الأحداث والخصوم**) . وقال :

« إنني أرى البلاد التي كانت بالأمس **وطنا واحدا وخاضعة لحكومة واحدة** قد افترقت طرائق قددا فلم تكتف بأنها أسست حكومات ودولا هنا وهناك بل أنها قد اتخذت اتجاهات مختلفة ونزعت نزعات بعضها يعادي بعضًا في حين أن هناك بلادا لم تكن قط وحدة سياسية وليس لها من الروابط المعنوية والتاريخ المشترك ما لبلادنا وقد اختلفت في معظمها عقيدة وجنسا ولونا ، ولكنها تجمعها **سياسة واحدة** وتؤلف بينها المصالح المتبادلة حتى أنها لا تتخذ موقفا من الأحداث العالمية ولا تنهج نهجا في الاقتصاد وما عداه إلا بمشاورة بعضها لبعض وإصْفَاق كلمتها على ذلك وربما عقدت المؤتمرات العمومية لتنسيق سياستها وتوحيد خطتها فيما ينزل بها من أحداث وما يعرض لها من مشاكل ، وحسبنا بدول الكومنولث البريطاني مثالا حيا على صحة ما نقول .

---

(81) شئون إسلامية ، ص : 77 .

ومن المؤكد أن كنون يقصد بالوطن الواحد الذي كان خاضعا لحكومة واحدة العالم الإسلامي الذي خضع زمنا طويلا للخلافة الإسلامية باستثناء المغرب الذي — كما سلفت الإشارة إلى ذلك — ظل محتفظا بخصوصياته لاعتبارات ليس هذا مجال شرحها .

ولكن كنون يفرق هنا بين (**السياسة الواحدة**) وبين (**الدولة الواحدة**) ، باعتبار أن توحيد المواقف السياسية لا يعني بحال من الأحوال وجود دولة واحدة . ولذلك فإن السياسة الإسلامية يمكن أن توحد في إطار تنظيم دولي مسئول هو ما يعرف الآن بمنظمة المؤتمر الإسلامي ، وهكذا يكون كنون قد سبق الأحداث ودعا في وقت مبكر إلى قيام الجهاز الإسلامي الدولي الذي يتولى مسئولية التخطيط لسياسة إسلامية واحدة ، ويزيد كنون هذا المعنى وضوحا بقوله [82] :

« نحن المسلمين فبرغم أن **دولتنا الكبرى انحلت** [83] ، **فإن ما بيننا من الروابط الروحية والجنسية (والعرقية) والتاريخية واللغوية وما نعانيه من المشاكل ونستهدف له من الأخطار هو أعظم من كل الروابط والمصالح التي تجمع بين هذه الدول وشبهها ، وكان حريا أن يجعلنا كتلة واحدة وصفا متراصا في وجه الأحداث والخصوم وأن يعيد جامعتنا السياسية أقوى وأكثر فعالية مما كانت عليه ، يوم كنا دولة مترامية الأطراف يستنزف الحفاظ عليها أموالنا ودماءنا** » .

ويركز كنون على ضرورة تكوين **رأي عام إسلامي** يكون له وزنه في السياسة الدولية و (يؤثر أول ما يؤثر في إيقاف التيارات الأجنبية التي تتلاعب بنا وتسخرنا من حيث نشعر أو لا نشعر لخدمة مصالحها والتمكين لنفوذها في بلادنا) [84] .

---

(82) المصدر السابق ، ص : 78 .

(83) إشارة واضحة إلى سقوط دولة الخلافة الإسلامية .

(84) المصدر السابق ، ص : 81 .

وهذا الرأي الذي بسطه كنون بوضوح كامل ينسجم تماما مع آرائه السابقة ويعبر عن فطنة كنون المفكر الإسلامي الذي يتريث أمام الأحداث والظواهر ولا يتخذ موقفا إلا بعد تدبر وتبصر . وهكذا فإن (**الجامعة السياسية**) و (**السياسة الإسلامية**) التي دعا إلى قيامهما و (الرأي العام الإسلامي) الذي أكد على ضرورة تكوينه كل ذلك لا يعني بالضرورة المطالبة (**بالخلافة الإسلامية**) وفي الوقت ذاته لا يعني الوقوف من هذه الخلافة موقفا متخاذلا منحازا إلى جانب خصوم الفكرة الإسلامية جملة وتفصيلا . إنَّ الرأي الذي يأخذ به كنون هو الدعوة إلى قيام **سياسة إسلامية** تكون أداة للدفاع عن حقوق المسلمين والوقوف أمام التيارات والسياسات المعادية للأمة الإسلامية ، وهو رأي على قدر كبير من الاعتدال والحصافة وبعد النظر ومراعاة مقتضيات الحال .

إن هذه الفكرة التي هيمنت على المشروع الحضاري الذي تبناه كنون هي مصدر قوة للمفكر الإسلامي الذي يشتغل بالقضايا الإسلامية العامة ، ويبرز كنون هذه الفكرة في ختام فصل له بعنون (الإسلام أقوى رابطة ، فلماذا لا يتحد المسلمون) نشره في كتابه (على درب الإسلام) فيقول [85] :

إننا الآن مدعوون لنبذ أسباب الخلاف بيننا ما كانت ؛ الخلاف السياسي بين القادة والزعماء ، والخلاف المذهبي فيما بين المشايخ والعلماء **لخوض معركة الوحدة الإسلامية وإنشاء رابطة دول العالم الإسلامي دفعا للضيم المحيق بالمسلمين وردّاً للعدوان الذي نزل بأراضيهم المقدسة وإحقاقا للحق وإبطالا للباطل وفي كل موقف يتخذ من قبل المستعمرين** القدماء والجدد .

2) وحدة العالم الإسلامي في رأي كنون

و (رابطة دول العالم الإسلامي) التي دعا كنون إلى إنشائها لخوض (معركة الوحدة الإسلامية) تبلورت فيما بعد في صيغة منظمة المؤتمر الإسلامي التي

---

(85) على درب الإسلام ، ص : 98 .

تأسست في أعقاب انعقاد مؤتمر القمة الإسلامي الأول في عام 1969 . وتستوقفنا هنا جملة ملاحظات نراها أساسية للزيادة في تحليل موقف كنون من الكتلة الإسلامية التي تخدم السياسة الإسلامية على النحو الذي يقربنا أكثر من الفكر السياسي لدى هذا المفكر الإسلامي :

أولا : إن صيغة (رابطة دول العالم الإسلامي) التي اقترحها كنون ودعا إليها كبديل عن الخلافة الإسلامية لم تكن مجرد شعار رفعه المفكر الإسلامي ، ولكنها تعبير بالغ الدقة عن واقع شديد التعقيد . وجاءت الفكرة المقترحة مصبوبة في قالب لغوي يعبر عن الأوضاع في العالم الإسلامي تعبيرا سياسيا وقانونيا على قدر كبير من الإحْكَام والضبط . فهي رابطة لـ (**دول العالم الإسلامي**) وليست رابطة (**للدول الإسلامية**) . والفارق كبير بين التعبيرين والصيغتين . لأن (العالم الإسلامي) حقيقة قائمة ، وهو الرقعة الجغرافية الشاسعة التي يسكنها المسلمون ، فهو عالم الإسلام ، وعالم المسلمين ، والعالم الذي ينتسب إليه المسلمون ، أما (الدول الإسلامية) فليست حقيقة قائمة ؛ لأن الدول التي يضمها العالم الإسلامي ليست دولا إسلامية بالضرورة وبحكم الواقع الراهن ، أو هي ليست دولا إسلامية بالكامل ، وليست تعترف جميعها مجرد الاعتراف بأنها دول إسلامية ، حتى الدول التي تضم دساتيرها نصا بإسلامية الدولة فإن بعضها لا يعطي لهذا النص حجما في الممارسة السياسية .

ثانيا : إذا سلمنا بوجود فارق سياسي وقانوني كبير بين تعبيري (الدول الإسلامية) و (دول العالم الإسلامي) عرفنا أن التركيب الذي اختاره كنون للصيغة المقترحة يستند إلى وعي سياسي بالغ الاستنارة مما يؤكد أن كنون كان يعرف معرفة دقيقة ما يقول وما يكتب وما يطالب به ويدعو إليه ويقترحه ، بمعنى أنه كان يراعي ــ مراعاة دقيقة وواعية ــ مقتضى الحال في جميع المناسبات ، فما دامت (الدول الإسلامية) ليست حقيقة قائمة فما الجدوى من الاقتراح بإنشاء رابطة لها ، فهذا من باب العبث الذي يتنزه عنه العقلاء .

ثالثا : الدول والحكومات التي تمثل الشعوب الإسلامية والتي اتفقت فيما بينها

على إنشاء جهاز دولي مسئول يمثلها وتمارس من خلاله دورا متميزا على الساحة الدولية راعت هي الأخرى الأمر الواقع الذي فطن إليه كنون وارتفعت فوق المشاعر والعواطف فاختارت صيغة سياسية مرنة لهذا الجهاز هي : (منظمة المؤتمر الإسلامي) . ولم تختر مثلا صيغة مماثلة لـ (جامعة الدول العربية) لأن (الدول العربية) حقيقة قائمة ، فتكون (منظمة الدول الإسلامية) أو (جامعة الدول الإسلامية) أو ما إلى ذلك من المسميات والقوالب اللفظية التي لا تعبر عن الحقيقة السياسية تعبيرا دقيقا وسليما . ولذلك فإن ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي يخلو تماما من الإشارة إلى تعبير (دولة إسلامية) أو (دول إسلامية) ويستعيض عنه بالدول الأعضاء ، أي التي تنضم إلى منظمة المؤتمر الإسلامي .

رابعا : لقد كان كنون دائما في صميم صورة الوضع في العالم الإسلامي ، وكان على دراية كاملة بطبائع الأشياء وبحقائق الأمور ، ولذلك اختار بدقة متناهية عبارة (رابطة دول العالم الإسلامي) دون سواها . وهو الاختيار الذي فرض نفسه على الدول المشاركة في مؤتمر القمة الإسلامي . وهنا تبرز لنا ريادة كنون وسبقه في مضمار التأصيل الفكري للعمل الإسلامي السياسي .

لقد عمل كنون على مختلف الأصعدة وبوسائل متعددة على إنشاء كتلة إسلامية سياسية تتولى تخطيط سياسة إسلامية . وسعى إلى قيام ما يعبر عنه د . محمد ضياء الدين الريس بـ (**وجود قيادة عامة للأمة الإسلامية تمثل وحدتها ، وتحفظ كيانها وتذب عنها الأخطار ، وتحقق مصالحها المشتركة وتنفذ مبادئ الإسلام . ولا يهم الاسم الذي تسمى به تلك القيادة ، فكلمة خلافة أو غيرها ليست كلمة دينية مقدسة ، فمن الممكن أن يختار اسم آخر يطلق على النظام الذي تقيمه الأمة ، فالمهم أن تكون عناصر النظام موجودة ، وأن يحقق الأهداف المقصودة منه** [86] .

---

(86) الإسلام والخلافة في العصر الحديث : نقد كتاب الإسلام وأصول الحكم ، ص : 352 .

والخلاصة الوافية لفكر كنون السياسي فيما يتعلق بقضية الخلافة أو ما يعبر عنه بـ (الجامعة السياسية) و (السياسة الإسلامية) و (رابطة دول العالم الإسلامي) يمكن التماسها مما كتبه د . الريس ويتفق فيه على طول الخط مع رأي كنون حيث يقول : « إذا كانت الخلافة انتهت من تركيا ، فهي لم تكن من حق تركيا ولا ملكها المحتكَر لها . ولكنها حق الإسلام وملك الأمة الإسلامية بأسرها . فهذا دور قد انتهى ، مثلما مرت الخلافة قبل ذلك بأدوار . لكن يبقى نظام الخلافة نفسه جزءًا من حياة الإسلام ، وفرضًا أوجبته الشريعة ، واستمرارًا لتاريخ الأمة الإسلامية . وهناك أهداف ومصالح لا تتحقق إلا بوجوده ، وواجبات لابد أن ينهض بها ، وهو الذي تتم به وحدة المسلمين وتضامنهم ، ويمثل وجود الإسلام ورسالته وقوته [87] .

ولكن د . الريس إذا كان استوفى عناصر الدقة الموضوعية في التعبير عن الفكرة الأساسية عن نظام الخلافة مما يتجاوب به مع كنون تجاوبا كاملا ، فقد تجاوز — منساقا مع عاطفته الدينية الفياضة — هذه الموضوعية حين اقترح إنشاء (**منظمة الدول الإسلامية**) [88] . وذلك بالرغم من انتباهه إلى الواقع السياسي والدستوري في العالم الإسلامي الذي يجعل بعض هذه الدول بعيدة عن حقيقة الإسلام حين قال : « **إن الدول الإسلامية الموجودة اليوم يجب أن تعمل لتستكمل هذا الوصف : أي أن تكون إسلامية حقا ، بأن تجعل سياستها ونظمها وأعمالها مطابقة للمبادئ** [89] **الإسلامية** .

وغني عن البيان أن كنون ذهب في تفكيره السياسي وتأصيله الفكري أبعد من اتجاهات المدارس الإسلامية الحديثة ، فلم يكتف بالتنظير من موقع منعزل عن مجرى الأحداث ، و لم يقف عند القوالب الجامدة التي انتهى إليها الفكر السياسي لدى

---

(87) المصدر السابق ، ص : 347 .

(88) المصدر السابق ، ص : 363 .

(89) المصدر السابق ، ص : 356 .

علماء المسلمين ومفكريهم ، وإنما استوعب روح العصر ورأى بثاقب نظره وحصافة عقله أن الضرورات تقتضي التطوير في الأساليب والوسائل والانتقال إلى مرحلة متقدمة في التخطيط لسياسة إسلامية واعية ورشيدة ؛ ولذلك دعا إلى الأخذ بالتي هي أقوم وانتهاج أسلوب الحكمة والتؤدة والحذر . فكانت (السياسة) عنده أصلا من أصول الإسلام دون أن يعني ذلك أي نوع من الشطط والطيش والمغامرة والاندفاع أو تقليد الفكر الغربي الذي يجعل من عنصر (الصراع المادي) ركنا أساسيا يقوم عليه مفهومه للسياسة . يقول كنون [90] : « **إن السياسة في الإسلام أصل تَنْبَنِي عليه سائر أحكامه ، وهو أمر مما تميز به عن الأديان الأخرى** » . **وجاء ذلك في معرض رده على من يقول بـ « لا دِين في السياسة ولا سياسة في الدِين »** ويتناول كنون القضية من هذه الزاوية فيقول في فصل له تحت عنوان (**السياسة في الإسلام أصل**) [91] : « **... أن يَستنكر الأجانب تدخل علماء الإسلام في سياسة الدولة أمر غير مستغرب لجهلهم بهذا الدين الحنيف الذي جاء لإسعاد البشر وإرشادهم إلى ما هو خير لهم بالذات في معاشهم ومعادهم ، ولكن أن يستنكر ذلك رئيس دولة مسلمة ويسميه تسييسا للدين ، فهذا هو الأمر المستغرب الذي يدل على فقد شرط عظيم من شروط ولاية الحكم في الإسلام وهو معرفة الشريعة الإسلامية** .

وبعد أن يؤكد أن السياسة أصل في الإسلام تنبني عليه سائر أحكامه يذهب إلى القول بـ (أن النبي ﷺ كان نبيا وكان رئيس دولة ، ولم يكن كذلك موسى ولا عيسى عليهما السلام ، وأمره الله عز وجل وهو نبي يوحى إليه بمشاورة أصحابه في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وشاورهم في الأمر** ﴾ ، وقال تعالى مخبرًا عن حال المسلمين في تدبير شئونهم : ﴿ **وأمرهم شورى بينهم** ﴾ ومنذ هجرته ﷺ إلى المدينة وهو في جهاد مستمر لإعلاء كلمة الله وتطبيق أحكام الشريعة وجعل المسلمين كما

(90) منطلقات إسلامية ، مطبعة سوريا ، طنجة ، ص : 113 .

(91) المصدر السابق ، ص : 113 .

جاء في حديثه (يدا على من سواهم) ، فمن أين (للخواجات) وأشباههم معرفة **السياسة الإسلامية** وإدارة دفة الحكم في الوطن الإسلامي كما جاء في القرآن على نحو يرضي الله ورسوله .

ويرد كنون أسباب الهزيمة الحضارية في شقيها الفكري والسياسي إلى عزل الإسلام عن الحياة العامة وإبعاد علماء الإسلام عن شئون الحكم مما يدخل ضمن المؤامرة المبيتة ضد الإسلام والتي يتولى كبرها خصوم الفكرة الإسلامية الذين لا يرضون أن يكون للسياسة الإسلامية نفوذ وسلطان في حياة المسلمين . ويقول في هذا المعنى [92] : « إن أعظم سبب في اضطراب الأحوال السياسية في بلاد المسلمين هو إبعاد علماء المسلمين عن حوزة الحكم ممارسة ومشاورة ؛ فمن ذلك **صارت سياسة الحكومات الإسلامية تابعة لسياسة الأجانب** ، ودخلت الربويات وما إليها اقتصاد المسلمين ، وانهار المجتمع الإسلامي تربويا وأخلاقيا وظهر التمرد على الشعائر والانتهاك للحرمات في سلوك الجيل الجديد من أبناء المسلمين وتصرفاته .

ويمضي كنون في كشف أبعاد عزل السياسة الإسلامية والقضاء على دورها في قيادة المجتمع فيقول : « ومما يبعث على الإشفاق أن يقول الرئيس المحترم [93] إنني ضد تدخل الدين في السياسة ، وأن يحذر من تسييس الإسلام ، وينهى عنه ويتوعد عليه **ثم يعود** إلى العلماء يطلب منهم تأييد سياسته العوجاء أو على الأصح يرغمهم على ذلك فيتناقض مع نفسه ، ويحل ما يحرمه في آن واحد . **ولعل أغرب ما في قضية الحكام المسلمين الذين يبعدون الدين عن حظيرة الحكم وينادون بالعلمانية ، أنهم يصطنعون الدين الآخر ، لا أعني طقوسه ورسومه ، ولكن عادات أهله وأخلاقهم ويحملون عليها شعوبهم حملا بالقانون أو بالقدوة فيهدمون بذلك أحكام الإسلام في المعاملات والأحوال الشخصية والآداب الشرعية** ، ويحفرون هوة

---

(92) مصدر سابق ، ص : 114 .

(93) لعله يقصد هنا أحد الرئيسين : الحبيب بورقيبة أو أنور السادات اللذين أُثِرتْ عنهما تصريحات متكررة بهذا المعنى .

عميقة بينهم وبين شعوبهم المؤمنة المتمسكة بإسلامها ، فتكون العاقبة: ما هو معروف من فقد الانسجام والتجاوب بين الحكام والمحكومين . وذلك **هو أعظم خطر يواجهه أي حكم في أي بلد** [94] .

ويخلص كنون إلى إقرار المبدإ الأساسي في النظام الإسلامي الذي لا يقوم إلا به فيقول في وضوح كامل لا مزيد عليه :

« إن الإسلام مُسَيّس من أصله ، وليس تسييسه من صنع أحد ، بل من وضع من أنزله هدى ورحمة للعالمين ، وإن الأجدر بهم والخير لهم أن يعودوا إليه قبل أن يندموا ولات حين مندم » [95] .

وهذا الرأي المبدئيُّ الثابت الذي أخذ به كنون هو الرأي الصائب والسليم والمعبر عن حقيقة الشريعة الإسلامية أقوى وأبلغ ما يكون التعبير ، وهو الرأي الذي لا يجادل فيه مؤمنان ، وهو ما اتفق عليه علماء الإسلام ومفكروه في كل عصر ، ولا يزال موضع اتفاقهم إلى اليوم لأنه يمثل خلاصة الشرع الإسلامي . ويذهب د . أحمد شلبي في كتابه (السياسة في الفكر الإسلامي) إلى تعضيد موقف كنون إزاء هذه القضية تعضيدا كاملا حيث يؤكد على ضرورة قيام الحكومة الإسلامية ويقول [96] : **« إن الإسلام يعنى بجانب السياسة والحكم . ونظام الحكم جزء من الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية ، وقد قضت بذلك طبيعة الإسلام ، كما قضى به تاريخ الإسلام وواقعه ، وهذا الواقع الذي نشأ عن اجتهاد السلف هو مصدر من مصادر التشريع في الإسلام بطبيعة الحال »** .

ويضيف د . شلبي موضحا خصائص الحكومة الإسلامية أو السياسة الإسلامية

---

(94) مصدر سابق ، ص : 115 .

(95) مصدر سابق ، ص : 115 .

(96) موسوعة النظم والحضارة الإسلامية ، ج : 3 ، السياسة في الفكر الإسلامي ، ط : 5 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة (1983) . ص : 30 .

بعبارة أخرى فيقول [97] : « ارتبط الإسلام بشئون الحكم فألزم أن **توجد هيئة** تعلم المسلمين أمور دينهم وأمور دنياهم ، **وتشرف على تنفيذ هذه التعاليم** ، وتتحمل هذه **الحكومة الإسلامية** مسئولية مهمة إزاء أية جماعة أو دولة يجذبها الإسلام إلى إطاره » .

ويقول أنور الجندي في دراسة له عن (مناهج الإسلام في العلوم السياسية والفكر السياسي الإسلامي) [98] : « إن الادعاء بالباطل بأن الإسلام لا يملك فكرا سياسيا كان من أغرب المحاولات التي قام بها التغريب والغزو الفكري من أجل تثبيت المنهج الغربي للعلوم السياسية . وقد ظل عدد من كتاب العرب الجارين في فلك التغريب والتبعية الثقافية يلحون على القول بأن المسلمين والعرب لم يكن لهم نظام سياسي أصيل ، وأن مصدر النظرية السياسية هو فكر روماني ، وأن العرب المسلمين كانوا نَقَلَةً لهذه الدراسات » .

وعلى أساس الوعي بما كان وبما لا يزال يدبر ضد الفكر السياسي الإسلامي من مؤامرات الغرض منها عزل الإسلام عن مجرى الحياة تماما وحصر دوره في المساجد والكتاتيب انطلق كنون يناضل بفكره المتفتح وبصيرته النيرة ليرد على هذه الأباطيل وليثبت أن للإسلام منهجا للحكم والسياسة وأن هذا الدين إنما أنزله الله تعالى على عبده ورسوله محمد ﷺ ليسود في الأرض وليقود الحياة وينظم شئون المسلمين وفق الأحكام المقررة والأساليب الشرعية المعتمدة . ولقد عاش كنون حياته بالطول والعرض مدافعًا عن هذه الفكرة منتصرا لها لا يهادن ولا يمالئ ، ولا يتنازل عن شرط من شروط النظام السياسي الإسلامي . وكانت مواقفه في رابطة علماء المغرب على سبيل المثال سلسلة من النضالات الفكرية المنضبطة المحكومة بأصول الشرع ومقاصده لإبراز حكم الإسلام (لا رأيه ، فليس للإسلام رأي إنما له حكم) في الأحداث والوقائع والنوازل والمواقف والظواهر والحالات مما يعيشه المجتمع المغربي المسلم

---

(97) مصدر سابق ، ص : 29 .

(98) سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية ، ط : 2 ، سنة : 1985 ، دار الجيل ، بيروت ، ص : 92

ويقتضي بيان أحكام الدين بشأنه ، وبذلك كان كنون وهو على رأس رابطة علماء المغرب يمارس دور المفكر الإسلامي السياسي بتفوق واقتدار ، ولا تزال تقاريره المذهبية التي كان يقدمها إلى مؤتمرات الرابطة وثائق ناطقة بصدق كنون في جهاده العلمي ، وبحكمة مواقفه في عديد من الأمور التي اتسم بعضها بقدر من التعقيد وانطوى بعضها الآخر على شيء غير قليل من الحرج .

ويمكن القول بكل الجزم والتأكيد إن حياة كنون الطويلة الممتدة كانت سلسلة من المعارك السياسية التي وإن كانت لم تأخذ الطابع المباشر والمواجهة التقليدية فإنها لم تخرج عن جادة الحق ولم تكن من قبيل المعارك الاستهلاكية ، وإنما كانت سياسة إسلامية رشيدة .

3) دعوة كنون إلى دستور إسلامي

ولقد دعا كنون إلى تقنين السياسة الإسلامية في دستور إسلامي ، وكان رائدا في هذه الدعوة سبق المدارس الإسلامية الحديثة التي كانت إلى حدود العقد السابع من هذا القرن تكتفي برفع شعارات السياسة الإسلامية وترديد بعض الأدبيات التي لا ينكر أثرها في تعميق الفكرة الإسلامية في النفوس . وقد كتب كنون تحت عنوان (حاجة المسلمين إلى دستور إسلامي) [99] يقول :

« في المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الإسلامية الذي انعقد بمصر في ذي القعدة 1397 لاحظتُ أن جل الأبحاث التي قدمها السادة العلماء للمؤتمر أبحاث علمية متخصصة في مادة الفقه وما إليه ، مما يرتفع عن مستوى الجماهير الإسلامية التي تحيط المؤتمر بهالة من الإكبار ، وتعلق عليه أعظم الآمال ، في إصلاح ما بها وإرضاء تطلعاتها إلى مستقبل أفضل وغد أسعد تحت راية الإسلام ودولته الزاهرة .

---

(99) منطلقات إسلامية ، ص : 165 .

وبناء على ذلك قمت بتدخل قلت فيه إن ما ينتظره المسلمون من مؤتمر علماء الإسلام غير هذه الأبحاث ، وإن القضايا الكبرى التي تواجه العالم الإسلامي يجب على المؤتمر وعلى الأزهر بالخصوص أن يتخذ فيها مواقف علمية لا ترتبط بسياسة الحكومات الوطنية المقيدة بالقوانين والالتزامات التي تفرضها عليها المنظمات الدولية ، وضربت المثل بالفاتيكان ونفوذه الروحي الذي يتجاوز ما له من دولة رمزية ، ويصول ويجول في الميدان السياسي حتى أنه ليخلق مشاكل دولية تضرُّ بنا أشد الضرر كقوله بتدويل مدينة القدس .

وطرحت بعض المسائل ذات الأولوية ومنها وضع دستور إسلامي لاستعمال الشعوب الإسلامية في أفريقيا وآسيا التي نالت استقلالها حديثا ، وجاهدت من أجل قيام حكم إسلامي فيها بدلا من الحكم الأجنبي الذي أقامه الاستعمار فيها أيام سيطرته عليها .

وتابعت القول إن هذه الشعوب التي كانت تتطلع لتطبيق الشريعة الإسلامية فيها وإقامة نظام حكم إسلامي عند تسلم مقاليد الأمر في بلادها ، بحاجة أيضا إلى (مجلة أحكام شرعية) كالمجلة العدلية التي كانت وضعت في أيام الدولة العثمانية ، وبما أن أكثرها لا تتكلم اللغة العربية ولا يوجد فيها علماء أكفاء للقيام بهذا العمل فإن بعض أبنائها الذين درسوا في الغرب يعمدون إلى نقل القوانين الأجنبية والحكم بها ، فيضيعون على شعوبهم فرصة الحكم بالشريعة الإسلامية وقيام مجتمع إسلامي فاضل كما كانوا يتمنونه . ولهذا وجب على علماء الإسلام وخاصة في الأزهر ومجمع البحوث وضع مجموعة للأحكام الشرعية المتعلقة بالمعاملات في شكل قوانين للعمل بها في الأوطان الإسلامية ، لا سيما وكثير من الدساتير المعمول بها في البلاد الإسلامية تنص على أن الإسلام هو الدين الرسمي للدولة في حين أن نصوص الدستور نفسه تناقض الشريعة الإسلامية . وبالأخص فيما يتعلق بالحريات العامة كحرية العقيدة التي لا تستثني الرِّدَّة ، وحرية الرأي الذي قد يصل إلى الطعن في المقدسات وفي الدين الحنيف . وكذا ما يخص التنظيمات القضائية وما يسمى فصل السلطات الذي بموجبه ألغي نظام ولاية المظالم والحسبة التي كانت تسهر

على نظافة المجتمع ومحاربة الفساد والانحلال الخلقي وغير ذلك مما أماتته الدساتير الحديثة وعملت على تقليد الغرب في جميع تنظيماته ولو كانت ضارة بالمجتمع .

« ومن العجيب أن يتناقض الدستور مع نفسه وهو ينص على أن الدين الرسمي للدولة هو الإسلام قبل أن يتناقض مع الأحكام القانونية المخالفة لشريعة الإسلام ، بحكم مبدأ دستورية القوانين ، ولكن هو يعطي للدين مفهوما لاهوتيا صرفا ، كما هو عند الأجانب فيقع في هذا المحذور . وقد آن لنا أن نقلع عن هذه التبعية ونرجع إلى أصالتنا وننهض برسالتنا التي تجعلنا خير أمة أخرجت للناس .

وكان لهذا التدخل أثره المشهود في تأييد أعضاء المؤتمر فكرة وضع دستور للمسلمين مستمد من الكتاب والسنة وأصول الحكم في ديننا الحنيف . وبعد إدلاء كل بما عنده تقرر أن يقوم المجمع بتنفيذ الفكرة ويعد الدستور المطلوب ليعرض على المناقشة في المؤتمر التالي » [(100)] :

وهذا الاقتراح الذي قدمه كنون إلى أعلى هيئة علمية إسلامية في هذا العصر ومن عاصمة بلد إسلامي انطلقت منه في أزمنة سابقة الدعوات المناهضة للفكر الإسلامي السياسي والمحاربة للنظام الإسلامي بالكامل يعتبر موقفا بالغ الأهمية وينطوي على دلالات سياسية على قدر كبير من القيمة والاعتبار لأنه يحتوي على نقد صريح للواقع الدستوري في البلاد العربية الإسلامية لا نكاد نقرأ مثيلا له فيما كتبه مفكرو الإسلام في هذا العصر .

4) إسلامية الدولة في الدساتير الراهنة

لقد كان كنون من الأوائل الذين تنبهوا إلى ضرورة تقنين دستور إسلامي تعمل بمقتضاه الحكومات الإسلامية ، ولكنه في ذات الوقت كان من طلائع المفكرين

---

(100) يلاحظ أن مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية تعطلت منذ ذلك التاريخ سنوات عديدة . وقد حرص شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود على متابعة إنجاز مشروع الدستور الإسلامي حتى نوقش في المؤتمر التاسع للمجمع ولم يتوف الله هذا الشيخ الجليل إلا بعد أن أصبح المشروع جاهزا في انتظار العمل به ، وقد بذل رحمه الله جهودا مضنية لإنجاز هذا العمل الإسلامي الكبير .

المسلمين الذين انتقدوا في صراحة كاملة بعض الدساتير المعمول بها في العالم العربي الإسلامي لما فيها من عدم انسجام مع روح الأمة . وفي هذا الاتجاه يقول كنون : **« إن أهم فقرة يحرص الواضعون للدستور في بلادنا الإسلامية على ألاّ يخلو منها الدستور الإسلامي هي التنصيص على أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام ، وهي فقرة إنما تسجل واقعا لا مراء فيه ، ولو لم تظهر فينا هذه النزعات اللا دينية التي يسمونها بالعلمانية ، والعلم منها براء ، لما كانت هناك حاجة إلى تسجيل هذا الواقع ، إذ هو من تحصيل الحاصل كما يقولون »** [101] .

ويضيف في فصل له بعنوان : (أهم فقرة في الدستور) [102] :

« وفي نظري أن الفقرة الأهم في الدستور هي التي تتعلق بالحريات العامة فقد درجنا على نقل هذه الفقرة من الدساتير الأجنبية التي تبيح كل محظور ، وتخالف كل مأمور ، ومردّ ذلك إلى التجاوز في مفهوم الحرية والإطلاق في معناها بحيث أصبحت وليس لها حدود تنتهي إليها ولا معالم تتعرف بها ، فحرية الفكر والتعبير عن الرأي أفضت إلى فتح أبواب التمرد على المقدسات وانتهاك الحرمات والردة عن الإسلام التي تنص الفقرة الأولى على أنه دين الدولة . لا سيما وبعض الدساتير تزيد في فصول هذه الحرية ، حرية العقيدة وهي إن كان يراد بها حرية غير المسلمين من السكان في أن يتمسكوا بعقيدتهم ويزاولوا شعائر دينهم ، إلا أن عدم بيان هذا المراد ، جعلها حجة في يد المستهترين بالقيم الروحية ومن مشمولات ما عطفت عليه من حرية الفكر والتعبير عن الرأي ، وكذا يقال في الحرية الشخصية التي يفهمها المنحرفون والمنحرفات فهما مقلوبا ، فيتخذونها ذريعة لارتكاب أشنع المخالفات والمجاهرة بأبشع المنكرات . وحينما تضاف إليها حرية التجمع فإن الاختلاط بين الجنسين أولا في المدارس والكليات وثانيا في

---

(101) منطلقات إسلامية ، ص : 178 .

(102) مصدر سابق ، ص : 179 .

الأماكن العامة يصبح مقننا ومأذونا فيه بنص الدستور وأنف الإسلام راغم ، ونحن نعلم ما ينتج عن ذلك في المدارس والكليات بين الشبان والشابات وفي الأماكن العامة بين النساء والرجال ؛ في الحفلات وفي الميادين الرياضية والسينما والمسرح وفي الشواطئ والمسابح وغير ذلك ، من المآسي الخلقية والفضائح التي لايقول أحد إن الإسلام يقرها ويوافق عليها فكيف تدس في دستوره (أي دستور الإسلام) **وعلى أي وجه شرعي تُخَرَّج ؟** (بضم التاء وتشديد الراء المفتوحة) .

هنا يصل كنون إلى قمة النقد السياسي من وجهة النظر الإسلامية للدساتير المعتمدة في الوطن العربي الإسلامي . وهو نقد شريف ونزيه ما في ذلك شك قط ، الغاية منه بيان موقف الشرع من قضية الحريات العامة التي يراد لها أن تكون مطلقة من كل قيد على غرار ما هو معمول به في الغرب . وهو المحظور الذي وقعت فيه بعض الدساتير العربية والإسلامية التي قلد واضعوها الدساتير الأوروبية والدستور الأمريكي على علاتها دون مراعاة البيئة الحضارية الخاصة بنا كأمة عربية إسلامية .

وتأتي أهمية النقد الذي يسوقه كنون لهذه الدساتير من أنه صادر عن مفكر إسلامي يمثل طبقة علماء الأمة ويتمثل فيه تراث الإسلام بكل جلاله . فهو ليس (نقدا سياسيا) محضا ، ولكنه (نقد إسلامي سياسي) خالص . والفارق كبير بين النقدين .

ويزيد كنون المسألة وضوحا فيقول [103] :

« ومن هنا نعلم **أن فقرة دين الدولة هو الإسلام إنما توضع للتمويه والتغرير ، وإلا فإن من أول ما تنخرم به هذا الإطلاق في فقرة الحريات العامة والتجاوز في مدلول الحرية الذي يسمو عن الابتذال بهذا الشكل الزائف** ».

ويبلغ كنون درجة عالية من الوعي السياسي ، الذي ينبع من شعوره بالمسئولية

---

(103) مصدر سابق ، ص : 180 .

الإسلامية التي يتحمل عبئها ، حين ينقد ، في تبصر وفطنة ، مخالفة بعض الهيئات التشريعية لمبدأ دستورية القوانين بسن قوانين مخالفة لروح الإسلام ومتجافية عن مقاصد الشرع . ويقول في هذا الصدد [104] :

« .. ومن المبادئ القانونية المسلم بها في كل الدساتير ما يعبر عنه بدستورية القوانين أي وجوب موافقة ما يسن من قوانين الحكم لمبادئ الدستور الأساسية ، **فلا يصح أن يوضع من طرف الهيئة التشريعية في البلاد أي قانون يخالف المادة الدستورية التي تقول إن دين الدولة الرسمي هو الإسلام ، فكيف يأتي في تعبير الدستور ما يناقض ذلك من فقرة الحريات العامة هذه » ؟ .**

وهذه المسألة التي تنبه لها كنون هي أهم المسائل التي تطرح نفسها في سياق النقد الموجه إلى الدساتير التي تعمل بها بعض الدول العربية والإسلامية ؛ لأنها تكشف عن تناقض سياسي وتعارض دستوري وفجوةٍ تشريعية ما كانت لتحدث لو أن الرؤية الإسلامية المتكاملة هي المهيمنة على الحياة السياسية في هذه الدول .

وموقف كنون من هذه المسألة بالغ التميز ويقترب به من صف المفكرين السياسيين المعارضين للخط العام الذي تسير عليه بعض الأنظمة . وما تعودنا مثل هذه المواقف من علماء الإسلام في هذا العصر اللهم إلا ممن يعمل منهم في الحقل السياسي ؛ ممن يجمع بين التكوين العلمي الإسلامي الشرعي وبين تعاطي العمل السياسي ، ومنهم علال الفاسي الذي كان مثالا لهذه المزاوجة النادرة بين الموقف الإسلامي المبني على مبادئ الشريعة وبين الموقف السياسي القائم على فهم العملية السياسية [105] فهما مستنيرا . ونضيف إليهما حسن البنا في المرحلة الثالثة من حياة جماعة الإخوان المسلمين وهي المرحلة التي سبقت وفاته رحمه الله ؛ فلقد سجل مواقف إسلامية سياسية على قدر كبير من النضج والوعي والتفتّح بعد أن خرج من طور العمل الإسلامي التربوي والثقافي والإصلاحي إلى طور العمل الإسلامي السياسي .

---

(104) مصدر سابق ، ص : 181 .

(105) لا أقول (اللعبة السياسية) كما هو شائع ومتداول على الألسن والأقلام ؛ لأن السياسة من منظور إسلامي عمل جدي وليس لعبة .

الفصـل السادس

كنون والمدارس السياسية الإسلامية الحديثة

1) القاسم المشتـرك

مع التفاوت الحاصل بين الثلاثة (كنون ، علال ، البنا) من حيث الظروف التي واجهوها ، وبالنظر إلى أسلوب تعامل كل منهم مع الواقع الخاص الذي يتحرك في نطاقه فإنه يمكن القول إن القاسم المشترك بين هؤلاء هو الانطلاق من ضرورة أن يسود نظام الحكم الإسلامي في البلاد العربية الإسلامية ، وأن يعود المسلمون إلى الإسلام ؛ ليستمدوا منه وسائل تغيير مجتمعاتهم وليبنوا حياتهم على أسس متينة تصمد في وجه التحديات الحضارية والاقتصادية والسياسية والأمنية التي تتهدد بلدانهم وليتحرروا من التبعية بكل أشكالها وليرقوا إلى مستوى حضارتهم الإسلامية الباذخة التي قادت الإنسانية ردحا طويلا من الزمن والتي ساهمت في إقرار مبادئ الأمن والسلم في العالم وتعميق مفاهيم التعايش بين الأمم والشعوب قبل صدور ميثاق الأمم المتحدة بأربعة عشر قرنا .

إنَّ القواسم المشتركة بين الحركات الإسلامية والمدارس الفكرية التي تجعل من الإسلام منطلقا لها وبين اتجاهات الفكر السياسي الذي يستمد شرعيته من نظام الحكم في الإسلام تجعل من الصعوبة بمكان النظر إلى إحدى المدارس بمعزل عن الأخرى مع وجود فوارق أساسية في بعض الأحيان بين موقف هذه المدرسة أو تلك ، خاصة في المجالات المتصلة بوسائل العمل وتكتيك التعامل ، غير أن الصلة السياسية بين مدرسة كنون وبين مدارس الأعلام الثلاثة الآخرين : علال ، البنا ، الغنوشي من الوضوح بحيث يمكن القول إن هناك تقاربا بين الاتجاهات الأربعة بالرغم من التفاوت الشكلي ، خاصة وأن كنون لم يؤسس تيارا سياسيا ولم يكن (منتميا) إلى أحد الاتجاهات السياسية بالمعنى الحزبي والاصطلاحي للانتماء .

والحقيقة أن مما يعلي من مكانة كنون ويرفع منزلته في ساحة العمل الإسلامي الدولي أنه بالرغم من عدم انتمائه لحزب من الأحزاب ـــ بالمفهوم الشائع للانتماء ـــ وبالرغم من عدم اشتغاله بالقضايا السياسية التقليدية وبالوسائل العامة ، فإن له حضورا بالغ التميز في الميدان السياسي بحيث يمكن تصنيفه في خانة خاصة به ضمن الاتجاهات السياسية الإسلامية . وهذه الظاهرة لا تكاد تتكرر في جهات أخرى ومع أشخاص آخرين .

وفيما يتصل بالموقف من النص على إسلامية الدولة في بعض دساتير الدول العربية الإسلامية يلتقي كنون مع البنا في نقده لظاهرة التزييف التي تتمثل في استغلال نصوص الدساتير لأغراض تتنافى والمقاصد المرسومة مما يجعل هذه النصوص فاقدة لمدلولاتها فارغة من محتوياتها . وفي هذا السياق يقول البنا [106] :

« نعتقد أن نظام الحكم الدستوري هو أقرب نظم الحكم القائمة في العالم كله إلى الإسلام ، ونحن لا نعدل به نظاما آخر . إن المبدأ السليم القويم قد يوضع في نص مبهم غامض فيدع مجالا للعبث بسلامة المبدإ في ذاته ، وإن النص الظاهر الواضح للمبدأ السليم القويم قد يطبق وينفذ بطريقة يمليها الهوى وتوجبها الشهوات ، فيذهب هذا التطبيق بكل ما يرجى من فائدة . إذا تقرر هذا فإن من نصوص الدستور المصري [107] ما نراه مبهما غامضا يدع مجالا واسعا للتأويل والتفسير الذي تمليه الغايات والأهواء ، فهي في حاجة إلى وضوح وإلى تحديد وبيان ».

2) الالتقاء لا التطابق

ولابد من الإشارة هنا إلى أن كنون حين يلتقي مع البنا في مواقف محددة ووجهات نظر معينة وأحكام شرعية بذاتها ، فليس في هذا الالتقاء ما يثبت تطابقا

(106) حسن البنا : الداعية الإمام والمجدد الشهيد ، أنور الجندي ، دار القلم .
(107) المقصود ـــ طبعًا ـــ دستور سنة 1923 .

تاما بين الفكرتين الرئيستين اللتين يصدران عنهما ، وإنما هي قواسم مشتركة تجمع بين الرجلين بحكم الانتماء الواحد إلى العقيدة الواحدة والتطلع الموحد إلى أن تكون السيادة والحكم للإسلام بغض النظر عن المنطلقات والأساليب والوسائل ومناهج العمل المؤدي إلى تطبيق ذلك في الواقع المعيش.

والحق أن تطابق وجهات نظر كنون وعلال أقرب إلى أن يكون اتفاقا في كثير من المسائل والقضايا التي اشتغلا بها . فنسبة الاختلاف بين المدرستين أقل مما هي بينهما وبين المدارس الفكرية والسياسية داخل الساحة الإسلامية . ولا غرو في ذلك فالرجلان ينطلقان من منطلق واحد ويواجهان ظروفا واحدة ، حتى وإن كان أحدهما زعيم حزب سياسي وقائد حركة فكرية بينما الآخر يعمل من خارج دائرة الأحزاب وعلى المستوى الثقافي والفكري والصحافي والعلمي بالمفهوم التقليدي الذي لا يعكس واقع الحال .

وهذه ميزة تحسب لكنون وتزيد من ثقله السياسي داخل محيطه المغربي . فلقد كان سياسيا وإن لم ينتم إلى حزب من الأحزاب بالمعنى التقليدي للانتماء إلى الأحزاب السياسية . والواقع أن كنون كان شديد الانتماء إلى الفكرة الأساسية التي تبناها علال وإلى الأهداف الرئيسة التي عمل من أجلها ، وهي التي تتلخص في شعار موضوعي هو : (**مواطنون أحرار في وطن حر**) ، فلقد كان مفهوم الحرية عند كنون يتطابق مع مفهومها لدى علال ، وهو التحرر من التبعية للأجنبي سياسيا واقتصاديا ولغويا وثقافيا وتشريعيا وحضاريا ، وهذا ما يتمثل في إقامة حكم الإسلام الذي يكفل هذا الضرب من التحرّر ويضمن هذا المستوى من الحرية الذي لا يماثله مستوى آخر في أية عقيدة أو مذهب .

يقول كنون [108] : « **إن الاتجاه السياسي للإصلاح الإسلامي** الذي دعا إليه المجدّد الأول السيد جمال الدين الأفغاني ، قد انصرف المسلمون عنه بعوامل مختلفة ،

---

(108) جولات في الفكر الإسلامي ، مطبعة الشويخ تطوان 1980 ، ص : 79 .

وتحت ضغوط داخلية وخارجية ؛ فبالرغم من أن صوتا آخر من أجهر الأصوات ، كان قد ارتفع بهذه الدعوة ، وهو صوت السيد عبد الرحمان الكواكبي صاحب كتابَيْ (طبائع الاستبداد) و (أم القرى) ، وأن صداها لم يزل يتردد بين جنبات العالم الإسلامي من طرف دعاة كبار **كالأمير شكيب أرسلان والشيخ حسن البنا والسيد أبو الأعلى المودودي والأخ علال الفاسي** وسواهم ، فإن أكثر زعماء الأحزاب السياسية والحكام الذين قاموا في البلاد الإسلامية بعد القضاء على الخلافة العثمانية ، كانوا متشبعين بأفكار وأيديولوجيات أخرى ، حرصوا كل الحرص على تطبيقها من غير نظر في موافقتها أو معارضتها للإسلام .. وكان الذي يغامر بانتقادهم ويطالب بإقامة حكم نابع من دستور الإسلام الخالد ، وهو القرآن الكريم والسنة النبوية ، يستهدف لسخرية العملاء والدلادل ونبزه بأقبح النعوت كالجمود والتزمت وعدم التفتح على العصر الذي يعيش فيه ، وهذا إنْ لم يتعرض للأذى والعقاب من طرف رجال الحكم أنفسهم » .

وهذا التشخيص الذي يسوقه كنون لعلة مزمنة يشكو منها الواقع الإسلامي يختصر أزمة الفكر السياسي في البلاد الإسلامية اختصارا وافيا ومركزا ؛ لأن ما ينقص العالم الإسلامي ليس هو المنهج والمبادئ العامة القابلة للتطبيق في كل وقت وتحت أي ظرف ، وإنما هو الاقتناع بهذا المنهج والإيمان بهذه المبادئ .

وينتقل كنون إلى تحديد مستوى ثان لأزمة الفكر السياسي ، ويتمثَّل في تملق العامة واحتواء استنكارها الطبيعي والتلقائيِّ للخروج عن محجة الإسلام ، ويقول في هذا الصدد [109] : « إن كثيرا من الحكام لما رأوا تمسك شعوبهم بالإسلام ، وتغير قلوبهم عليهم ، صاروا يتملقون العامة ببعض المظاهر الإسلامية ، وأَوْعَزُوا إلى أنصارهم وصنائعهم بالعمل على إلباس تلك الأفكار والأيديولوجيات لباس الاسلام ، وادعاء أنها هي المفهوم الحقيقي للدين الحنيف الذي أخطأه السلف والخلف ، ولم يستبن معناه

---

(109) مصدر سابق ، ص : 74 — 80 .

إلا لهؤلاء القادة الأبرار والساسة الأحرار ».

ويواصل الكشف عن مظاهر تزييف وعي الشعوب الإسلامية وإبعادها عن مصادر قوتها وحريتها واستقلالها . فيقول [110] : « من المؤسف أن يقع بعض الكتاب المخلصين في هذه الخدعة ويوالوا نشر المؤلفات التي تضرب على نغم جميع المذاهب المستوردة ، حتى لنخشى أن تصبح الشيوعية الماركسية واللينينية إسلامًا صحيحا مؤيدا بالنصوص وأعمال بعض رجالات السلف الصالح ».

ويرد كنون هذا المسلك من الحكام والزعماء والمفكرين إلى ضغوط خارجية تمارسها أطراف دولية على الحكومات والأنظمة في العالم الإسلامي . ويقول في هذا المعنى [111] : « .. ولاشك في أن هناك ضغطا خارجيا على بعض الحكام المسلمين الذين يتبنون هذه السياسة أو تلك ، إلى جانب إيمانهم بجدواها دون السياسة الإسلامية ، وأن ما يعبر عنه بالمساعدات المشروطة ، إن كان إنما يهدف في الظاهر ، إلى حماية مصالح الجهة التي تبذل تلك المساعدات ، فإنه في باطن الأمر ، لا يعدو أن يكون توجيها سياسيا وضغطا على اتباع مذهب هذه الجهة أو عدم مخالفته على الأقل . وهذا هو التفسير الواقعي لحملة الإبادة التي تعرضت لها إحدى الهيئات الإسلامية الكبرى في بلد شقيق قبل بضع سنوات » [112].

ويورد كنون مستوى ثالثا من المؤامرة الدولية ضد الإسلام في هذا العصر على نحو ينم عن وعي سياسي عميق حين يذكر « أنه قد يكون بعض الحكام ممن لا يهتمون بشئون الدين ، فيغتنم خصوم الإسلام الفرصة ويعملون على نشر مبادئهم ، ومحاربة

---

(110) مصدر سابق ، ص : 80 .

(111) مصدر سابق ، ص : 80 .

(112) من المؤكد أن المقصود هنا جماعة الإخوان المسلمين في مصر التي تعرضت لحملة إبادة شاملة سنة 1965 .

عقيدة الإسلام ، كما حصل في أندونيسيا لما أصبح الحزب الشيوعي فيها أكبر حزب في العالم ينتمي إلى هذا المذهب خارج بلاد الاتحاد السوفييتي . والناس يتعجبون من انقسام دولة باكستان ونجاح دعوة الانفصال فيها ، مع أنها دولة إنما قامت على أساس الفكرة الإسلامية والأخوة الدينية ، ولكنهم ينسون أن هذه الفكرة منذ كانت وهي ملاحقة من خصوم الإسلام ومحاربة بطرق خفية ومكشوفة ، فالمكشوفة هي التي تسير عليها سياسة الهند الوثنية ، والخفية هي التي استخدمتها الهيئات المشبوهة بعد فتور الحماس الديني لباكستان الإسلامية الذي كان يتصف به حكامها الأولون » .

ويخلص كنون من هذا التشخيص لعلل الواقع الإسلامي وأدوائه من خلال هذه الأمثلة إلى التأكيد على المبادئ الأساسية التالية[113] :

أولا : « إن الإسلام لا يقبل المزاحمة ، فإما عقيدة إسلامية ، وشريعة إسلامية ، وأخلاق إسلامية ، في دولة إسلامية تحمي هذه القيم من التزييف والتحريف ، وإما هذه الفوضى والتمزق الذي يعيش فيه المسلمون ، ويدمغهم بالخنوع والاستسلام ، فما ينهضون من نكسة إلا ليقعوا في نكسة أعظم » .

ثانيا : « إذا كان تقسيم العالم الإسلامي إلى دويلات مدنية هي المسئولة عن إيقاف المدّ الإسلامي الأول ، فإن العلماء الذين يتواطئون مع هذه الدويلات في التمكين للنظم المستوردة والنسخ (الكوبيا) من المذاهب الأجنبية وتزكيتها بنسبتها إلى الإسلام أو نسبة الإسلام إليها ، هم المسئولون عن تعويق المدّ الإسلامي الجديد الذي يهدف إلى **قيام دولة إسلامية بكل معاني الكلمة وأبعادها** ، ويضع فكرة السيد جمال الدين موضع التنفيذ » .

ثالثا : « **على الحكومات التي تقوم في مختلف البلاد الإسلامية أن تجرب سياسة الإسلام والحكم بشريعته** ، والتمهيد للعقيدة الإسلامية والأخذ بيد دعاة الفكر

---

(113) مصدر سابق ، ص :82 .

الإسلامي الصحيح الذين هم آخر من ينزع يَدًا من طاعة ؛ «لأن **نظام الحكم في الإسلام قوامه السمع وعدم منازعة الأمر أهله ، ومن خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية** ، فما تخشاه من انتشار الدعوة الإسلامية ، وقوة الهيئات المتقيدة بالإسلام ، وعودة السلطان الإسلامي ، إنما هو وَهْمٌ وتسويل من الشيطان ، وإيحاء ودسّ من الدول الأجنبية التي يهمها بقاء نفوذها ساري المفعول في كل بلدٍ إسلامي لتشل انبعاث الجامعة الإسلامية الكبرى التي تعد خطرَها أعظمَ من خطر الحرب الذرية » .

رابعا :« لا شبهة على براءة الحركات الإسلامية من الشغب ، والشبهة أكبر من أن الانقلابات الحكومية التي وقعت في أي بلد إسلامي خلال القرن ، اعتبارا من الانقلاب التركي ، لم يكن القائمون بها من العناصر التي تتخذ الإسلام شعارا لها ، ولو على سبيل الدعاية ، وأن الأحزاب السياسية المعارضة التي توجد في البلدان الإسلامية ولا سيما العربية **ليس فيها حزب واحد ذو نزعة دينية** [114] . **فليضع الحكام إذن يدهم في يد دعاة الإسلام بملء الإيمان والثقة وليرفعوا معا راية الإسلام ، فإن مستقبل هذا الدين الحنيف بين أيديهم ، وإن الله سائلهم عنه لا محالة »** .

---

(114) صيغة الإطلاق التي أصدر بها كنون هذا الحكم على الأحزاب السياسية في الوطن العربي الإسلامي قابلة للأخذ والرد والتعقيب . لأن هناك أحزابا سياسية تزاول نشاطا سياسيا واسعا ليست ذات نزعة دينية فحسب بل وتقوم برامجها على أساس إسلامي . وغني عن القول أن حزب الاستقلال في المغرب في مقدمة الأحزاب العربية التي تتخذ من الإسلام أيديولوجية ثابتة لها . وتأتي بعد ذلك أحزاب أخرى مثل الجبهة القومية الإسلامية وحزب الأمة في السودان ، وحزبي العمل والأحرار في مصر . ولا أحسب أن كنون قصد إدخال حزب الاستقلال ضمن الإطار الذي حدّده أعلاه بدليل أنه وضع علال الفاسي في مستوى واحد مع المودودي (والجماعة الإسلامية التي كان يرأسها تعتبر حزبا سياسيا يشارك في الانتخابات) والبنا الذي تعتبر جماعة الإخوان المسلمين التي أنشأها حزبا سياسيا وإن لم ينل التصريح الرسمي حتى الآن ولكن له حضورًا في البرلمان المصري على كل حال .

3) رأيه في موقف الحكومات من الحركة الإسلامية

يثير كنون بالمناسبة مسألة شديدة الحساسية تتصل بموقف الحكومات والأنظمة القائمة في العالم الإسلامي من الحركة الإسلامية المتنامية ، ويحدد في دقة بالغة الموقف الإسلامي الشرعي الذي يأخذ به في هذه المسألة ، ويتلخص في أن دعاة الفكرة الإسلامية هم آخر من ينزع يده من طاعة ، باعتبار أن النظام الإسلامي يقوم على السمع والطاعة . وهذا هو الجانب الذي يغفل عنه بعض العاملين في حقل الدعوة الإسلامية ، وهو الأمر الذي يؤدي إلى فقدان الثقة بين الطرفين المتقابلين ، وهما : دعاة الفكرة الإسلامية ، والحكام من أولي الأمر وأصحاب المسئولية والقرار في البلاد الإسلامية ، مما ينشأ عنه صراع وصدام لا يستفيد منهما الإسلام قطعا .

ولعل مرد هذا الصراع المفتعل الذي يلقي بظلاله على الحياة الفكرية والسياسية في بلاد المسلمين يعود إلى تصدّي مَنْ لا كفاءة لهم لأمور الدعوة الإسلامية في ظل الفراغ الناتج عن قصور ملحوظ في جهود ذوي الشأن ممن يفترض فيهم القيام بهذه المسئولية . ولذلك نجد كنون يسوق توضيحا محددا لمفهوم الدعوة أولا فيقول [115] : « الدعوة لا تكون لكل ما ينعق به الناعقون ، ويتبجح به المتبجحون ، ولو سمّوه بأسماء مُغرية ونسبوه إلى من يزعمونهم قادة الفكر في العالم ، فالعالم لم يزل في الضلال وإنما أنقذته دعوات الأنبياء والمرسلين » .

ثم يقول في موضع آخر [116] : « من الإنصاف أن نقول إن العلماء ما قاموا بواجبهم في التبليغ إلا وكانوا دعاة ، فإن المحافظة على أحكام الشريعة الغراء لا تكون إلا بمعرفتها ؛ وتعريف الناس بأحكام الدين وشعائره من عقيدة وعبادة ومعاملة هو من باب التوعية والتبليغ عن صاحب الشرع عليه السلام » .

---

(115) جولات في الفكر الإسلامي ، ص : 134 .

(116) مصدر سابق ، ص : 135 .

ويلخص مفهوم الدعوة ووظيفة الداعية سواء أكان رجل تربية وتوجيه أو رجل فكر وسياسة فيقول [117] : « إن الدعوة محصورة في أهل العلم ، فهم الدعاة وهم المجددون ، لا يقبل من غيرهم قول ، ولا يسمع لأحد سواهم فيها كلام ، فهم الذين وكلت إليهم منذ طلبت من الأمة ، وهم الذين شهد لهم النبي عليه الصلاة والسلام بالعدالة ، فلا يلحقهم بعده تجريحٌ ، وهم طائفتان مبلغون وقائمون بالحق عند ظهور الباطل ، وكلٌّ على هدى من الله » .

وَحلُّ الأزمة القائمة في ساحة العمل الإسلامي نتيجة انعدام الثقة بين طائفة من دعاة الفكرة الإسلامية وبين بعض الحكام وأولي الأمر في عديد من البلاد الإسلامية ، يكمن في احترام مبدأ التخصص ، فلا يقوم لمهمة الدعوة إلا العالم المتمكن الدارس لأحوال مجتمعه العارف بظروف عصره . وهنا تدخل المعرفة السياسية التي تقوم على تحديد الأولويات وضبط الخطوات ومراعاة مقتضيات كل ظرف حتى لا تضيع الجهود وتهدر الإمكانات وتغيم الرؤية إلى مواقع الأقدام وإلى آفاق المستقبل .

ولو أخذ العاملون في حقل الدعوة الإسلامية بهذا المبدأ لما نشأت الأزمة أصلا وَلَوَفَّرُوا على أنفسهم وعلى مجتمعاتهم تحملَ أعباء الصراع وتبعات الصدام .

وتطرح هنا مسألة الشرعية التي أولاها كنون اهتماما خاصا ، فبالإضافة إلى شرط العلم ، بالمدلول الواسع الذي لا يقتصر على الجانب الديني والشرعي فحسب ، يأتي شرطُ الشرعية التي هي نقيض (نَزْع اليدِ من طاعة) كما عبَّر عن ذلك كنون . وهي مسألة بالغة الأهمية عرف كنون وجيلُه كيف ينزلونها المنزلة التي تستحقها من العمل السياسي والفكري الذي تعاطوه من حيث لم تعرف بعض المدارس الإسلامية السياسية كيف توليها القدر اللازم من الرعاية والاهتمام . وكان نتيجة ذلك الصدام مع القائمين على أمور المجتمع والقابضين على أَزِمَّةِ الحكم في البلدان الإسلامية ، وهو ما كان أهل الفكر الإسلامي المعاصر في غِنًى عنه ليتفرغ الدعاة والمفكرون والعاملون

---

(117) مصدر سابق ، ص : 139 .

الصادقون في إطار الحكمة والعلم والمعرفة السياسية لإقرار مبادئ الإسلام الحق مبدأ تلو مبدأ في غير ما اندفاعٍ أو شططٍ أو سلوك المسلك الذي يتعارض والمحجة البيضاء التي ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

ولقد سار في هذا الاتجاه طائفةٌ من المفكرين المسلمين في مقدمتهم لا ريب علال والمودودي وكنون لاتباعهم السبيل الواضح ولالتزامهم الشرعية في جميع مراحل العمل الذي التزموا به طوال حياتهم. وبذلك فإن المنحى الذي سار فيه هؤلاء الثلاثة داخل ساحة العمل الإسلامي السياسي يكاد يختلف على طول الخط مع المنحى الذي سار فيه حتى أولئك الذين يلتقون معهم في الفكرة والمنهج والهدف المنشود، لأن أداة العمل جزء من جوهر العمل والهدف المراد منه. وقد زاوج كنون وعلال والمودودي بين الجوهر وبين الأداة والعمل ووُفِّقوا في ذلك من حيث أخفق أضرابٌ لهم وزملاءٌ يجمعهم العمل الإسلامي المشترك.

4) كنون ومدرسة علال الفاسي

إن كنون ينتمي إلى مدرسة الوضوح والشفافية والشرعية التي تتميز من بين مدارس الفكر الإسلامي السياسي الحديث بالواقعية السياسية وبالنضج الفكري وباكتمال أدوات العمل الجاد والنافع والدؤوب والمترفع عن الصغائر.

وهذه هي مدرسة علال التي قامت على أساس الإسلام و الذي يحتمد حزبهُ برنامجا أيديولوجيا واضحا جاء فيه: « يؤكد حزب الاستقلال وفاءه وتمسكه بالإسلام الذي كان عنصرا أساسيا في تكوين الدولة المغربية وإقامة وحدة البلاد وانطلاقها نحو الحضارة والتقدم، وكان له الأثر البالغ للاحتفاظ للشعب بروح الكفاح من أجل الحرية والاستقلال. ويعتبر الحزب أن الدعوة الإسلامية قدمت للمغرب أفضل روحانية تنسجم مع آماله ومقاصده في:

1 ــ التقدم والعدل والحرية.

2 ـ تحرير الإنسانية من الاستبداد والطغيان .

3 ـ إقامة نظام مبني على الأخوة والعدل والحرية والتضامن .

4 ـ التبشير بالتسامح والتعاون بين البشر لا فرق بين الأجناس .

5 ـ القضاء على الميز المبني على السلالية واللون .

6 ـ إقرار العدالة الاجتماعية التي لا تميز بين الطبقات وبين الأفراد » [118] .

وهذه المدرسة التي ينتمي كنون إليها هي التي تؤمن بأن « كل بلد إسلامي بلدنا ، وكل شعب إسلامي شعبنا ، وكل فرد من المسلمين هو مواطنٌ لنا » [119] . وتعمل من أجل « أن يكون تفكيرنا السياسي والاقتصادي قائما على هذه العقيدة » [120] وتلتزم بالعمل « لبناء عالمٍ إسلامي متحدٍ في مصالحه كما اتحد في وجوده الثقافي والجغرافي » [121] .

ونخرج من دراسة مقارنة لفكر كنون وعلال بيقين تام بأن التطابق الكامل بين الأفكار ووجهات النظر هو القاسم المشترك بين الشخصيتين . وهذا ما يجعلنا نؤكد بكل اليقين والثقة أن كنون لم يكن يختلف من حيث الفكرة الأساسية والرأي الإسلامي والوطني عن علال في جميع المواقف والحالات التي اقتضت أن يكون للرجلين رأي إزاءها .

وهذه الحالة من التطابق في المنحى الفكري والتوجُّه العقدي بين مفكرين إسلاميين لا نجد لها مثيلا في البلاد العربية الإسلامية ، لأن العادة أن الاتفاق التام في وجهات النظر يقتضي الانخراط في عمل مشترك وينفي تعدد المواقع . ولقد كان كنون وعلال على اتفاق تام في عديد من وجهات النظر خاصة في القضايا التي تتعلق بالاحتكام إلى الشريعة الإسلامية وتطبيق مبادئها وإقامة الدولة الإسلامية على أساس

---

(118) منهج الاستقلالية ، علال الفاسي ، مطبعة الرسالة ، ص : 143 .

(119) مصدر سابق ، ص : 142 .

(120) مصدر سابق ، ص : 142 .

(121) مصدر سابق ، ص : 142 .

قيمها الثابتة ، أو في المسائل التي تتصل بضرورة التحرر من رواسب الاستعمار الفكري والثقافي واللغوي والتشريعي من منطلق الاعتزاز بالهوية الإسلامية وما يعبر علال عنه بـ (الإنسيَّة المغربية) التي يشكل الإسلامُ لحمتَها وسداها . ومع ذلك لم يكن موقعهما مشتركا من حيث الشكل الخارجي والإطار التنظيمي . وهذا ما يدل على مرونة موقف كليهما ، ويشهد على سماحة الفكر الإسلامي السياسي وقابليته للتعدد في إطار القيم المشتركة والمبادئ الجامعة ، مما لا يتوفر لأية عقيدة أو مذهب أو مدرسة فكرية سياسية معاصرة . يقول علال [122] : « إن الاستقلالية لا تتصور مغربا غير عربي وغير إسلامي . والتحرر الاقتصادي عندها ليس إلا وسيلة لاطمئنان الإنسان وتحريره الفكري والروحي » .

ولم يكن كنون يتصور مغربا غير عربي وغير إسلامي ، وعاش حياته كلها مكافحا من أجل إقرار عروبة المغرب وإسلامه والدفاع عن بيضتهما .

إن القواسم المشتركة بين كنون وعلال لم تكن وليدة التجاوب الذي كان يجمع بين الرجلين فحسب ، بقدر ما هي نتيجة التقائهما على صعيد واحدٍ تعددت فيه المواقعُ بالقدر الذي لا يخلق تعارضا أو تناقضا على أي نحو من الأنحاء .

إن الجهد الذي بذله كنون وعلال لبلورة مفاهيم حديثة للفكر الإسلامي السياسي يجعلهما مدرسة متقاربة إلى أبعد الحدود بالرغم من وجود الفارق الذي يعود أولا وقبل كل شيء إلى الطبيعة الشخصية لكل منهما ، وإلى خصوصية الموقع الذي التزما به وعملا من أجل الفكرة الإسلامية من خلاله . إنَّ علال زعيم حزب وطني له برنامجُه الإسلامي العربي الذي يتخطى المجال الإقليمي الضيق إلى آفاق الوطن العربي الإسلامي ، بينما كنون عالم مفكر وكاتب تولى المسئولية القيادية في رابطة علماء المغرب وفي مواقع أخرى ، والرجلان ينتميان إلى مدرسة الوسطية التي تلتزم الاعتدال والانضباط ومراعاة مقتضيات الحال مع الأخذ بالسماحة واليسر في إطار التفتح على العصر والتواصل مع رموزه الفكرية والثقافية دون تفريط أو

---

(122) مصدر سابق ، ص 142 .

إفراط في دائرة المعايير الشرعية التي تسع كلَّ ما فيه الحكمةُ والمصلحة .

إن كنون وإن كان مفكرا إسلاميا شموليَّ الرؤية دوليَّ الأفق بحيث يتسع اهتمامُهُ لقضايا العالم العربي الإسلامي ، فإن له خَاصِّيَّةً جديرة بالتأمل تشكل إحدى مميزات شخصيته وأحد مكونات بنائه الفكري ، ونعني بها الخاصية الوطنية المغربية التي تجعل منه مجاهدا وطنيا من الدرجة الأولى (لأن للجهاد الوطني درجات تتفاوت بطبيعة الحال) ، فلقد ارتبط فكره بالواقع المغربي وناضل من أجل أن تسود المجتمع المغربي القيم الإسلامية ومبادئ الحضارة العربية الإسلامية . ولم يكن ممن يرى في الوطنية المغربية تضييقا للرؤية الإسلامية الممتدة إلى آفاق العالم الإسلامي ، ولكنه كان يؤمن أن (الوطنية المغربية) لن تكون سليمة وأصيلة إلا إذا التزمت بالعروبة والإسلام ، وصارت وسيلةً لخدمة العروبة والإسلام ، وأداة للدفاع عن عزتهما وكرامتهما والنضال من أجل حماية حاضرهما وضمان استمرارهما . ولذلك لم يجد كنون غضاضة في أن يتركز جزء هام من نضاله الفكري والعلمي والصحافي [123] على وطنه المغربي يقينًا منه أن عزة المغرب في عزة الوطن العربي الإسلامي الكبير . وليست وطنية كنون من قبيل (العصبية الجاهلية) كما يرى بعض المفكرين المسلمين الذين ينكرون على المسلم حب وطنه الأصلي والنضال في دائرته والعمل من أجل رفعته وعزة أبنائه . ولكنها وطنية تدخل ضمن مشمولات الحديث الشريف (حب الوطن من الإيمان) ، فهي جزء مكمل للرسالة الإيمانية التي تَحَمَّل أعباءها وكافح ما وسعه الكفاح في سبيل إقرار مبادئها وتطبيق أحكام شريعتها ، وليست أمرا منافيا لمقتضيات الإيمان الحق الخالص من الهوى والمبرإ من الغرض .

ولعل الحركة الوطنية المغربية التي انبثقت من الفكرة السلفية وارتبطت بالدعوة إلى تطهير العقيدة من الأوهام والخرافات وما علق بها من درن وزيف كانت معبرة أقوى ما يكون التعبير عن مفهوم الترابط الذي لا انفصال له بين الإسلام وبين

---

(123) انظر فصل (صحافة عبد الله كنون) في القسم الثاني من هذا الكتاب الخاص بـ (عبد الله كنون : رؤية من الداخل) حيث نسلط الأضواء على جهاده الصحافي من أجل نصرة العروبة والإسلام .

الوطنية . وهو المفهوم الذي تمثله كنون خير تمثل وعكسته حياته الجهادية ونشاطه العلمي وموقفه الوطني ، فلم يمنعه التزامه بالدعوة الإسلامية وارتباطه بالعمل من أجل إقامة شريعة الإسلام أن ينخرط في صفوف قادة الحركة الوطنية المغربية ، وأن يعد نفسه مناضلا وطنيا شهد له الجميع بشدة المراس وقوة الشكيمة والثبات على المبدأ والوفاء للعهد الذي قطعه على نفسه منذ أن كان عضوا في كتلة العمل الوطني .

ويلتقي كنون على هذا الصعيد مع علال التقاءً فكريًا واضحًا تترجمه مواقف الرجلين وتعكسه كتاباتهما . كما يقترب كنون هنا من مواقف حسن البنا وشكيب أرسلان ومحمد البشير الإبراهيمي وعبد العزيز الثعالبي من حيث إن فكرة ارتباط الإسلام بالوطنية لا تفسد الإيمان ولا تمس بالموقف الإسلامي للقائل بها والعامل بمقتضاها .

بينما يتعارض موقف فئة من المفكرين المسلمين مع ما كان يأخذ كنون به من تلازم عضوي بين الإسلام والوطنية . وهذه الفئة تنتمي في الغالب إلى بعض المدارس الإسلامية الحديثة التي يقل الوعي السياسي لديها ويضعف عندها الفهم الموضوعي لطبيعة العمل الإسلامي سواء على المستوى المحلي والإقليمي أو على المستوى العربي الإسلامي العام .

وإذا كان الجدل لم ينقطع حول هذه المسألة ، فإنّ مما يؤسف له أن آثار سوء فهم العلاقة بين الإسلام وبين الوطنية لاتزال تعمل عملها سواء في المغرب أو المشرق لتخلق أزمة مفتعلة تستنزف كثيرا من الجهد في غير ما طائل تحته .

ومن حسن حظ كنون أنه حسم هذه القضية حسما نهائيا وأقام على أساسها مشروعه الوطني الإسلامي ، مثله في ذلك مثل علال . فهما إذن على قلب رجل واحد بخصوص المسألة الوطنية وصلتها بالفكرة الإسلامية .

إن الطابع المغربي في مدرسة عبد الله كنون الفكرية من الوضوح بحيث يمكن القول إن الأساس المذهبي لرسالة كنون في الحياة المغربية بالخصوص يجمع بين الفكرة الإسلامية وبين الأصالة المغربية في مزيج فكري يسميه علال الفاسي بـ (**الإنسيّة المغربية**) التي هي خلاصة الحضارة الإسلامية العربية المغربية التي تأخذ من الإسلام

عقيدته ومبادئه وشريعته وأحكامه ، وتقتبس من الطبيعة المغربية التعلق بالحرية والتشبث بالكرامة وبعزة النفس والتلقائية في الإقبال على الحياة إلى الشجاعة والنجدة والكرم والسجايا النفسية العالية . وهذه هي الخصائص المميزة للشخصية المغربية التي صاغها الإسلام فأحسن صياغتها وصقلتها العروبة فجاءت مطبوعة بطابعها ومصبوبة في قالبها .

[illegible]

الفصـل السـابع

المشروع الحضاري عند كنون

1) الانتماء المغربي الإسلامي

ولعل اهتمام كنون المبكر بالحضارة والتاريخ والتراث المغربي يترجم لنا عمق تغلغل الفكرة المغربية في قلبه وعقله ، ويكشف عن رؤية متفتحة إلى العلاقة العضوية بين الإسلام والعروبة وبين الشخصية الوطنية المغربية لدرجة يصح القول معها إنَّ الاتجاه الأدبي الصرف الذي طبع بواكير نشاط كنون الثقافي والأدبي لم يكن في حقيقة الأمر إلا تعبيرا عن الاتجاه الإسلامي الذي سيأخذ طريقه إلى التبلور عنده حين يتحمل عبء الدعوة الإسلامية من منبر الصحافة أولاً ثم من منابر العمل الإسلامي المسئول على مستويين اثنين : أولهما رابطة علماء المغرب فالمجلس العلمي الإقليمي بطنجة ، وثانيهما المجالس والمجامع الإسلامية الدولية مثل رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، ومجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة و المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بعمان .

ولم يكن اتجاه كنون إلى الأدب يدرسه ويؤرخ له ويحقق تراثه ويعرف برجاله اتجاها أدبيا بالمعنى التقليدي ولا منحى ثقافيا بالمفهوم العادي ، ولكنه كان وسيلة لخدمة الرسالة الإسلامية التي نذر نفسه لها ، وأوقف حياته عليها ، وناضل من خلالها في سبيل عزة شعبه وكرامة أمته ما شاء له ربه أن يناضل في مراحل متفاوتة من عمره الحافل بالعمل النافع المفيد . ولذلك نجد ملامح الدعوة الإسلامية في المشروع الأدبي الضخم الذي خدم به كنون وطنه المغربي جلية للعيان . وأخص بالذكر هنا ثلاثة أعمال أدبية وتاريخية [124] تشكل في مجموعها الإطار العام لهذا المشروع الحضاري الذي ارتبط باسم كنون :

---

(124) انظر دراسة مطولة ومفصلة لهذه الكتب ضمن تحليل جامع لمجموعة مؤلفات كنون في القسم الثاني المخصص لـ (عبد الله كنون : رؤية من الداخل) .

أولا : كتاب (النبوغ المغربي في الأدب العربي) .

ثانيا : أحاديث في الأدب المغربي الحديث .

ثالثا : ذكريات مشاهير رجال المغرب .

إن روح كنون الإسلامية وطابعه الإسلامي المميز واضح كل الوضوح في هذه الأعمال التي كانت ولا تزال رائدة في مجالها . ذلك أن (النبوغ المغربي) الذي أبرزه كنون وسلط الأضواء عليه وقدمه للناس في إطار بياني بالغ الإشراق وعرف به تعريفا شاملا هو في حقيقة الأمر كان ولايزال (نبوغا إسلاميا) ، باعتبار أن الإسلام هو الذي فجر ينابيع العبقرية المغربية ، ولو لم يكن الإسلام لما كان للمغرب نبوغ . هكذا كان كنون يفهم مسألة النبوغ المغربي وإسهام المغاربة في الأدب العربي . وهذا هو المعنى الذي أبرزه في هذا الكتاب الضخم ، إما بطريقة مباشرة حين يدرس الأوضاع المغربية في كل العصور ، ويحلل المناخ الثقافي ويقدم النصوص الدالة على علو مقام الإنسان المغربي في فنون الأدب وسبقه وريادته في هذا المضمار ، وإما بطريقة غير مباشرة حين يركز على المعاني العامة والملامح المميزة التي تؤكد صلة الإسلام الوثيقة بهذا العطاء المغربي الأدبي واللغوي والثقافي والتاريخي والحضاري الذي جاء نتيجة تفاعل العنصر المغربي بالعنصر العربي في دائرة القيم الإسلامية .

وكذلك الشأن بالنسبة للكتاب الثاني (أحاديث في الأدب المغربي الحديث) الذي كان في الأصل سلسلة محاضرات ألقاها المؤلف على طلبة المعهد العالي للدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة في مطالع الستينيات ، فإن نَفَس كنون في هذا الكتاب يعكس روح العالم والمفكر الإسلامي الذي يهمه في المقام الأول أن يرد الظواهر الأدبية إلى أصولها الإسلامية وأن يحلل النصوص بكيفية تظهر صلتها بروح الشعب المتمسك بمقومات دينه ، حتى وإن كان ذلك بطريقة غير مباشرة ، لأن الدفاع عن الخصائص العربية للأدب المغربي وإبراز مظاهر الاستمداد والاقتباس من الثقافة العربية هو عمل لا يمكن أن يكون إلا شكلا من أشكال الجهاد الفكري والثقافي من أجل تعميق الهوية الإسلامية للشعب المغربي ، فكلما وقع إبراز هذه الهوية

والتأكيد عليها وربطها بالجذور الإسلامية وبالأصالة العربية توطد انتاء هذا الشعب إلى حضارته الإسلامية وتعمق ولاؤه لدينه وقوي ارتباطه بتاريخه ؛ وهو ما يحارب اليوم كما كان يُحَارب بلا هوادة في الأمس القريب ، وخاصة في الفترة التي ألقى فيها كنون هذه المحاضرات على طلبة الدراسات العربية العليا حين كان المد القومي المعادي للعروبة المؤمنة وللحضارة العربية الإسلامية في أوجه .

ويأتي الكتاب الثالث أو بالأصح موسوعة (ذكريات مشاهير رجال المغرب) ليشكل مظهرا من مظاهر الدفاع الفكري المستميت عن الشخصية العربية الإسلامية للإنسان المغربي . فهذه الشخصيات التي ترجم لها كنون ، والتي تنتمي إلى ميادين مختلفة ، فيها العلم والأدب والثقافة ، وفيها الحكم والرئاسة والملك والسياسة ، وفيها الاكتشاف والرحلة والانفتاح على العالم ، هي من نبت الحضارة العربية الإسلامية المغربية ، ومن عطاء الإسلام والعروبة في هذه الأرض ، ومن تلاقح العناصر الثلاثة : الإسلام والعروبة والأصالة المغربية . ولذلك فإن تسليط الأضواء على هذه الشخصيات وتقديمها في قالب حديث إلى الأجيال الجديدة هو عمل يصب في اتجاه بلورة الفكرة الإسلامية ونصرة القيم الدينية الخالدة وترسيخ الوجود الإسلامي في هذه البلاد وإظهار المغرب في صورته الإسلامية التي تقدمه للعالم أمينًا على الحضارة الإسلامية وفيّاً للأصالة العربية مخلصًا لهذا الإسلام ولهذه العروبة .

وهكذا يكون المنطلق الفكري الذي صدر عنه كنون في أعماله الأدبية والثقافية والتراثية ، هو نفسه المنطلق الإسلامي الذي إليه يرد النشاط الثقافي الكبير الذي صرفه كنون لخدمة الإسلام على المستويات كافة ، فلم يكن البحث الأدبي لديه سوى أداة للدعوة الإسلامية ووسيلة لنصرة قضايا الإسلام والمسلمين ، وبصفة خاصة قضية المغرب المسلم المتشبث بعروبته والمتمسك بدينه . وهذا هو الطابع العام الذي يغلب على كنون في مختلف مراحل حياته .

2) الترابط بين العمل الأدبي والعمل الإسلامي

لم يكن كنون يفصل بين العمل الأدبي والثقافي وبين العمل الإسلامي ، فالعملان متكاملان ، وكان يرى أن هذه التقسيمات من أثر الغزو الفكري الذي ينتمي إلى الفكر الكنسي الذي يحصر الدين في نطاق ضيق . وكان يعتقد أن الأدب الغربي في كل عصر لم يزدهر إلا بازدهار الحضارة العربية الإسلامية وبتألق اللغة وبرهافة الحس اللغوي والأدبي عموما ، وعلى هذا الأساس أقام منهجه في خدمة الأدب العربي بالمغرب ، ورأى أن في ذلك تقوية للخصائص العربية التي تعطي للمغرب الطابع العربي الذي لا يكاد ينفصل عن الطابع الإسلامي العام ، ولهذا نجد في مؤلفات كنون وكتاباته عموما ، وحتى التي تكتسي صبغة أدبية أو لغوية خالصة ، تلك الروح الإسلامية التي عرف بها عالما ومفكرًا إسلاميا ورائدا للعمل الإسلامي في المغرب والبلاد العربية الإسلامية . وهذا ما يدفعنا إلى القول بأن كنون وُفِّق إلى أبعد الحدود في توسيع مجالات نشاطه الفكري واتخذ إلى ذلك وسائل عديدة وكرس حياته لهدف استراتيجي واحد هو العمل الجاد والشاق والدءوب من أجل أن يعيش المغاربة مسلمين عربا أحرارا في مغرب مسلم عربي حر ، وهو هدف يلتقي عنده مع أبناء جيله وفي مقدمتهم علال الفاسي التقاء يثبت تطابق وجهات النظر وانسجام الرؤى وتكامل الجهود المرصودة لإعلاء شأن المغرب دون أن يكون في ذلك مساس من قريب أو بعيد بحق البلاد العربية والإسلامية الأخرى في أن يعلو شأنها وتشمخ عزةً وكرامة .

لقد أدرك كنون بثاقب نظره وعميق وعيه الإسلامي والسياسي أن الإطار الحضاري للفكر المغربي هو الإسلام والعروبة ، وأن النبوغ المغربي إنما هو نبوغ الإسلام والعروبة في هذه البلاد ، وأن المغاربة لا شأن لهم ولا ماضي ولا حاضر ولا مستقبل لهم إلا في دائرة الإسلام والعروبة . وكان هذا هو الأساس النظري لكل المواقف التي اتخذها كنون في حياته سواء من خلال الكتابة في الصحافة

أو الدعوة والنشاط الإسلامي على مستوى المؤتمرات والندوات أو عبر الممارسة السلوكية التي اصطبغت بالسمو والرفعة وبالطهارة والصدق . ولم يقصر قط في العمل الإسلامي الذي كرسه لتنفيذ ما آمن به من مبادئ واقتنع به من أفكار .

لقد كان كنون مفكرًا إسلاميا مغربيا بالمعنى الدقيق لهذه الصفة لم يخرج أبدا عن نطاقه المغربي وإن كان لم ينعزل عن محيطه العربي والإسلامي وكانت الشخصية المغربية متمثلة فيه بكل مظاهرها ، بل كان تجسيدا حيًّا للنبوغ المغربي بكل جلاله وكماله . فهو العالم العامل ، والداعية المجاهد والفقيه الضليع ، والأديب البليغ ، والشاعر الفحل ، والكاتب المبين ، ورجل المسئولية المتبصر ، والصحافي المستنير ، وهو قبل هذا وذاك الإنسان الذي يشهد له الجميع بعفة اللسان وطهارة اليد وسلامة القلب وصدق القول وإخلاص العمل . وهي جميعها سجايا إنسانية إذا توفرت في المرء رفعت به إلى ذروة السلوك الإنساني الراقي والمتحضر .

3) مشروع إسلامي عربي مغربي

ولقد كافح كنون كفاحا مريرا لإقرار مشروعه الإسلامي العربي المغربي . ولم تكن السبيل أمامه ممهدة وإنما اجتاز طرقا صعبة وتحمل أعباء الدعوة إلى الفكرة التي التزم بها ، في الوقت الذي كان العمل في هذا الاتجاه يلقى معارضة ومعاكسة وصنوفا لا تحصى من النقد الصادر من فئات وجهات لا يرضيها أن يعيش هذا الشعب في دائرة الإسلام والعروبة وأن يحيا في حرية وكرامة وفي كنف استقلال وطني شامل . وبعض جوانب هذا الكفاح الفكري والثقافي غير معروف ، وبعضها مبثوثة أخباره في بطون كتب كنون ، خاصة التي تضم مقالاته التي خاض بها معارك ضارية من أجل تطبيق الشريعة والتمكين للغة العربية وتعريب التعليم ومحاربة الفكر الوافد المناهض للإسلام وللعروبة . والذي يعنينا من هذا الكفاح اليوم ما يتعلق منه بالمشروع الإسلامي العربي المغربي الذي جعل منه كنون محور عمله الفكري وحجر الزاوية في بنائه الثقافي ومحتواه الإسلامي .

لقد درس كنون الأوضاع الفكرية في البلاد العربية الإسلامية على ضوء حقائق العصر ووصل إلى الاقتناع بأن الاستعمار ليس من البلاهة والحمق وخفة العقل بحيث يغادر هذه البلاد دون أن يخلف وراءه قواعده الفكرية والثقافية والتشريعية واللغوية فضلاً عن ركائزه الاقتصادية وآثاره السياسية . وعلى هذا الأساس أقام كنون مشروعه الحضاري الذي أخلص له ودافع عنه في كل محفل ومنتدى ومنبر . وتتلخص معارك كنون في المحاور التالية :

أولا : الاستقلال الوطني للبلاد العربية الإسلامية لا يكتمل إلا بالاستقلال الفكري والثقافي واللغوي والتشريعي . وهو هنا يزيد على شروط المدرسة السياسية السائدة التي ترى أن الاستقلال الوطني إنما هو الاستقلال السياسي والاقتصادي فحسب . فلقد كان يربط دائما بين الاقتصاد والإرادة السياسية وبين اللغة والفكر والثقافة والتشريع . ومن هذا المنطلق عمل من أجل ترسيخ استقلال المغرب وتحصينه .

ثانيا : الهوية الإسلامية للبلاد العربية الإسلامية ليست انتماءً أيا كانت قوته — لهذا الدين وارتباطا بحضارته وبتاريخه فحسب ، ولكنها ممارسة وفعل وتطبيق لأحكام الإسلام وإقرار لمبادئه . ولابد أن تتبلور هذه الهوية في سلوك ومنهج وأسلوب عمل لتخرج بذلك من النطاق النظري والوصفي إلى مجال التطبيق والتنفيذ والممارسة . وبناء عليه ، فإن هوية المغرب الإسلامية لا معنى لها ما لم تنعكس في واقع الحال لتكون السيادة للإسلام وللعروبة كاملة غير منقوصة .

ثالثا : الإسلام ليس كهنوتا ، ولا رهبانية في الإسلام ، والإسلام دين وسياسةٌ والإسلامُ يفقد موجباتِهِ ما لَمْ يكن سياسةً منفذةً ومنهجًا مطبقا . ولكن السياسة الإسلامية ليست هي مطلق السياسة ، ولا هي مما يدخل ضمن مفهوم (اللعبة السياسية) ، لأن العقيدة والمنهج متكاملان ، والغاية والوسيلة مترابطتان . وتبعًا لذلك ، فإن السياسة الإسلامية تقوم على مبادئ العدل واحترام كرامة الفرد وحماية حقوق الإنسان . فمن حق الإنسان ألا يجوع أو يعرى ، أو تهضم حقوقه ، أو

تهان كرامته ، أو يظلم . وهذه السياسة التي توصف بأنها السياسة الشرعية تختلف عن المفاهيم الغربية السائدة لمصطلح السياسة .

وكل هذه المحاور عالجها كنون في كتبه ، وحدد إزاءها مواقفه وأعلنها بالوضوح الكامل . وهو هنا يرقى إلى مصاف المفكرين المسلمين الذين أثروا الفكر الإسلامي السياسي الحديث .

ولكن ميزة كنون ، كما هي ميزة علال الفاسي ، أنه لم يفقد انتماءه إلى المغرب بالمعنى الحضاري المتكامل ، وعاش مرتبطا بمغربيته ، ووفيًا لها كل الارتباط ومنتهى الوفاء . ولذلك فإن موقع كنون ، كما هو موقع علال ، في الفكر الإسلامي السياسي الحديث مستقل عن الاتجاهات السائدة ، التي تنتمي جميعها إلى الإسلام ، وهو موقعٌ من صميم الشخصية المغربية ، مطبوع بالطابع المغربي ومن هنا جاء تميزه وتفرده بين المدارس الإسلامية الحديثة التي تعنى بالعمل السياسي والفكري في دائرة المفهوم الإسلامي المستنير .

وهذا الجانب في شخصية كنون يظهر بالوضوح الكامل في افتتاحيات مجلتي (لسان الدين) و (الأنوار) وجريدة (الميثاق) ، كما يظهر بجلاء في مواقفه التي سجلتها التقارير الأدبية التي كان يقدمها إلى مؤتمرات رابطة علماء المغرب وفي محاضراته وعروضه التي ألقاها في اجتماعات رابطة العالم الإسلامي ومجمع البحوث الإسلامي ومحافل أخرى كان يشارك فيها بفعالية وجدية وحضور متميز .

إن هذا المشروع الفكري الحضاري الذي تبناه كنون والذي يقوم على ثلاثة أركان : الاستقلال الوطني ، الهوية الإسلامية ، السياسة الإسلامية ، يلتقي في خطوطه العامة مع المشاريع المماثلة التي طرحتها حركات إسلامية معاصرة في المشرق والمغرب ، ولذلك فإن الاتجاه الذي سار فيه كنون وإن كان لم يصطبغ بالصبغة السياسية فإنه من السياسة في الصميم لعلاقته بالواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي ، ولقيامه على أساس تبني قضايا الشعب في التحرر الشامل من رواسب الاستعمار وقيود التبعية . وهذا ما يجعل مشروع كنون الفكري والحضاري مشروعا سياسيا في المقام الأول .

الخلاصـــة

إن القضايا الأساس التي تصدى لها كنون ذات ارتباط بالعمل العام على المستويين الوطني والعربي الإسلامي ؛ لأن الاستقلال الوطني هو حجر الزاوية في بقاء الذاتية الإسلامية التي هي مرتكز السياسة الإسلامية . ولن تستقيم سياسة في بلد يفتقر إلى استقلاله الوطني ، ولا قيمة للذاتية الإسلامية في ظل التبعية والارتباط بالذاتية الأجنبية . ولذلك كان التركيز على الاستقلال الوطني بالمفهوم العام الذي طرحه كنون هو المدخل إلى ممارسة الذاتية الإسلامية لوجودها الطبيعي وإلى قيام سياسة إسلامية تسعى إلى خدمة البلاد والعباد .

وقد اختلف مدخل كنون إلى العمل من أجل هذا المشروع الحضاري عن مداخل الحركات السياسية الإسلامية المعاصرة بالنظر إلى موقعه الخاص داخل ساحة الفكر الإسلامي كمفكر وعالم ومناضل بالكلمة المخلصة في سبيل قيام مجتمع إسلامي في ظل الاستقلال الوطني الشامل غير المشروط . ولم يفقد هذا الاختلاف في المدخل لكنون ميزته المتفردة ولم ينل من جدية العمل الإسلامي الكبير الذي نذر نفسه له وأخلص في سبيله أقوى ما يكون إخلاص المفكرين المجاهدين لقضايا أمتهم .

إننا أمام شخصية فريدة في تاريخ الفكر الإسلامي السياسي الحديث فرضت وجودها في ساحة العمل الوطني والعربي والإسلامي ولعبت دورا فاق أحيانا أدوار حركات وجماعات منظمة ، ولعل هذه الخاصية في شخصية كنون تعود إلى ما عهد في الرجل من تنوع في الاهتمامات وعلى أعلى المستويات ، ومن تعدد مصادر ثقافته ومواقع العمل الذي خدم به فكرته منذ أن اختاره قدره للعمل العام وهو بعد في ميعة الشباب . وهي شخصية فريدة وخاصية قل نظيرها بين أمثال كنون

ممن لم يحترفوا العمل السياسي ، وعاشوا حياتهم يعملون في الميادين العامة عملاً هو من السياسة الإسلامية في الصميم .

إن هناك تقاربا ملحوظا بين نشاط كنون في رابطة علماء المغرب ومجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة ورابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة وبين عمله في أكاديمية المملكة المغربية وفي مجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في عمان ، وبين عمله في هذه المواقع جميعا وبين عمله في الصحافة الإسلامية التي كان أحد روادها الكبار في المغرب دون منازع .

ومن ملامح هذا التقارب أن الفكرة الأساس التي يصدر عنها كنون وهو في هذا الموقع أو في ذاك لم تتغير بتغير المكان والزمان . إنه يدافع عن الفكرة الإسلامية دفاعا يأخذ أشكالا يقتضيها المقام ، وبالصيغة التي يتطلبها الظرف سواء أكان في معرض مناقشة لغوية أو جدل ثقافي أو نقد فكري أو مراجعة علمية أو تصحيح تاريخي . ولذلك نجد مواقف كنون يكمل بعضها بعضا على النحو الذي يحقق وحدة الموضوع في الفكر والحركة والفعل بما لا مزيد عليه ، ويرسخ مفهوم الشخصية الإسلامية المتكاملة .

لقد آمن عبد الله كنون بأن الشخصية الإسلامية لن تترعرع وتمارس ذاتيتها إلا في إطار المجتمع الإسلامي ، وأيقن بأن قيام المجتمع الإسلامي رهن بإقامة أحكام الشرع . وكان يعتقد اعتقادا جازما بوجود ترابط عضوي وتلازم كامل بين هذه العناصر الثلاثة : الشخصية الإسلامية والمجتمع الإسلامي وتنفيذ الشريعة الإسلامية . وهذا التركيب هو الذي يؤدي إلى قيام الدولة الإسلامية . ولقد رأى كنون في إقامة الحكم الإسلامي شرطا لتفتح الشخصية الإسلامية وازدهارها ، ولذلك عمل ما وسعه العمل للدعوة إلى إقرار الحكم الإسلامي وممارسة سياسة إسلامية وفقا لأحكام الشرع الحنيف .

لقد سلب الاستعمار الحديث العالم الإسلامي أهم مقومات وجوده وهو تطبيق الشريعة الإسلامية حين أحل القوانين الوضعية محلها في فترة ضعف وهوان على النفس

وعجز أمام جبروت . والرأي عند كنون أن استقلال البلدان الإسلامية مرتبط بإلغاء العمل بالقوانين الوضعية والرجوع إلى تطبيق الشريعة الإسلامية تطبيقا كاملا تتحقق به مصالح الأمة . ولذلك كان العمل الفكري والنشاط الثقافي وحركة الدعوة عند كنون جزءًا من المشروع الإسلامي الحضاري يكمله جزء أساس هو العودة الواعية الرشيدة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية على أساس أن الاستقلال الوطني لا يكتمل إلا بالاستقلال التشريعي .

ولكن أسلوب كنون هنا يختلف عن أساليب المدارس الإسلامية السياسية الأخرى ، لأنه يأخذ بسنة التدرج والتطور الطبيعي . ومن أجل ذلك رحب كنون بالدستور المغربي ورأى فيه إطارا مرجعيا للدولة المغربية التي تلتزم رسميا بالإسلام . وكان يرى أن تطبيق الشريعة الإسلامية لابد أن يسلك هذا السبيل في اتجاه التخلص من رواسب العهود الاستعمارية . وهو هنا شديد القرب من مدرسة علال الفاسي ، بل هو هنا لا يكاد يختلف عن اتجاه علال الذي سار عليه حزب الاستقلال . فليس هناك في الساحة السياسية المغربية اتجاه أو مدرسة فكرية تعكس فكر عبد الله كنون وموقفه وتعبر عن مشروعه الإسلامي الحضاري سوى مدرسة علال الفاسي دون منازع وعلى وجه الإطلاق .

والحق أن مدرسة علال الفاسي ، هي في منزعها ومشربها وتوجهها وفلسفتها وسلوكها العملي أكثر المدارس السياسية الإسلامية توافقا وانسجاما مع مدرسة عبد الله كنون التي تلتقي ، مع ذلك ، بمدارس إسلامية سياسية التزمت بالإسلام قاعدة للعمل العام واستطاعت أن توفق بين الانتماء إلى الفكرة الإسلامية وبين الانتماء إلى العصر .

وهذا هو موقع كنون من الفكر الإسلامي الحديث أوضح ما يكون وأكثر تعبيرا عن فكره ورؤيته إلى مشكلات العصر وقضايا الأمة .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

القسم الثاني

عبد الله كنون : رؤية من الداخل

الفصـل الأول

أمــة في رجــل

1) النبوغ المغربي في شخصية عبد الله كنون

كان عبد الله كنون نموذجًا فريدًا بين علماء عصره تميز عطاؤه بالتنوع وبالتجدد إلى أصالة فكر وسداد رأي وبعد نظر ؛ مما ارتقى به إلى مصاف المفكرين القدوة الذين رفعوا من مكانة العالم وجعلوا الناس يذكرون عصور الاستنارة والإبداع والتألق في التاريخ الإسلامي كلما قرأوا لهم ، أو استمعوا إليهم ، أو اجتمعوا بهم . وهو طراز من رجال الفكر الإسلامي ودعاة الإسلام قل نظيره وعز مثيله .

ولقد استوعب عبد الله كنون مختلف مناحي الثقافة الإسلامية وأحاط بأصولها وهضمها وتمثلها خير تمثل ، فكان ابن هذه الثقافة في حقولها المتعددة وفروعها المتنوعة ، وأحدث النابغين في إدراك مضامينها والنابهين في فهم مقاصدها والوعي برسالتها في حياة الإنسان العربي المسلم . ومد ببصره إلى ثقافة عصره فأخذ منها بنصيب وافر سواء فيما ترجم منها إلى العربية أو ما نقل منها إلى الإسبانية ، وعاصر ازدهار الترجمة في مطالع هذا القرن فحصل له بذلك زاد كبير ساعده على معرفة العصر أوسع ما تكون المعرفة ، ودفع به ذلك إلى أن يتحرك داخل دوائر متعددة ، فكان العالم والأديب والمؤرخ ، والصحافي الوطني المشارك ، والمجاهد بقلمه وبعلمه في ميادين شتى دفاعا عن هوية المغرب وأصالة التراث وحقائق التاريخ ، وعاش حياته العريضة شهما نبيلا نظيفا مشهودا له بالنزاهة على كل المستويات ، وبالتفوق وبالنبوغ في أكثر من مجال ، فكان مفخرة المغرب وصوته المدوي في المحافل العلمية والأدبية واللغوية والإسلامية في كل مكان ، نصيرا للإسلام الحق القائم على كتاب الله وسنة رسوله الكريم ، المبرأ من الأهواء والأغراض والنزعات ، الداعي إلى العمل الجاد النافع للبلاد والعباد ، والمنتصر لقيم العدل والحرية والكرامة ، وعرفته محافل ومنتديات العواصم العربية والإسلامية متحدثا عف اللسان ، صريح العبارة ، ملتزما الحق ، مناضلا من أجل أن تعلو

القيم الإسلامية وتسود حياة المسلمين . وكان هذا طابعه المتميز سواء في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة أو في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، أو في مجمع اللغة العربية في القاهرة ، أو في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بعمان ، أو في أكاديمية المملكة المغربية ورابطة علماء المغرب والمجلس العلمي الإقليمي بطنجة ، أو في عشرات المؤتمرات والندوات والمجالس التي شارك فيها كنون مشاركة عالية المستوى متميزة الأداء في البلاد العربية الإسلامية وفي العواصم الأوروبية والآسيوية ؛ وهذا ما أكسب حياة عبد الله كنون ذلك التنوع الفريد الذي جعل منه شخصية متعددة الجوانب ، غزر عطاؤها وكثر إسهامها وعلا شأوها وكبر شأنها ، سعة علم ورحابة معرفة ورسوخ قدم في معارف شتى قديمها وحديثها ، أصيلها ودخيلها ، ما يمت منها إلى حضارة الإسلام بصلة ، وما ينتمي إلى الثقافة الإنسانية العريضة .

وكان كنون الذي مثل — في كفاءة واقتدار — نبوغ المغرب في ميادين العلم والمعرفة متفوقا بالغ التفوق في استثمار هذه الحصيلة من المعارف والتجارب والخبرات لتطوير الدعوة الإسلامية فكان رائدا للتجديد الإسلامي ، بقدر ما كان في طليعة العاملين لترشيد الصحوة الإسلامية في المغرب والعالم الإسلامي ، وكان حاملا للواء الاعتدال والوسطية ، وكان يعد نفسه منتميا إلى مدرسة محمد عبده ورشيد رضا في فهم رسالة الإسلام وتبليغه إلى الناس ، ومنتسبا إلى مدرسة المدني كنون وعبد الله السنوسي وبوشعيب الدكالي في الذب عن حياض الدين ورد هجمة التخلف والتزمت والابتداع عنه ، كما كان يعتبر نفسه جنديا مخلصا في مدرسة الحركة الوطنية مناضلا من أجل استقلال المغرب وحريته وسيادته ووحدته الترابية ، ومدافعا عن إنسيته وهويته وذاتيته ، يشهد له تاريخ المغرب الحديث بالسبق في مجالات عديدة وبالشجاعة في مواقف بعضها لم يكشف عنها بعد .

وهذا النوع من علماء الإسلام ، الذين مزجوا الدين بالعمل وربطوا التقوى بالوطنية وجمعوا بين النضال من أجل رفعة الإسلام وبين الجهاد في سبيل الوطن ، هو النوع الأصيل الذي كان لأثره الدور البارز في وصول الإسلام إلينا وفي إدراك أمتنا لهذا

المستوى من السمو الحضاري الذي كان علامة مميزة في عصور الاستنارة الإسلامية وأطوار التألق الإسلامي التي زامنت عصور الظلام في أوروبا . وحسب عبد الله كنون أن يكون أحد أبرز العاملين من أجل استعادة هذا المجد.

ولقد امتاز كنون إلى جانب هذه السجايا والخصال بالانضباط الفكري الذي أكسبه شمولية في الرؤية ويقظة في الضمير وقدرة على التجدد ومسايرة العصر ، دون أن يكون ذلك على حساب مقوم من مقومات بنائه الفكري وكيانه الإسلامي ، أو قيمة من قيم تراثه الأصيل الذي ارتبط به ارتباط وعي وفهم وإدراك ، وعاش له مخلصا أشد ما يكون الإخلاص لتراث الأمة في عصر يشتد فيه العداء لكل ما هو أصيل وتليد وعريق.

ولقد كان عبد الله كنون مفخرة المغرب ومصدر اعتزاز المغاربة بالانتماء إلى حضارة هذا البلد ، وهو ما يدركه كل من ارتبطت أسبابه بمراكز العلم والدعوة والعمل الإسلامي الدولي واتسعت معرفته بالشخصيات العلمية والثقافية والأدبية والإسلامية في الوطن العربي الإسلامي . وكان الرجل ، رحمه الله ، موسوعة متحركة في كل ما يتصل بالمغرب ، ورجالاته ، وتراثه الأدبي والفقهي ، وتاريخ معاركه وبطولاته وملاحمه وفتوحاته ودوله وإماراته ، عارفا بالرجال والأحداث وبالحقائق والخلفيات ، فاهما لحركة التاريخ المغربي ، مما أَهَّلَهُ لوضع المصادر الأولى لتاريخ المغرب الأدبي والحضاري على نحو غير مسبوق ، وهو ما يشهد له — بحق — بالنبوغ المبكر وبالريادة في هذا الميدان .

ومن أجل هذا كانت خسارة المغرب والعالم الإسلامي في عبد الله كنون فادحة لما كان يمثله من قيم ندرت وضؤُل نفوذها ، ولكنها القيم التي نتمسك بها ولا نرى لنا رسالة إلا في كنفها .

رحم الله عبد الله كنون .. فلقد كان عالما عاملا .. وقليل هم العلماء العاملون .. بل قليل هم العلماء من حيث كانوا .

2) سيرة عبد الله كنون

مولده وأسرته :

ولد عبد الله كنون في يوم 30 شعبان عام 1326 هـ ، الموافق سبتمبر 1908 م بمدينة فاس . ووالده هو أبو الفضل عبد الصمد بن التهامي بن المدني كنون الحَسَني [1] ، ولد بفاس عام 1290 وتوفي بطنجة في يوم السبت ثالث ذي القعدة الحرام عام 1352 الموافق 1934 . أما والدته فهي من الأسرة القادرية الحسنية .

انتقل عبد الله كنون مع أسرته إلى مدينة طنجة وهو في الخامسة من عمره عند فرض الحماية الفرنسية على المغرب . وكانت أسرته تنوي الهجرة إلى المدينة المنورة ، ولكن ظروف الحرب العالمية الأولى حالت دون ذلك .

في الترجمة التي نشرتها (السلام) [2] لعبد الصمد كنون والتي لانشك في أنها من قلم ولده عبد الله وردت تفاصيل عن هجرة الأسرة الكنونية إلى طنجة ، جاء فيها : « عندما بسطت الحماية الأجنبية على المغرب عزم هو (عبد الصمد)

---

(1) نُشرت في العدد 7 من مجلة (السلام) الصادرة بتطوان في ذي الحجة 1352 هـ ، الموافق أبريل 1934 ترجمة وافية لوالد عبد الله كنون . كذلك توجد ترجمة له في المقدمة التي كتبها محمد أبو الأجفان (من تونس) لكتاب (الجراب الجاوي) وهو أحد مؤلفات عبد الصمد كنون . وتوجد ترجمته أيضا في : الأعلام للزركلي : 4 / 133 ، الأعلام الشرقية في المائة 14 هـ : 2 / 127 ، مواكب النصر وكواكب العصر لابنه ، النسق الغالي : (637 — 638) ، وله عدة مؤلفات نذكر منها : (مورد الشارعين في قراءة المرشد المعين) ، (جنى زهر الآس في شرح نظم عمل فاس) ، (النسق الغالي والنفس العالي في شرح نصيحة أبي العباس الهلالي) ، (الجراب الحاوي لفرائد العلوم والآداب) ، (الحلل السندسية في شرح نظم السنوسية) ، وله فهرسة ترجم فيها لأشياخه بتطويل (السلام : ع - 7 — س : 1934) .

(2) انظر هامش 1 .

وأخوه العلامة المرحوم سيدي محمد على الهجرة إلى المدينة المنورة حيث لا سلطة نافذة لغير ولاة المسلمين ، فخرجا من فاس ، وزهدا في كل ما كان بيدهما من أثاث ومتاع وما كان حولهما من أصحاب وإخوان ، وقصدا طنجة ، ووكلا على بيع أمتعتهما بفاس وإرسال أهلهما إليهما ، فَشُتِّتَ من متاعهما الشيء الكثير ، وبيع بيع البخس والهوان ، وضاع من كتبهما العدد الوافر ، ولكنهما لم يأسفا على شيء من ذلك ، إذ كانت هجرتهما خالصة إلى الله ورسوله . وبعد وفود أهلهما إلى طنجة صادف إشهار الحرب العظمى ، فتعطلت السبل فلبثا فيها ، فأما سيدي محمد فقد توفي بعد عام واحد من سكناهما طنجة ، وبذلك تعذر الأمر في الهجرة) .

ويقول عبد الله كنون [3] : (جئنا إلى طنجة في عام 1913 . السبب هو أبي وعمي اللذان أرادا الهجرة ، لأن البلاد خاضعة للاستعمار . وكان ضرب فاس [4] مثل ما وقع لدمشق . ضربوا فاس وأطاحوا بصومعة باب الكيسة . كنت صغيرا آنذاك . أخرجني أبي ، وذهبنا لنرى سقاية سيدي بوغالب وهي مهدمة . وعلمت فيما بعد أن الفرنسيين هم سبب ذلك) .

نشأته وتكوينه :

اللافت في حياة عبد الله كنون أنه لم يتلق تعليما نظاميا و لم ينخرط في (دراسة رسمية) ، وإنما اعتمد على نفسه في تكوينه وتثقيفه بدرجة تثير العجب ، وبطريقة تدل على عُلُوّ همةٍ وقوة إرادةٍ يضرب بهما المثل . فلم ينتظم كنون في الدراسة بالقرويين إلا فترة قصيرة جدا ، ولذلك لم يحرز شهادة من هذه الجامعة . وكان اعتماده في تعليمه على والده في المقام الأول ، ثم على شيوخ العلم بطنجة الذين كانت مساجد المدينة تحفل بهم في الربع الأول من هذا القرن .

---

(3) مقابلة صحافية نشرت في مجلة (الكرمل) عدد 11 — 1984 .

(4) ضربت فاس بالقنابل من طرف الجيش الفرنسي في 7 / 4 / 1912 .

يقول عبد الله كنون [5] : (درست بطنجة على والدي السيد عبد الصمد كنون ، وعلى غيره من كبار العلماء ، وبدأت بالكتابة ونظم الشعر وأنا طالب) .

ويجلي كنون هذه الصفحة من حياته العلمية فيقول في حديثه إلى (الكرمل) [6] : (.. لما أتيت إلى طنجة ، كنت صغيرا . دخلت مع أخي — وهو أكبر مني — إلى المسجد . أخي الكبير كان قد حفظ القرآن في فاس . واصلت دراستي على أبي وعلى يد علماء آخرين بطنجة ، كان منهم موظفون كبار ، في دار النيابة (وزارة الخارجية) ، ومستشارون ، ورئيس الاستئناف . أحدهم كان أكبر من أبي سنا ، هو عبد السلام الغازي من العلماء الذين قاموا ضد مولاي عبد العزيز في فاس ، وهو من المتمكنين في اللغة العربية ، والبلاغة ، زيادة على الفقه . جيء به من فاس (إلى طنجة) لتفحص رسوم الأجانب العقارية . وأنا كنت أحب قراءة الخزرجية في العروض ، وأقول لأبي : « أخبره أني أريد قراءة الخزرجية عليه » . فطلب أبي من الفقيه الغازي أن يدرسني الخزرجية فقبل . وحدد لي موعدا قبل الثامنة صباحا قبل توجهه للعمل . كانت له مشاركة في الشعر . والتحق بنا طلبة طبعا ، وهذا ليس في المدارس ، بل في المسجد . كانت لأبي دروس يومية ، وأنا دون الطلبة كنت آخذ سبعة دروس في اليوم ، سبع حصص يومية . من بينها ثلاث يدرسها لي أبي ، واحدة في الليل ، وحصتان في النهار . كانت دروسا في الفقه ، والحديث ، والتفسير ، واللغة العربية ، خصوصا النحو والصرف ، وأحيانا تكون البلاغة والبيان والمعاني والبديع ، ثم هذه الخزرجية ..) .

ويتحدث كنون عن مرحلتين أساسيتين في حياته فيقول [7] : (المرحلة الأولى هي التي كنت فيها أحب الذهاب إلى فاس لأختبر معرفتي ، أذهب إلى فاس ،

---

(5) القاضي عياض بين العلم والأدب — ترجمته بخط يده . المكتبة الصغيرة (42) الرياض .
(6) الكرمل عدد 11 .
(7) مصدر سابق .

وأحضر دروس العلماء الكبار الذين أعرفهم ، ويدوم ذلك مدة أسبوع أو أسبوعين . مرة ذهبت فوجدت الدروس غير منظمة ، هذا العالم لم يحضر اليوم ، ذاك لم يأت البارحة . صعدنا أنا وابن عمي في عقبة (الطالعة) فوجدنا مولاي عبد الله الفضيلي ، وهو من العلماء المعروفين . ذهبنا ، سلمنا عليه . فسأل عني : من هذا ؟ . قال ابن عمي : هذا ابن عمي من طنجة ، قال لي : أتيت لتدرس هنا ؟ قلت له : أية دراسة عندكم هنا بفاس ؟ . قال لي : تدرسون الشيخ خليل ؟ قلت ثلاثة أساتذة ؟ قال : والأصول ؟ . قلت : أستاذان . وأضفت : أنتم لا تدرسون الحديث . فذكر لي أن الحديث لا يدرس بفاس ، وكان هذا عكس ما في مدينة طنجة حيث يدرس البخاري ومسلم والموطأ . ونزعت من بالي فكرةُ العودة إلى فاس .

(أما المرحلة الثانية فهي التي سافر فيها عبد الخالق الطريس ، الفقيه الطنجي ، المكي الناصري ، عزيمان ، كلهم سافروا إلى مصر بقصد الدراسة . كدت أصاب بالجنون . كنت أنا الآخر أريد السفر لأتفتح أكثر . وصرت أبكي ليل نهار . أمي قبلت بفكرة سفري ، أما أبي فلم يقبل . وأقسم ألا أفارقه) .

لقد دفعت هذه العوائق عبد الله كنون إلى الانكباب على الدرس والتحصيل وبذل ما فوق المستطاع للتفوق ولإثبات الذات . ووضع نصب عينيه هدفًا لا يحيد عنه هو التعويض عن الحرمان الذي عاناه من عدم الانتظام في جامعة القرويين وحيلولة الظروف بينه وبين الالتحاق بمصر للدراسة . ولقد أظهر كنون مقدرة فائقة في اختصار المسافة وطي المراحل سراعا إلى أن بلغ المستوى العالي من التحصيل الذي لم يبلغه خلانه وأقرانه ممن كان يطمح في أن يسايرهم في حياتهم الدراسية ؛ وذلك بتضلعه في العلوم الأصلية والمعارف الحديثة وتبحره الواسع في حقول الثقافة الإسلامية العربية إلى جانب انفتاحه على الثقافة الأوروبية من خلال تعلمه المبكر للغتين الإسبانية والفرنسية بالاعتماد على مجهوده الشخصي ، وحتى توفر له محصول معرفي بالغ الغزارة خَوَّلَهُ دخولَ الساحة العلمية والأدبية وقد امتلأ وفاضُه علمًا وثقافةً واطلاعاً .

فكان بذلك مثالا عزيز النظير للعصامية بالمقارنة مع أبناء عصره ومع المحيط الثقافي الذي كان يسود مرحلة التكوين والنشأة .

يقول عبد الله كنون [8] : (... لا أقول بأن هذه الدروس ــ يقصد الدروس الدينية والعربية التقليدية ــ وهذه العلوم ، هي ما شكلت حصيلتي ، أو ما حددت تكويني . فلقد كانت هناك مطالعة الصحف والمجلات والكتب الوافدة علينا من المشرق ، ألتهم الكتب ، كتابين في اليوم من الحجم المتوسط . ومن هنا كان تكويني الثقافي العام كذلك الفرنسية التي أخذت في دراستها . أما الإسبانية فقد تعلمتها من الشارع وأصبحت أتقنها فيما بعد) .

لقد وضع كنون منهجا للتثقيف الذاتي أَهَّلَهُ للتفوق والتألق والنبوغ في جميع المجالات . ويكفي أنه ترأس رابطة علماء المغرب أزيد من عشرين سنة ، ودرس بجامعة القرويين [9] ، وترأس المجلس العلمي بطنجة ، وانتخب بالإجماع عضوا عاملا بارزا في عديد من المجامع اللغوية والعلمية في الوطن العربي والإسلامي ، واختير عضوا مؤسسا في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، وبرز في كل هذه المواقع وَبَزَّ أقرانه العلماء في المغرب والعالم العربي والإسلامي ، كل هذا وهو لايحمل شهادة دراسية بل ولا حتى إجازة من هذه الإجازات التي يكتبها العلماء للنابغين من تلامذتهم ، والتي كان يكتبها هو الآخر لعلماء المغرب فتعلي من أقدارهم وترفع من درجاتهم ، وما ذلك إلا بفضل الجد الذي أخذ نفسه به ، فقضى حياته كلها جادًّا يُقبل على تعاطي العلم والاغتراف من بحار المعرفة ما وجد إلى ذلك سبيلا ، وينفتح على ثقافات عصره ما وسعته همته وامتد إليه طموحه ؛ وبذلك يكون عبد الله كنون نسيج وحده بين علماء عصره على المستويين المغربي والعربي الإسلامي تكوينًا وتأثيرًا وأداء وممارسة . وتلك هي أهم خصائص شخصية عبد الله كنون ، وذلك سر تفوقه ونبوغه .

---

(8) مصدر سابق .

(9) درس في المعهد الديني العالي ، وفي كلية أصول الدين بتطوان مادة مصطلح الحديث ، وألقى محاضرات في المعهد العالي للدراسات العربية بالقاهرة .

جوانب من نشاطه الثقافي الأول :

ربط عبد الله كنون صلته القوية بالعمل العام سياسيا كان أم ثقافيا في فترة مبكرة من حياته ، فقد بدأ ينشر في جريدة (إظهار الحق) [10] التي كانت تصدر بطنجة وهو ابن 18 عاما ، ثم نشر في (جريدة الإصلاح) التي كانت تصدر بتطوان ، وكتب في (السعادة) مقالات أدبية وتراجم مغربية قبل أن يبلغ العشرين من عمره .

ويقول عبد الله كنون عن هذه الفترة المبكرة من حياته [11] (.. اتفقنا أنا والحاج عبد السلام بنونة والسيد محمد داود على النشر في جريدة (الإصلاح) .. جاءنا أن صاحبها الدحداح ، وهو لبناني مسيحي ، وضعه الإسبان مسئولا عنها ، كما عين الفرنسيون وديع حداد (مسيحي) في (السعادة) [12] . قال لنا الدحداح : أنتم لا تكتبون ، والجريدة أمامكم . قلنا : إن الجريدة استعمارية . قال : الجريدة مفتوحة أمامكم فاكتبوا ما تريدون ، وقال : انتقدوا الحماية واشتموا حتى الحماة ، ونحن ننشرها ، فاتفقنا نحن الثلاثة على النشر فيها) .

انخراطه المبكر في الحركة الوطنية :

إن هذه المرحلة الهامة من حياة عبد الله كنون طبعت نشاطه العام بطابع النضال وجعلته ينخرط في العمل السياسي منذ بداياته الأولى ، فكان من رواد الحركة الوطنية ، ومن الجماعة الأولى التي ساهمت في تأسيس كتلة العمل الوطني . يقول

---

(10) نشر كنون في العدد الأول ــ السنة الثانية ــ من (جريدة إظهار الحق) الصادرة في يناير سنة 1926 م مقالا تحت عنوان (الواجب الأصلي) خصصه لرسالة الصحافة ودورها في تطوير المجتمع .

(11) الكرمل ع : 11 ــ 1984 ص : 146 .

(12) جريدة أسسها الفرنسيون بطنجة ثم انتقلت إلى الرباط في عام 1912 لتصبح لسان الاستعمار الفرنسي بالمغرب .

كنون عن هذه المرحلة المتميزة [13] : (لم أنقطع للعمل الثقافي . كنت دائم الحضور في الميدان السياسي . وحتى الآن [14] . لكن عملي السياسي محلي وعام ، وتطور إلى أن صار ذا طابع عربي وإسلامي . وحين كتبت رسالة احتجاج إلى (نوكيس) [15] على منع كتابي (النبوغ المغربي) ، وقد منع بقرار عسكري معروف ومذكور في مقدمة الكتاب ، أجابني بأن تهمتي هي كوني عنصر اتصال بين وطنيِّ الشمال والجنوب . ولو كنت منقطعا للحياة الثقافية لأعطيت أكثر مما أعطيت في الجانب الثقافي ، لأن الحركة السياسية تأخذ مني وقتا كبيرا . وظلت الناحية الثقافية ثانوية بالنسبة لي ، ونوعا من الولع . والطموح الفكري هو الذي دفعني للاتصال بها . ولم أقم في الحركة الثقافية بما لم أشعر به ضروريا . كذلك مرحلة الحركة الوطنية . حينما كتبت مقالة (أسد علي وفي الحروب نعامة) [16] حوكمت . كنت أحاكم بالاستمرار . صادروا جواز سفري سنة 1930 ولم أسترده إلا سنة 1947) .

لقد ارتقى عبد الله كنون فوق مستوى الخلاف السياسي الذي ساد الحياة الوطنية بالمغرب في عام 1937 ، فهو وإن كان بقي على اتصال دائم بالحزب الوطني لتحقيق المطالب بقيادة علال الفاسي كعضو عامل نشيط ، فإن عمله في المرحلة التي تلت تأسيس حزب الاستقلال (11 / 1 / 44) اتسم بقدر من المرونة في النشاط الحزبي ؛ إذْ أخذ نشاطه داخل الحزب يتراجع تدريجيا مؤثرا (الانعزال التنظيمي) — إذا صَّح التعبير — وإن كان ظل حريصا على الإبقاء على صلته بحزب الاستقلال من خلال مد قنوات الاتصال مع قادة الحزب خاصة علال وبلافريج اللذين كان

---

(13) مرجع سابق ، ص 145 .

(14) نشر هذا التصريح في عام 1984 .

(15) المقيم العام الفرنسي بالمغرب من 1936 إلى 1943 .

(16) نشر بجريدة (الحرية) التطوانية بتاريخ 25 / 7 / 1940 .

يتعاون معهما أثناء إقامتهما بطنجة في مطالع أواخر الأربعينيّات ومطالع الخمسينيات بصفةٍ شخصيةٍ لا بصفة حزبية . ويمكن القول إنَّ عبد الله كنون عاش حياته وهو أقربُ إلى مبادئ حزب الاستقلال منه إلى أية اتجاهات ومبادئ أخرى . وإن كانت صلته بأقطاب هذه الاتجاهات لم تنقطع قط .

الفصـل الثاني

صفحات مجهولة من حياة عبد الله كنون

تعدد مناحي شخصية عبد الله كنون أكسبه قدرة فائقة على التحرك في أكثر من مجال على نحو جعله (رجلا عاما) يشارك بحضوره المتميز في العديد من الأنشطة ، ويسهم في صنع الأحداث ، ويتخذ من المواقف ما يتلاءم وطبيعته كرجل فكر ورسالة وصاحب قضية نذر نفسه لها وأخلص في الدفاع عنها كأقوى ما يكون الإخلاص في الذود عن قضايا الهوية والمصير والاختيار .

ولقد أتيح لي أن اقترب من عبد الله كنون في فترة مبكرة من حياتي وأن أطلع على قدر كبير من شئونه الخاصة التي لها صلة بالعمل العام والتي تكشف عن جوانب مجهولة من حياة هذا الرجل الكبير الذي كان وريث حضارة المغرب ومؤتمنا على ثقافته وتراثه واستمرار دوره الحضاري بالمعنى الواسع للدور الحضاري الذي تنهض به أمة من الأمم .

إن الناس تعرف عن عبد الله كنون أنه رجل علم ودين وأدب وثقافة . بل إن منهم من يحصر دور كنون في مجال ضيق لا يزيد عن دور العالم المحافظ على الطراز التقليدي القديم . فهو في نظر هؤلاء فقيه لا أقل ولا أكثر ، وهو في نظر الفئة الثانية مثقف ذو اطلاع واسع وكاتب مشارك له مكانته التي لا تنكر . وربما كان في نظر الفئة الثالثة مفكرا إسلاميا وداعية يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وبالمعنى المحدود للأمر بالمعروف وللنهي عن المنكر . وإذا كانت شخصية كنون تشتمل على كل هذه المزايا وتنطبق عليها جميع هذه الأوصاف والصفات ، فإن للرجل ــ رحمه الله ــ سجايا أخرى ربما كانت غير معروفة ، أو معروفة في نطاق ضيق محدود .

لقد كان كنون يمثل ــ بحق ــ شخصية العالم العامل المشارك الذي يفهم رسالة المثقف والمفكر والعالم والفقيه والكاتب والداعية فهما إسلاميا شموليا ؛ فلم يكن العلم عنده محصورا في مجال العلم الديني ، ولم يكن العمل الإسلامي الذي عاش حياته

له محدودا بمفاهيم قاصرة تبقيه في إطار (الوعظ والإرشاد) بالمعنى الشعبي السائد . ولكن الرجل كان مشاركا بالمفهوم العلمي للمشاركة في الحياة العامة ، واستطاع أن يقوم بأدوار بالغة التميز جعلت منه شخصية فريدة إذا قيست بمثيلاتها في المغرب والمشرق ، كل ذلك بسبب ما تميز به كنون من سعة علم وعمق دراية وفطنة وحضور دائم على أكثر من صعيد مما لا يتوفر عادة للعلماء ولرجال الفكر الإسلامي في هذا العصر إلا في أضيق الحدود ؛ ففي سنة 1953 ، بينما المغرب يهتز اهتزازا عظيما لإقدام السلطات الفرنسية الصليبية على نفي محمد الخامس والأسرة المالكة ، وقف كنون وقفة بطولة وشهامة ، حين كانت السلطات الاستعمارية تتعقب العلماء لتنتزع منهم التوقيع على وثيقة مبايعة الدمية التي نصبتها على عرش المغرب . وكانت الأنظار متجهة إلى طنجة وإلى عبد الله كنون باعتباره أبرز علماء المغرب والشخصية الإسلامية اللامعة في محاولة لإرغامه تحت الضغط والإكراه على الاعتراف بالأمر الواقع والإذعان للمسخ الذي صنعته فرنسا . في هذا الوقت العصيب تحايل كنون على مباحث فرنسا ورجال مخابراتها وعيون جواسيسها ــ وهم كثر ــ وخرج من بيته بالقصبة هاربا متنكرا في لباس امرأة ، حيث ارتدى (الحايك) بكل مستلزماته من لثام و (شربيل) وهبط أدراج القصبة ، بعد أن أعد للأمر عدته وأودع أوراقه وملفاته ومراسلاته ووثائقه مكانا أمينا ، بينما الجواسيس يقفون في رأس الدرب الضيق تحسبا لهروب كنون الذي مر من أمامهم في تؤدة وأناة وبهدوء كامل وانحرف يمينا في اتجاه سجن القصبة ثم أخذ ينزل الأدراج الحجرية درجا درجا لئلا يثير الشك من حوله ، والقصبة كلها يومئذ مطوقة وتحت الحصار ، فالمغرب كله في حالة طوارئ ، والشعب هائج ساخط متذمر . وواصل الرجل طريقه لا يلوي على شيء ، وكانت أمامه عقبة كأداء هي (الديوانة الدولية) التي تفصل بين طنجة وبين تطوان ، فهيأ له القدر أن يجتازها في أمان ممعنا في التنكر إلى أن وصل منطقة الأمان فخلع الحايك ، وكان قد استعد لهذه الحالة ، وليس لباسا عاديا إلى أن انتهى به المطاف إلى تطوان ليجد فيها الترحاب والملاذ والاستقرار . ومن هناك واصل عمله الوطني ضد الجريمة التي ارتكبتها فرنسا ، فكانت لافتتاحياته في مجلته (لسان الدين) ومقالاته في صحافة تطوان أصداء واسعة في كل مدن المغرب حيث كانت المجلة تصل بطرق سرية ليقرأ المواطنون في كل مكان رأي الشرع وكلمة الوطنية الحق

في الوضع اللاشرعي القائم يومئذ بالمغرب .

وأقام كنون بتطوان فترة خصبة من حياته إلى أن كان اليوم الموعود ــ يوم عودة محمد الخامس إلى أرض الوطن ــ ليتخذ موقفا وطنيا مع رفيقه في الكفاح والوطنية الأستاذ المناضل الكبير عبد الخالق الطريس ، ويكتب به صفحة مضيئة في سجل حياته العريضة . فقد قدم كنون والطريس استقالتيهما من الوزارة إلى سمو الخليفة مولاي الحسن بن المهدي في نفس يوم وصول محمد الخامس إلى الرباط ، وحاول الرجلان إقناع زملائهما في الحكومة الخليفية بتقديم الاستقالة الجماعية ، ولكنهما لم يجدا تجاوبا ولا لقيا استجابة . وليس كل وزير يقدر على تقديم استقالته مضحيا بالمنصب والجاه والنفوذ . ولكن كنون والطريس لم يكونا مطلق وزيرين ، وإنما هما وطنيان مناضلان في المقام الأول والوزارة جاءت تبعا لذلك لتكون وسيلة للعمل الوطني لا غاية في حد ذاتها . وكان الدافع وراء هذه الاستقالة الوطنية هو أن عودة الملك الشرعي للبلاد تجب ما قبلها ، فلا حكومة إلا ما يقام ويؤسس على يد محمد الخامس ، وأن الحكومة الخليفية فقدت (الشرعية) وأن الوطنية الحق تقضي بحل هذه الحكومة فورا ودون إبطاء أو تردد . ومن تطوان توجه كنون والطريس ــ بصحبة رفاقهما الوطنيين ــ إلى الرباط ليستقبلهم جلالة المغفور له محمد الخامس . وقد اختار ــ رحمه الله ــ عبد الله كنون ليتولى مسئولية تاريخية دقيقة هي الإشراف على استلام السلطات من الإدارة الدولية بطنجة حين عينه عاملا على المدينة غداة استرجاعها إلى السيادة الوطنية شهورا بعد إعلان استقلال المغرب .

ومن منصب حاكم طنجة مارس عبد الله كنون دوره كعالم إسلامي أولا ، فكان أن أصدر قرارا تاريخيا هز المجتمع الطنجي يومئذ ، وهو مجتمع كان عهدئذ خليطا من جنسيات مختلفة وكان لليهود فيه دور مؤثر في الاقتصاد والحياة العامة ، منع بموجبه تداول الخمور وأقفل محلات القمار وأرغم الجميع على الامتثال لإرادة المغرب المسلم المستقل . ولكن مفعول هذا القرار لم يستمر بطبيعة الحال . وكان الرجل أكبر من المنصب فآثر التفرغ لعمله الثقافي والفكري والانقطاع لما خلق له وقدم استقالته من منصب حاكم المدينة .

ولعل المنطق الذي قضى بالتراجع عن القرار الذي اتخذه كنون في عام 1956

هو الذي كان وراء السياسة التي سارت فيها وزارة المالية في أواخر الستينيات حينما قررت فرض الضريبة على التركات . وهو الأمر الذي دفع بكنون إلى أن يقف موقفا شجاعا فيه فطنة العالم وحلم الداعية ويقظة الرجل العام والشعور الديني بالمسئولية . وكان أن استقبل من طرف جلالة الملك ليشرح أمامه وجهة نظر الشرع في هذه الضريبة التي تتعارض والأحكام الشرعية المقررة بهذا الخصوص . وترتب على ذلك صدور بلاغ رسمي بإلغاء الضريبة على التركات دون أن يعلم أحد أن العالم الإسلامي كنون كان وراء هذا القرار الإيجابي الذي رد الحق إلى نصابه .

وفي مطالع السبعينيات وبينما أجواء المغرب العربي ملبدة بالسحب ، والعلاقات المغربية الليبية تعرف تصعيدا رهيبا ومستقبل شعوب المنطقة بالغ الحلكة والعتمة والإظلام ؛ قدر لعبد الله كنون أن يقوم بدور حاسم في تلطيف الأجواء ووقف الحملات الإعلامية والتمهيد لاتصالات مغربية ليبية انعكست على مجمل العلاقات بين البلدين . فقد كلف جلالة الملك عبد الله كنون بمهمة وطنية تقضي بربط الاتصال — في قمة الأزمة — بين الرباط وطرابلس ، وأوفده إلى الرئيس القذافي حاملا نداء إلى التآخي ونبذ الخلافات والبدء من جديد في الاتجاه الذي يخدم العلاقات الثنائية ، وكان القذافي قد عبر في مناسبة سابقة عن تقديره لرجل علم ودين مثل عبد الله كنون . وفعلا استقبل كنون في طرابلس من طرف معمر القذافي واستمع القائد الليبي إلى العالم والمفكر المغربي وقدر فيه حرصه على إحلال الصفاء والإخاء والتعاون محل البغضاء والعداء والصراع . وكان من أثر هذه المقابلة أن توقفت الحملات الإعلامية وصفت الأجواء . وهو الأمر الذي أتاح للمغرب فيما بعد بقليل التفرغ لمسألة الوحدة الترابية والدخول في معركة استكمال هذه الوحدة مما انتهى إلى ما نعرفه جميعا من رفع القضية إلى محكمة العدل الدولية والقيام بالتحرك الدبلوماسي ثم الإعلان عن المسيرة الخضراء .

ولعبد الله كنون مواقف مشرفة على الساحة العربية والإسلامية يدافع فيها عن قيم الإسلام دفاعا واعيا مستنيرا ؛ ففي مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر — الذي اختير كنون فيه عضوا عاملا منذ تأسيسه في مطالع الستينيات — دافع عن

وجهة نظر الإسلام مجردة من الأهواء السياسية التي كانت تهيمن على الحياة العقلية عهدئذ بمناسبة مناقشة القضايا الإسلامية الحيوية خاصة منها ما له صلة بالأمور الاقتصادية والسياسية . وكان كنون في بعض الفترات الصوت الإسلامي الوحيد في هذا المجمع ـ في مؤتمراته السنوية ـ الذي يتحدث عن حكم الشرع دون مراعاة للأحوال السياسية السائدة .

وفي منتصف الستينيات لم يكن بالإمكان الخروج عن إطار للفكر الإسلامي اختاره وحدده الحكم القائم هناك . ومن جملة ذلك قضية الحريات العامة في الإسلام وكيف أن كرامة الإنسان مصونة إلى أقصى الحدود وكيف أن الإسلام أكرم بني آدم . وفي أحد المؤتمرات الإسلامية بالقاهرة سنة 1966 وقف عبد الله كنون وحده وسط أزيد من تسعين عضوا هم أعضاء المجمع من الداخل والخارج ليندد بالقهر والقمع والبطش والإرهاب وخنق الحريات العامة وتجاهل حقوق الإنسان بلغة العالم والداعية والمفكر الإسلامي واستنادًا إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية . وكان هذا الموقف مثار إعجاب الحاضرين الذين عبروا للرجل في غرفهم بالفندق وفي كواليس المؤتمر عن تقديرهم وتأييدهم وعجزهم عن مسايرته .

ولكن كنون كان يصدر عن الفهم العميق لرسالة العالم والمفكر الإسلامي الذي يحترم نفسه ويحترم الدور المنوط به .

ومن المواقف الشجاعة لعبد الله كنون التي تشكل صفحات تكاد تكون مجهولة من حياته دفاعه المستميت عن جامعة القرويين وعن التعليم الديني بصفة عامة . فقد تعرضت القرويين في مطالع الستينيات إلى مؤامرة مكشوفة من طرف بعض المسئولين ممن يخدمون أغراض التغريب وأهداف الفَرْنَسة وسياسات الغزو الفكري . وكان من مظاهر هذا التآمر على هذه الجامعة المغربية الإسلامية العريقة الحطُّ من شأن العلماء الحاصلين على (العالِمية) من القرويين وذلك باعتبار إجازة (العالمية) دون مستواها الثقافي العلمي بدرجات كثيرة إلى حد أنها لا تعادل حتى الإجازة الجامعية (الليسانس) . وقد ترتب على ذلك ضياع حقوق عدد كبير من حملة (العالمية)

الذين أدمجوا في سلاليم إدارية أقل بكثير من مستواهم ودون كفاءاتهم بمراحل . وكان أن تصدى كنون لرد هذا العدوان المسلط على القرويين ، والتقى مع جلالة الملك الحسن الثاني ، الذي قبل استقبال وفد من العلماء يرأسه عبد الله كنون للنظر في هذا الموضوع ، واستطاع كنون أن يبسط القضية في أبعادها العامة أمام أنظار ملك البلاد الذي اقتنع تمام الاقتناع بوجهة نظر العلماء ، فأصدر أمره إلى وزيري المالية والتعليم بمعادلة (العالمية) بالإجازة (الليسانس) . وكان كنون يعتبر أن عالمية القرويين لا تقل من حيث المستوى العلمي والدراسي عن الدكتوراه . وظل دائما يعبر عن رأيه في هذا الموضوع بصراحة مطلقة . وقد بلغ هذا الرأي إلى جلالة الملك فأمر من جديد بمعاملة فئة مختارة من خريجي القرويين على قدم المساواة مع الحاصلين على الدكتوراه ممن التحقوا بالتدريس في الجامعة . وقد استفاد من هذا الوضع بصفة خاصة كل من : علال الفاسي ، عبد الهادي بو طالب ، محمد إبراهيم الكتاني ، وهم الذين كانوا يحملون (العالمية) ويُدرسون بكلية الحقوق. وبلغ من اقتناع جلالة الملك بأهمية (عالمية القرويين) أن أصدر أمره بمساواة عبد الله كنون بهذه النخبة من حيث الامتيازات الوظيفية بالجامعة حتى وهو لا يحمل العالمية ولا أية إجازة ، ولم يتخرج قط من جامعة ، ولا تلقى تعليما نظاميا ، و لاتقليديا ولا حديثا .

ولو لم يقف كنون موقفه ذاك دفاعا عن شرف جامعة القرويين لهضمت حقوق أبناء هذه الجامعة ، ولكان خصوم القرويين قد انتصروا .

وكان عبد الله كنون شديد الاعتزاز بالعلم الذي يحمل أمانته ، عظيم الفخر بالانتماء إلى أسرة العلماء ، وله في هذا المجال مواقف مشرفة أذكر منها موقفا واحدا كنت شاهدا عليه في مطالع الثمانينيات ، حين أتيح لي أن أحضر بحكم وظيفتي بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية اجتماعا للمجلس العلمي الأعلى عقد بمقر الوزارة وترأسه الوزير ، وكنت كلفت بكتابة المحضر الرسمي لهذا الاجتماع الذي ضم رؤساء أربعة عشر مجلسا علميا إقليميا إلى جانب الكاتب العام للمجلس العلمي الأعلى ، وقد شاهدت كنون يدافع في قوة وجرأة وشجاعة عن الآراء التي طرحها ، وكان مقتنعا بها كأساس لعمل المجالس العلمية . وقد بلغ مستوى الجدل في هذه الاجتماع حدا

جعل كنون يرفع يده طالبا الكلمة ويقول بملء فيه : (أود أن يعلم السيد الوزير أولا وقبل كل شيء أن هذا اجتماعٌ للمجلس العلمي الأعلى الذي يضم وفقا للظهير المؤسِّس السادة رؤساء المجالس العلمية ، ولذلك فلا سلطة للوزارة ولا للوزير على هذا المجلس ، وعليه فلا نسمح نحن العلماء أعضاء هذا المجلس الذي يرأسه جلالة الملك وفقا للقانون ، للسيد الوزير أن يتدخل فيما ليس من اختصاصه) . ولم يطق الوزير سماع كلمة كنون ، واستأذن في مغادرة القاعة ، وواصل المجلس اجتماعه بطريقة عادية .

لقد كان عبد الله كنون من العلماء العاملين الذين لا يخشون في الله لومة لائم . وقد كنت شاهدا في مطالع السبعينيات على موقف شجاع اتخذه كنون بمناسبة الإصرار الذي أبدته السلطات في طنجة على هدم إحدى المقابر الإسلامية لمصلحة ارتأت أنها ذات منفعة عامة . وقد اعترض كنون بشدة على هدم المقبرة واحتج لدى المسئولين في الرباط ، وزاره الكاتبُ العامُ لوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية مع عامل إقليم طنجة في بيته في محاولةٍ لإقناعه بالحسنى برفع اعتراضه والموافقة على تنفيذ المشروع ، وكان رد كنون حرفيا : (أنتما تعلمان بأنني لا أملك سلطة ولست مسئولا أملك النفوذ ، ولكني على يقين أن جلالة الملك لن يسمح ولن يوافق بأية حال من الأحوال أن يتصرف الولاة الذين ينصبهم في الأقاليم كما يتصرف حكام الفلبين الذين يهدمون مقابر المسلمين ، ولذلك فإنني لن أسكت ، ولن أسحب اعتراضي ، وإذا لم يُلْغَ المشروع فسوف أُشَهّر بهذا التصرف في الصحافة وأتابعه شخصيا حتى يسقط) . فما كان من المسئولين الكبيرين إلا أن ينهيا الحديث ويستأذنا في الانصراف مُشَيَّعَيْنِ بالتحيات من العالم الكبير الذي نزل معهما السلاليم ورافقهما إلى باب الدار كدأبه دائما مع كل زواره على اختلاف طبقاتهم .

الفصل الثالث

مؤلفات عبد الله كنون

ببليوغرافيا شاملة

الفصل الثالث

مركزية الأرض بين العلـــم

والكـــنيسة وقضية جاليليو

الطابع العام لمؤلفات عبد الله كنون أن معظمها نشر مقالات في الصحافة. وهو هنا يلتقي مع أبناء جيله في المشرق والمغرب الذين تضم مؤلفاتهم إنتاجهم المنشور في الصحف والمجلات ؛ منهم رشيد رضا ، وشكيب أرسلان ، والعقاد ، وطه حسين ، والرافعي ، والمازني ، ومحمد حسين هيكل ، وعلال الفاسي . ولا يزال جزء كبير من إنتاج هذه الكوكبة من الرواد مفكرين وكتابا ومصلحين وأدباء مبثوثا في بطون الدوريات مما لم تمتد إليه يد العناية للنشر في كتب . ولقد تدارك كنون هذا النقص فعمل منذ مطالع حياته الثقافية إلى جمع مقالاته وكتاباته في الصحافة الأدبية والسياسية وإعدادها للنشر ضمن مجموعات مصنفة حسب موضوعاتها التي تمحورت حول ثلاثة محاور : المحور الأدبي ، فالمحور الإسلامي ، ثم المحور السياسي .

ويستثنى من هذا المنهج الذي اتبعه كنون ــ على مستوى التأليف ــ كتابان اثنان ، أو بالأصح أقسام من كتاب وكتاب كامل . ويتعلق الأمر هنا بكتاب (النبوغ المغربي في الأدب العربي) وكتاب (أحاديث عن الأدب المغربي الحديث) الذي كان في الأصل سلسلة محاضرات ألقاها المؤلف على طلبة معهد الدراسات العربية العليا في مطلع الستينيات . وكذلك تخرج عن هذا الإطار الكتب التراثية المحققة ذات النسق المتكامل غير القابل للتجزئة من مثل (المنتخب من شعر ابن زاكور) و (ديوان ملك غرناطة) و (رسائل سعدية) و (مناهل الصفا) ... إلخ . وما عدا ذلك فجميع مؤلفات كنون إما مقالات نشرت له في الصحف والمجلات المغربية والعربية ، وإما أبحاث ودراسات ومحاضرات شارك بها في لقاءات ومناسبات ثقافية وعلمية وإسلامية . ويمكن القول إن أهم ما غذى به كنون الصحافة من قلمه الفياض ، منذ تعاطى الكتابة في الصحف ، قد جمعه ورتبه ونشره في مجموعات ، بما في ذلك المقالات والكلمات القصار التي كانت تنشر له غفلا من الإمضاء أو بتوقيع مستعار . وما لم ينشر في كتب فهو قليل لا قيمة باقية له ، وهو غالبا

من نوع الكتابات الظرفية السريعة التي كانت تخضع لمقتضيات الأحوال .

ويندرج ضمن هذا الطابع العام حتى الكتب التراثية التي حققها كنون أو نشرها باسمه ، فقد نشر في (لسان الدين) كتبا تراثية في حلقات قبل أن يصدرها في كتب مستقلة ، ونشر بعض كتبه ذات الصلة بالتراث من مثل (أربع خزائن) و (من أدبنا الشعبي) دراسات مطولة في بعض المجلات الراقية مثل مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ومجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، ومجلة البحث العلمي بالرباط .

وعلى هذا الأساس كان الطابع الصحافي غالبا على شخصية عبد الله كنون [1] ، وهو هنا يلتقي مع شخصية ثقافية عربية مميزة هي عباس محمود العقاد ، مع مراعاة الفارق الملحوظ ، وهو أن كنون جمع إلى الكتابة في الصحف اشتغاله بالتدريس بالجامعة والمشاركة في المؤتمرات الدولية وإلقاء البحوث والمحاضرات فيها ، إلى جانب اهتمامه بتحقيق كتب التراث المغربي والعربي .

إن الإنتاج الغزير والمتنوع المطبوع بطابع الأصالة والتجديد والشجاعة الأدبية الذي خلفه كنون والذي تحويه كتبه المنشورة هو من أثر الصحافة عليه التي كان من فرسانها في فترة من حياته ، والتي لم يضعف ارتباطه بها إلى آخر أيامه . وقد عشت تجربة تأليفه كتاب (الرد القرآني) الذي كان ينشره في حلقات بمجلة (دعوة الحق) في الفترة التي توليت فيها رئاسة تحريرها : فقد كان يقرأ الكتاب في ترجمته الفرنسية ثم يتولى كتابة الرد على كل فصل على حدة فصلا بعد فصل بما يتطلب ذلك قراءة الكتاب أكثر من مرة ، وتنشر الردود تباعا إلى أن فرغ من دحض مفتريات الكتاب والرد على أباطيله . وكان لهذه المقالات صدى واسع في البلدان الإسلامية التي تصلها المجلة .

لقد تنوعت مؤلفات عبد الله كنون مادة ومضمونا ، وتحمل في مجموعها طابع شخصيته المتميزة ، وتكشف عن نبوغه وعبقريته وأصالة فكره .

---

(1) انظر فصل (صحافة عبد الله كنون) من هذا الكتاب .

ويمكن تقسيم آثار كنون إلى الأقسام التالية :

أولا : المؤلفات المطبوعة .

ثانيا : المؤلفات المخطوطة .

ثالثا : الآثار المتفرقة .

وسنتناول كل قسم بالتفصيل حسب تاريخ الصدور بالنسبة للقسم الأول ، وباعتبار طبيعة الآثار بالنسبة للقسمين الثاني والثالث .

أولا : المؤلفات المطبوعة

1 ــ في الأدب واللغة والدراسات التاريخية :

1 ــ النبوغ المغربي في الأدب العربي (3 أجزاء) .

2 ــ ذكريات مشاهير رجال المغرب (50 حلقة) .

3 ــ أحاديث عن الأدب المغربي الحديث .

4 ــ شرح الشمقمقية .

5 ــ شرح مقصورة المكودي .

6 ــ المنتخب من شعر ابن زاكور .

7 ــ أمراؤنا الشعراء .

8 ــ التعاشيب .

9 ــ واحة الفكر .

10 ــ خل وبقل .

11 ــ العصف والريحان .

12 ــ سابق البربري .

13 ــ لقمان الحكيم .

14 ــ لوحات شعرية (ديوان) .

15 — من أدبنا الشعبي .

16 — أربع خزائن لأربعة علماء من المغرب .

17 — مدخل إلى تاريخ المغرب .

18 — أدب الفقهاء .

19 — نظرة في منجد الآداب والعلوم .

20 — أزهار برية .

21 — إيقاعات الهموم (ديوان) .

22 — القاضي عياض بين العلم والأدب .

23 — أشذاء وأنداء .

24 — الشيخ زروق دفين مصراتة .

25 — أنجم السياسة وقصائد أخرى .

2 — في الدعوة والدراسات الإسلامية :

26 — تفسير سور المفصل من القرآن الكريم .

27 — تفسير سورة يس .

28 — فضيحة المبشرين .

29 — مفاهيم إسلامية .

30 — محاذي الزقاقية .

31 — القدوة السامية للناشئة الإسلامية .

32 — إسلام رائد .

33 — الإسلام أهدى .

34 — جولات في الفكر الإسلامي .

35 — تحركات إسلامية .

36 — معـــارك .

37 — شئون إسلامية .

38 ـــ منطلقات إسلامية .

39 ـــ على درب الإسلام .

40 ـــ الرد القرآني على كتيب : « هل يمكن الاعتقاد بالقرآن » ؟ .

41 ـــ حب الرسول للنساء .

42 ـــ معسكر الإيمان يتحدى .

43 ـــ نفيُ تقوُّلٍ سخيف على الجناب المحمدي الشريف .

3 ـــ في تحقيق التراث ونشره :

44 ـــ رسائل سعدية .

45 ـــ ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث .

46 ـــ عجالة المبتدي للأنساب للحازمي .

47 ـــ ترتيب أحاديث الشهاب في المواعظ والآداب للقاضي عياض .

48 ـــ تلقين الوليد الصغير لعبد الحق الإشبيلي .

49 ـــ قواعد الإسلام للقاضي عياض .

50 ـــ شرح الأربعين الطبية لعبد اللطيف البغدادي .

51 ـــ الأنوار السنية في الألفاظ السنية لابن جزي .

52 ـــ رسالة نصرة القبض للمسناوي .

53 ـــ شرح ميارة على الجُمَل .

54 ـــ التيسير في صناعة التسفير للإشبيلي .

55 ـــ مناهل الصفا للفشتالي .

56 ـــ أربعون حديثا في فضل القرآن وتعلمه وتعليمه وتلاوته .

57 ـــ أخبار الصغار للحافظ أبي عبد الله محمد بن مخلد الدوري العراقي .

58 ـــ كشف الشبهات للعلامة محمد بن سليمان بن الدرعي .

ثانيا ــ المؤلفات المخطوطة [1] :

1 ــ في الأدب واللغة والدراسات التاريخية :

59 ــ صنوان وغير صنوان (ديوان) .

60 ــ شخصيات مغربية .

61 ــ على هامش الحياة .

62 ــ ألفاظ من النوادر .

63 ــ الجيش المجلب على المدهش المطرب .

2 ــ في الدعوة والدراسات الإسلامية :

64 ــ الفتاوى .

65 ــ الخطب المنبرية .

3 ــ في نشر التراث وتحقيقه :

66 ــ منهاج المناقب ومعراج الحسب الثاقب .

ثالثا ــ الآثار المتفرقة [2] :

ويندرج تحت هذا القسم الآثار الخطية التي خلفها عبد الله كنون ، وندرجها حسب الترتيب المتسلسل في القسمين الأول والثاني :

---

(1) أفدت في هذا القسم من البيليوغرافيا التي أنجزها عبد الصمد العشاب أمين مكتبة عبد الله كنون بطنجة .
(2) يدرج عبد الصمد عشاب ضمن بيليوغرافيا مؤلفات عبد الله كنون تحت رقم (67) (رسائل كبار المفكرين في العالم العربي والإسلامي والغربي الموجهة إلى كنون) وهي مرتبة حسب 11 موضوعا . وغني عن القول إن هذه الرسائل ليست من آثار كنون ، فهي رسائل إليه وليست منه .

67 ـــ مذكرات غير شخصية (سيرة ذاتية) .

68 ـــ رسائل أدبية وإخوانية .

69 ـــ مقالات ومحاضرات لم تنشر .

70 ـــ المقابلات والأحاديث الصحافية .

ونعرض في الفصل التالي لهذه المؤلفات والآثار في إطار تقديم ملخص ومركز لكل واحد منها .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الفصل الرابع

الكشاف التحليلي للأعمال الكاملة

أولا : في الأدب واللغة والدراسات التاريخية

1 ــ النبوغ المغربي في الأدب العربي :

صدرت الطبعة الأولى عن المطبعة المهدية بتطوان بلا تاريخ . وإن كان من المعروف أن طبعة تطوان صدرت في عام 1938 ، وتقع في جزءين منفصلين ، الأول في 252 صفحة ، والثاني في 437 صفحة ، وكلاهما من القطع المتوسط وفي طباعة رديئة . وقد خصص المؤلف الجزء الأول للبحث والاستنتاج ، والثاني للآثار الأدبية ، ويعالج الجزء الأول خمسة عصور هي :

1 ــ عصر الفتوح (الفتوح الأولى وفتح مولاي إدريس) .
2 ــ عصر الموحدين (وفيه الكلام على المرابطين) .
3 ــ عصر المرينيين (وفيه الكلام على الوطاسيين) .
4 ــ عصر السعديين .
5 ــ عصر العلويين .

بينما ينقسم الجزء الثاني إلى قسمين ؛ قسم المنثور وقسم المنظوم ، ويقول المؤلف في مقدمة الطبعة الأولى : (.. وإنما أخّرنا الآثار الأدبية إلى الجزء الثاني ولم نذكر أدبيات كل عصر معه رغبة في عدم توقف المطالع وتلهيه عن مواصلة البحث وتكوين فكرة عامة عن جميع العصور مع ما في ضم تلك الآثار بعضها إلى بعضها من تأليف مجموعة أدبية نفيسة تكون وحدها دليلا ناطقا على ما للوطن العزيز من ماضٍ أدبي حافل) [1] .

---

(1) مقدمة الطبعة الأولى ــ ص : (ج) .

أما الطبعة الثانية فقد صدرت عن مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ببيروت في عام 1961 . وهي طبعة مزيدة ومنقحة ، ولها مقدمة خاصة بها يروي فيها المؤلف قصة الكتاب وما أثاره من ردود فعل واسعة النطاق . وتختلف طبعة بيروت عن طبعة تطوان فيما يلي [2] :

أولا : إضافة المواد الجديدة التي وقفنا عليها بعد ، سواء فيما يرجع إلى تراجم الأشخاص أو الآثار القديمة ، أو الدراسات الموضوعية التي تناولناها في مختلف العصور ، فقد ظهرت في عالم الطباعة كتب مهمة لها اتصال وثيق بموضوعنا كمجموعتي رسائل موحدية ، ورسائل سعدية ، ورابع البيان المغرب لابن عذاري ، ومغرب ابن سعيد ، والغصون اليانعة ، ورايات المبرزين له ، وأطلعنا على الحماسة المغربية للجراوي ، ونثير الجمان لابن الأحمر ، والمدارك للقاضي عياض ، ورحلة ابن رُشَيْد ، وغير ذلك من المخطوطات النادرة التي تحتوي على مواد أساسية في الموضوع كان من الضروري أن تضاف إلى أماكنها وتكمل عناصر البحث .

ثانيا : تصحيح بعض الأغلاط التي وقعت لنا في كتابة بعض التراجم ، ونسبة بعض الآثار الأدبية والعلمية لغير من هي له والحكم في بعض المسائل بما ظهر لنا خلافه وما إلى ذلك . ويقوي الداعي إلى هذا التصحيح أننا رأينا الذين كتبوا في موضوع الأدب المغربي يقلدوننا في تلك الأغلاط ، سواء الذي صرح منهم باعتبار النبوغ من مراجعه ، والذي لم يصرح بذلك ، وهو أمر مؤسف يدل على ضعف الهمم وكلال العزائم في الذين تصدوا حتى الآن لهذا البحث ، على الرغم من تيسير صعابه ، وتذليل عقابه . ولذلك كان لزاما علينا أن نبادر بتصحيح كل غلط من هذا القبيل ولو للمحافظة على هذه الثقة (العمياء) التي وضعها فينا الزملاء الكرام .

ثالثا : تحرير بعض الفصول من التأثير السياسي والعاطفي الذي كتبت به ، نتيجة لما كان المغرب يمر فيه من ظروف سياسية ، وأحوال اجتماعية معاكسة لمطامحه العليا ، وآماله الكبرى ، في الوحدة والاستقلال ، والتطور داخل إطار العروبة

---

(2) مقدمة الطبعة الثانية ــ ص : 11 .

والإسلام .. ومن أخطر ذلك السياسة البربرية التي انتهجها الاستعمار الفرنسي للتفرقة بين عناصر المواطنين المغاربة ، وتأليب بعضهم على بعض أخذا بمبدأ فرق تسد . فكان الكتاب كلما سنحت الفرصة ، يحمل على السياسة حملة شعواء ، ويوجه القارئ المغربي في الاتجاه السليم الجافي لهذه العنصرية المقيتة ، والذي هو الحق والصواب ، فالآن لما شَالَتْ نعامة الاستعمار ، وفشلت سياسته في هذا الصدد ، لم يبق موجب لذلك التوجيه ، أو على الأقل للهجة الشديدة التي كتب بها ذلك التوجيه .

رابعا : تحوير في التصميم الذي وضع عليه الكتاب ، فنحن لقلة المعلومات التي كانت عندنا عن العصر المرابطي أو لضعف استعدادنا في استخراج هذه المعلومات من تضاعيف الكتب والمراجع العامة ، كنا أدمجنا هذا العصر في العصر الموحدي . والآن وقد توفرت لدينا معلومات قيمة عن المرابطين وعهدهم فصلنا عصرهم عن عصر الموحدين ، وخصصناه بدراسات مهمة عن الاتجاه السياسي ، والحركة العلمية ، والحياة الأدبية ، وميزناه بخصائصه التي ينفرد بها عن العصر الموحدي . وبالطبع فقد خلصنا هذا العصر من الاشتباكات التي كانت تجمع بينه وبين العصر المرابطي ، لما كانا متداخلين ، وبذلك نكون قد أعدنا كتابة العصر المرابطي كله ابتداء .

ويضاف إلى هذا التحوير الذي أدخل على الطبعة الثانية تقسيمُ الكتاب إلى ثلاثة أجزاء ، فالجزء الأول للدراسات ، والثاني للمنتخبات النثرية ، والثالث للمنتخبات الشعرية ، وقد كان قبلُ مقسَّمًا إلى جزءين فقط يجمع الجزء الثاني بين دفتيه المنتخبات الشعرية والنثرية معا .

وتمتاز هذه الطبعة بزيادات كثيرة إلى غالب الفصول ، وخاصة فيما يتعلق بنهضة الفنون ومشاركة المرأة في مختلف مجالات النشاط الفكري للشعب ، وبعض الكلمات في هذا الصدد .

وتقع طبعة بيروت لعام 1961 في مجلد واحد من 990 صفحة من الحجم الكبير

ويضم ثلاثة أجزاء .

أما الطبعة الثالثة فقد صدرت عن دار الكتاب اللبناني ببيروت في عام 1975 ، ولها طبعة خاصة بها . وليس فيها ما يميزها عن الطبعة الثانية سوى (تصحيح بعض الأغلاط المطبعية وغيرها التي وقعت في الطبعة الثانية ، وإعادة تحرير الفصل الأول من عصر السعديين ، واستدراك بعض الآثار الأدبية من شعر ونثر) [3] .

وتقع هذه الطبعة في مجلد واحد من 1044 صفحة من القطع الكبير ويضم الأجزاء الثلاثة .

وإذا كانت الطبعة الأولى في الجزء الثاني تضم أول تقريظ للكتاب بقلم محمد بليمني الناصري [4] ، فإن الطبعة الثانية تشتمل على مقال تحليلي ممتاز للكتاب بقلم شكيب أرسلان [5] ورسالة من المستشرق كارل بروكلمان إلى المؤلف [6] ومقال لحنا الفاخوري تحت عنوان (النبوغ المغربي في ميزان القيمة) [7] ، في حين تضم الطبعة الثالثة إلى مقال شكيب أرسلان ورسالة بروكلمان ، ومقال الفاخوري رسالة من علال الفاسي إلى المؤلف [8] ومقالا للدكتور نقولا زيادة [9] .

2 ــ ذكريات مشاهير رجال المغرب :

موسوعة من التراجم لشخصيات مغربية تقع في 50 جزءا . صدر منها أربعون جزءا في حياة المؤلف وعشرة أجزاء بعد وفاته . وكانت الـ 25 جزءا الأولى قد

---

(3) مقدمة الطبعة الثالثة ، ص : 1 .

(4) التقريظ يحمل تاريخ 21 صفر 1357 .

(5) عن جريدة (الوحدة المغربية) ، تطوان ، العددان 224 (4 صفر 1361) ، 234 (29 ربيع الثاني 1361) .

(6) مؤرخة في 7 رجب 1361 .

(7) لم يذكر المؤلف المصدر الذي نقل عنه هذا المقال .

(8) مؤرخه في 11 شوال 1365 .

(9) لم يشر المؤلف إلى مصدر المقال .

صدرت عن معهد مولاي الحسن للأبحاث بتطوان في ظرف خمس سنوات تقريبا ثم صدرت الأجزاء كلها بما فيها الأجزاء الـ 25 الأولى عن دار الكتاب العربي ببيروت ، ويقول المؤلف : (.. ولما كانت هذه التراجم طبقات مختلفة ، فمنها أهل الأدب ، ومنها رجال العلم ، ومنها الساسة فقد جعلنا الكتاب على ثلاثة أجزاء واختصصنا كل طبقة بجزء ، ورتبنا الأسماء فيه على العصور ثم على القدمية ليسهل تناوله ، وليتدرج القارئ في تصور الحياة الفكرية أو السياسية في كل عصر من المبدأ إلى الغاية ... وقد كان في النية نشره على هذا المنوال أجزاء ثلاثة ، محتوية على الطبقات الثلاث ، ولكن الصعوبة التي اصطدمنا بها مرارًا كلما حاولنا هذا الأمر جعلتنا نقبل فكرة نشره في حلقات متسلسلة كما اقترح علينا كثيرون)[1] .

ويوضح المؤلف الفرق بين كتاب (النبوغ) وبين موسوعة (المشاهير) فيقول : (.. وذلك أن (النبوغ) كان كتابا جامعا ودراسة محيطة بالشاذة والفاذة ، وكان لكل فصل فيه مقدمات يراد منها الوصول إلى نتائج فلم يتأت التوسع في باب منه دون باب ، وقد بقيت في النفس حاجات متعلقة بتراجم الأشخاص المذكورين فيه ، خصوصا المشهورين منهم والذين يوحي تتبع تراجمهم بمعان من السمو النفسي والفخر الأدبي ، وهي غاية المراد ومنتهى القصد ، فأردنا استيفاء تلك الحاجات على حسب الوسع وقدر الإمكان)[2] .

ويرسم المؤلف معالم المنهج الذي اتبعه في كتابة هذه التراجم فيقول : (.. على أننا لا نعد بكتابة تراجم علمية لهؤلاء الأشخاص ، قائمة على التحليل ومستوفية للأغراض الواجبة في هذا الصدد ، لأن المصادر تعوزنا كثيرا . وما جمعناه من الأخبار والآثار على كونه أكثر مما جمعه أي ديوان عن هؤلاء الأفراد — ومنهم من لم يكن أحد يعرف أنه مغربي أصلا — فإنه لا يكفي لكتابة حياة Biografia لواحد منهم ،

---

(1) مقدمة الجزء الأول (عبد العزيز الفشتالي) ، ص : 8 — 9 .

(2) مصدر سابق ، ص : 7 .

ولهذا السبب دعونا هذا الكتاب ذكريات مشهوري رجال المغرب ولم ندعه تراجم) [3] .

أما الأسلوب الأدبي الذي اتبعه المؤلف فيتحدث عنه قائلا : (.. وقد نهجنا في كتابته منهاجا أدبيا بديعا ، فأنت تقرأ الترجمة وكأنك تقرأ قصة متسلسلة الفصول ، فلا تشعر بسأم ولا ملل من سياق القول ولا من تحقيق الأقوال ومناقشة الآراء ودفع الشُّبه . وحرصنا فيه ما أمكن على سلامة العبارة وطلاوة الأسلوب وإبراز حرارة النكتة واستثارة روح الإعجاب ، مع الأمانة والصدق وعدم الغلو في مدح أو تقدير شيء من الأشياء) [4] .

وفيما يلي عناوين موسوعة (ذكريات مشاهير رجال المغرب) :

1 ــ عبد العزيز الفشتالي (71 صفحة) .
2 ــ أبو القاسم الزياني (39 صفحة) .
3 ــ الوزير ابن إدريس (43 صفحة) .
4 ــ أكنسوس (54 صفحة) .
5 ــ أبو جعفر بن عطية (32 صفحة) .
6 ــ أبو العباس الجراوي (35 صفحة) .
7 ــ ميمون الخطابي (35 صفحة) .
8 ــ مالك بن المرحل (45 صفحة) .
9 ــ عبد العزيز الملزوزي (35 صفحة) .
10 ــ الأمير سليمان الموحد (27 صفحة) .
11 ــ عثمان السلاجي (31 صفحة) .
12 ــ ابن غازي (30 صفحة) .
13 ــ ابن زاكور (32 صفحة) .

---

(3) مصدر سابق ص : 7 .
(4) مصدر سابق ص : 7 .

14 ــ ابن الطيب العلمي (32 صفحة) .

15 ــ ابن الونان (28 صفحة) .

16 ــ ابن عبدون المكناسي (24 صفحة) .

17 ــ أبو بكر ابن شبرين (31 صفحة) .

18 ــ ابن رُشَيْد (40 صفحة) .

19 ــ أبو موسى الجزولي (30 صفحة) .

20 ــ ابن آجروم (24 صفحة) .

21 ــ أبو القاسم الشريف (26 صفحة) .

22 ــ ابن الحاج الفاسي (32 صفحة) .

23 ــ أحمد زروق (40 صفحة) .

24 ــ الشريف الإدريسي (47 صفحة) .

25 ــ ابن بطوطة (40 صفحة) .

وهذه هي الأجزاء الخمسة والعشرون التي صدرت في تطوان من سنة 1949 إلى 1955 . وقد أعيدت طباعتها مع المجموعة الكاملة في بيروت ابتداء من سنة 1960 . وفيما يلي بقية الأجزاء :

26 ــ عبد المهيمن الحضرمي (46 صفحة) .

27 ــ أبو العباس العزفي (39 صفحة) .

28 ــ عبد الواحد المراكشي (30 صفحة) .

29 ــ ابن أبي زرع (46 صفحة) . (ويضم الجزء بحثا للمؤلف تحت عنوان « مؤلف الذخيرة السنية هو مؤلف القرطاس) .

30 ــ أبو حفص ابن عمر (38 صفحة) .

31 ــ ابن الياسمين (31 صفحة) (ويمتاز هذا الجزء بفهرس الأخطاء المطبعية الواردة في الأجزاء الثلاثين من هذه الموسوعة) .

32 ــ ابن البناء العددي (32 صفحة) .

33 ــ الإمام إدريس (24 صفحة) .

34 ــ أبو عمران الفاسي (20 صفحة) .

35 ــ السلطان محمد بن عبد الله (26 صفحة) .

36 ــ الأصيلي (20 صفحة) .

37 ــ عبد الله بن ياسين (28 صفحة) .

38 ــ يوسف بن تاشفين (34 صفحة) .

39 ــ ابن حبوس الفاسي (30 صفحة) .

40 ــ ابن زنباع الطنجي (27 صفحة) .

أما الأجزاء العشرة التالية فقد صدرت بعد وفاة المؤلف ، وهي [5] :

41 ــ سابق البربري شاعر مغربي عاش في الشام [6] .

42 ــ النابغة الهوزالي .

43 ــ أبو الحسن المسفر .

44 ــ ابن هانئ السبتي .

45 ــ أحمد بن شعيب الجزنائي .

46 ــ محمد بن المدني كنون .

47 ــ محمد الخامس ملك المغرب .

48 ــ محمد بن أحمد المسناوي .

49 ــ عبد الملك المعتصم السعدي .

50 ــ محمد بن عبد الكريم الخطابي .

3 ــ أحاديث عن الأدب المغربي الحديث :

صدرت الطبعة الأولى عن معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة في عام 1964 بمقدمة للدكتور إسحاق موسى الحسيني . وهو أول كتاب للمؤلف يكتب مقدمته شخص آخر . وكان الكتاب في الأصل سلسلة محاضرات ألقاها المؤلف على طلبة

---

(5) لم تصل هذه الأجزاء العشرة المغرب حتى الآن (أكتوبر 1990) .

(6) هو الكتاب الذي أصدره المؤلف منفصلا (انظر الكتاب رقم 12 في هذا الكشاف) مع إضافات وزيادات نشرها في مجلة (دعوة الحق) .

قسم الدراسات الأدبية واللغوية في المعهد المذكور في عام 1963 . ويضم الكتاب بالإضافة إلى تمهيد الفصول التالية :

1 ــ على عتبة العصر الحديث .
2 ــ فجر النهضة 1 .
3 ــ فجــر النهضة 2 .
4 ــ الجيل الجديد .
5 ــ النثر واتجاهاته الجديدة .
6 ــ القصة والمسرحية .
7 ــ الشعر واتجاهاته الجديدة .
8 ــ الشعر القصصي والتمثيلي .

وصدرت الطبعة الثانية من الكتاب في عام 1978 وتقع في 206 صفحات من القطع الكبير .

4 ــ شــرح الشمقمقية :

صدرت الطبعة الأولى بالقاهرة سنة 1937 ، والثانية والثالثة عن دار الجيل للطباعة بالقاهرة سنة 1964 ، والرابعة والخامسة عن دار الكتاب اللبناني ببيروت سنة 1979 . وقصيدة الشمقمقية تقع في 275 بيتا وهي من نظم الشاعر المغربي ابن ونان (تـ : 1187 هـ) . وهي على روي القاف ، وتنقسم بحسب الأغراض الشعرية إلى ثمانية أقسام :

1 ــ النسيب .
2 ــ التغــزل .
3 ــ الحماسة والفخر .
4 ــ مخاطبة الحسواد .
5 ــ الحكم والأمثال والوصايا .

6 ـــ مدح الشعر .
7 ـــ مدح السلطان .
8 ـــ مدح الأرجوزة .

تحدى الشعراء أن يأتوا بمثلها . ومطلعها : (مهلا على رسلك حادي الأينق = ولا تكلفها بما لم تطق) .

5 ـــ شرح مقصورة المكودي :

صدرت طبعة القاهرة عن مطبعة مصطفى محمد في سنة 1356 هـ . وتقع في 92 صفحة من الحجم المتوسط . ويقدم الشارح فذلكة تتناول حياة أبي زيد عبد الرحمان بن علي بن صالح المكودي ، وعصره وملكته في الشعر وذلك في 8 صفحات . والقصيدة في السيرة النبوية وهي 294 بيتا ، ومطلعها :

أرقني بارق نجد إذْ سرى   يومض ما بين فرادى وثُنَى

وكانت الطبعة الأولى قد صدرت بتطوان .

6 ـــ المنتخب من شعر ابن زاكور :

صدرت الطبعة الأولى عن مطبعة الفنون المصورة بالعرائش في عام 1942 ، وتقع في 132 صفحة تقديما ونصا وفهرسة . وصدرت الطبعة الثانية في عام 1966 عن دار المعارف بالقاهرة ضمن سلسلة (ذخائر العرب رقم 39) وتقع في 146 صفحة من القطع الكبير .

ويقدم المحقق ترجمة لابن زاكور (ت : 1120 بفاس) يتبعها بدراسة لنثره وشعره ، وبنشر خطبة الديوان للشاعر قبل أن يورد نماذج من شعره في المديح ، والربيعيات والزهريات ، والغزل ، والرثاء ، والنصائح ، والإخوانيات .

ويقول كنون بأنه بنشر هذا المنتخب لم يبق في الديوان إلا الغث المتهافت والتافه الذي لا غناء فيه .

7 ـــ أمراؤنا الشعراء :

صدرت الطبعة الأولى منه عن المطبعة المهدية بتطوان بلا تاريخ [1] والكتاب مهدي إلى الخليفة السلطاني مولاى الحسن بن المهدي ويضم نماذج شعرية لأمراء وحكام مغاربة في عهود مختلفة من الأمام إدريس بن إدريس إلى السلطان المولى عبد الحفيظ العلوي .

8 ـــ التعـــاشيب :

صدرت الطبعة الأولى منه في عام 1940 عن مطبعة المهدية بتطوان ، وصدرت الطبعة الثانية في عام 1975 عن دار الكتاب اللبناني ببيروت . ويقع الكتاب في طبعته الثانية في 158 صفحة من القطع الكبير ، بينما الطبعة الأولى من القطع المتوسط . ويضم المقالات التي نشرها المؤلف في مجلات : الرسالة ، السلام ، المغرب الجديد ، وهي :

1 ـــ أحمد زكي باشا .
2 ـــ الشعر الوطني في الأندلس .
3 ـــ المتنبي في ديوانه .
4 ـــ أمنية المتنبي التي لم تتحقق .
5 ـــ شاعر العربية الأكبر .
6 ـــ خواطر في تعليم المرأة .
7 ـــ زواج أديب .
8 ـــ أدب الرافعي .
9 ـــ بين الرافعي والقشاشي .
10 ـــ ماضي القرويين وحاضرها .
11 ـــ نظام الدراسة في الكلية .
12 ـــ عبده المغرب .

---

(1) يؤرخ المؤلف الخاتمة بثامن عشر صفر عام 1361 .

13 ــ إبليس يتفقد جنده .

14 ــ العامية المغربية .

15 ــ السيد عبد الرحمان الكواكبي .

16 ــ أديـــان .

17 ــ روح مومس .

18 ــ يحيى بن دالي .

19 ــ نظرات في كتب . وهذا أول كتاب يجمع فيه المؤلف مقالاته المنشورة في الصحف .

9 ــ واحة الفكـــر :

صدرت الطبعة الأولى عن معهد مولاي الحسن في عام 1948 وطبع بالمطبعة المهدية بتطوان ، ويقع في 195 صفحة من القطع المتوسط . وهو الكتاب الثاني ضمن المجموعات الأدبية . ويضم المقالات التالية :

1 ــ المسلمون والنبي [1] .

2 ــ تاريخ حياة معدة لتوفيق الحكيم .

3 ــ فنون من القول يسبق لها أهل الأندلس .

4 ــ جند صهيون .

5 ــ درهم بدينارين .

6 ــ السيد المختار .

7 ــ ذكرى الهجرة [2] .

---

(1) هذا أول مقال إسلامي ينشره المؤلف ضمن مجموعة أدبية . وكان أولى أن ينشر في كتابه (مفاهيم إسلامية) الذي هو أول كتاب يضم مقالاته الإسلامية .

(2) كتبت هذه الكلمة للجنة الاحتفال بذكرى الهجرة في الدار البيضاء عام 1360 هـ .

8 ــ في عيد الكتاب [3] .

9 ــ المتنبي في رأي طه حسين .

10 ــ كتاب التصوف الإسلامي للدكتور زكي مبارك .

11 ــ القلب المنتحر .

12 ــ سرقة فنية .

13 ــ الصورة المعلقة .

14 ــ تحقيق مع صاحب الذيل والتعليق .

15 ــ إلى صديقنا عبد الرحمان الفاسي :

إن كنت ريحا فقد لاقيت إعصارا [4] .

16 ــ كتاب الذخيرة لابن بسام .

17 ــ ديوان لمحات الأمل للمقدم (الشاعر المغربي عبد القادر المقدم) .

18 ــ نهضة الشعر بالمغرب [5] .

19 ــ حرفة الأدب .

20 ــ ما هو أحسن كتاب قرأته في موضوعه ؟ .

21 ــ هل الثقافة في أزمة ؟ .

10 ــ خَلٌّ وَبقْلٌ :

صدرت الطبعة الأولى عن المطبعة المهدية بتطوان بلا تاريخ ، وهي المجموعة الثالثة من المقالات الأدبية والنقدية للمؤلف بعد (التعاشيب) و (واحة الفكر) . ويقع الكتاب في 277 صفحة من القطع المتوسط ، ويضم المقالات التالية :

---

(3) ألقي هذا الخطاب بمناسبة افتتاح المكتبة البلدية في عيد الكتاب في مسرح سرفانطيس بطنجة في 23 / 4 / 1941 .

(4) نشر بجريدة (العلم) ردا على مقال نشره عبد الرحمان الفاسي ينقد فيه (أمراؤنا الشعراء) .

(5) نشر بمجلة (المعتمد) التي كانت تصدر باللغة الإسبانية بالعرائش .

1 ــ عهد مازيغ « كان معدا للنشر ضمن المجموعة الأولى (التعاشيب) ولكن الرقابة منعته » .

2 ــ سابق البربري .

3 ــ الشعر الأندلسي « كتب لمجلة المجمع العلمي العربي على أثر انتخاب الكاتب عضوا مراسلا للمجمع ، ونشر بها في الجزء 3 من المجلد 31 » .

4 ــ عاميتنا والمعجمية [1] .

5 ــ من تاريخ الفدائية في الإسلام [2] .

6 ــ واقعة وادي المخازن [3] .

7 ــ الكتب المنسوبة لغير أهلها .

8 ــ المعزى بفتح الميم .

9 ــ المخطوطات العربية في تطوان [4] .

10 ــ النقد والقومية العربية [5] .

11 ــ المغرب في حلى المغرب « عرض وتحليل لكتاب بن سعيد المغربي من تحقيق وتعليق د . شوقي ضيف » [6] .

12 ــ هل الشعر في تراجع ؟ .

13 ــ جائزة الشعر الملغاة .

---

(1) نشر في مجلة (TAMUDA) السنة 2 العدد 1 عام 1954 ، وصدرت فصلةً مستقلة في 18 صفحة .

(2) نشر بمجلة (الأنوار) التطوانية التي كان الكاتب يرأس تحريرها ، وذلك في مطالع سنة 1954 ، وكانت أعمال المقاومة والفداء في المغرب حينئذ على أشدها .

(3) نشر في مقالين بمجلة (الأنوار) غشت سنة 1952 ، غشت 1955 . وأعدتُ نَشْرَه في العدد الخاص عن معركة وادي المخازن الذي أصدرته مجلة (دعوة الحق) ، سنة 1978 .

(4) نشر في مجلة معهد المخطوطات العربية بالعدد الثاني السنة الأولى ، وأعيد نشره في مجلة (لسان الدين) بالعدد الأول السنة العاشرة عام 1956 .

(5) عرض ألقاه الكاتب في مؤتمر الأدباء العرب المنعقد بالقاهرة في دجنبر 1957 .

(6) نشر القسم الأول منه في ج 4 من مج 29 من مجلة المجمع العلمي بدمشق الصادرة في أكتوبر 1954 . ونشر القسم الثاني في ج ل من مج 33 ، يناير 1958 .

14 ـــ أيهما يكوِّن الآخر : المجلة أم القراء .. ؟ .

15 ـــ بعد احتجاب المجلات المصرية [1] .

16 ـــ نعي وفاة .

17 ـــ بين جيلين .

18 ـــ مؤتمر أدباء العرب .

19 ـــ كتاب الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة (لابن سعيد المغربي وتحقيق إبراهيم الأبياري) .

20 ـــ بين التطبيع والتصحيح .

21 ـــ ديوان الشاعر القروي .

22 ـــ أدب اليوسي .

11 ـــ العصف والريحان :

صدرت الطبعة الأولى عن مطبعة كريماديس بتطوان في عام 1969 ، ويقع في 259 من القطع المتوسط . وهو الكتاب الرابع ضمن المجموعات الأدبية للمؤلف بعد (التعاشيب) و (واحة الفكر) و (خل وبقل) . ويضم المقالات التالية :

1 ـــ قصة الأدب العربي في سطور .

2 ـــ البيت في الشعر العربي .

3 ـــ أنور الجندي مؤرخ الأدب العربي المعاصر .

4 ـــ بطاقة الزيارة .

5 ـــ لِمَا بِهِ وألفاظ أخرى .

6 ـــ المعجم العربي : نشأته وتطوره « تأليف د . حسين نصار » .

7 ـــ المغرب في مجمع اللغة العربية [2] .

---

(1) نشر في مجلة (لسان الدين) سنة 1953 .

(2) خطاب تقدم به الكاتب إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة عند تعيينه عضوا عاملا ممثلا للمغرب .

8 ـــ هل يفقد الأثر الأدبي قيمته بإعادة نشره ؟ .

9 ـــ لسان الدين ابن الخطيب : الكاتب الساحر [2] .

10 ـــ بحث في علم الجنس [3] .

11 ـــ مالك بن أنس : ترجمة محررة « من تأليف أمين الخولي » .

12 ـــ رسالة الكاتب ابن أبي الخصال التي نال فيها من كرامة المرابطين .

13 ـــ هل لفظ سوقة استعمال عفى عليه الزمن ؟ .

14 ـــ مساهمة المغرب في تقدم الثقافة العربية [4] .

15 ـــ السليقة عند العرب المحدثين .

16 ـــ أبو البقاء الرندي وكتابه (الوافي في نظم القوافي) .

17 ـــ ابن الأبار وكتابه الحلة السيراء (تأليف د . عبد الله الطباع) .

18 ـــ البنيس وألفاظ أخرى [5] .

19 ـــ التفكير فريضة إسلامية وأشتات مجتمعات في اللغة والأدب « من تأليف عباس محمود العقاد » .

20 ـــ ابن سَنَاء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر « تأليف د . عبد العزيز الأهواني » .

21 ـــ قيم جديدة للأدب العربي « للدكتورة بنت الشاطئ » .

22 ـــ هل اسم خلدون ونحوه مكبر على الطريقة الإسبانية ؟ .

12 ـــ سابق البربري :

نشر مقالات متفرقة في صحف ومجلات بالمغرب والمشرق منها مجلة (دعوة الحق) . وهو كتاب رائد يتناول موضوعًا غير مطروق .

---

(2) نشر بمجلة (البحث العلمي) المغربية ، ع : 2 ، س : 1 ، ماى / غشت 1964 . وصدرت فصلة منه عن المجلة . مطبعة فضالة ، 15 صفحة .

(3) ألقي هذا البحث في مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

(4) أعيد نشره ضمن كتاب (القاضي عياض بين العلم والأدب) للمؤلف ، الفصل الأول ، ص : 5 .

(5) نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

13 ــ لقمان الحكيم :

صدرت الطبعة الأولى بتطوان تحت عنوان (مجلة لقمان) في سنة 1964 . وصدرت الطبعة الثانية عن دار المعارف بالقاهرة في عام 1969 ، وتقع في 84 صفحة من الحجم الصغير . ويتناول الكتاب بالدراسة الموثقة اسم لقمان وأصله هل هو عربي أو عجمي وجنسيته ونسبه وعصره وبلده وصفاته وأخلاقه وحرفته ومولاه ، ويبحث في أول ما ظهر من حكمته وهل كان نبيا ، والصلة بينه وبين لقمان العادي ، مع ذكر لقمان العادي وابنه وقبر لقمان وحكمته ، ثم يتناول مجلة لقمان ، وأمثال لقمان ، ويعرض للقمان في القرآن مع تفسير الآيات الكريمة في الموضوع ، ثم لقمان في الحديث ، فلقمان في الشعر ، فلقمان في أمثال العرب ، فنوادر لقمان وأحكامه وحكمه ، وبعد تقديم وصايا لقمان لابنه (الوصايا الجامعة) يختم الكتاب بإيراد الوصايا المتفرقة .

14 ــ لوحات شعرية :

وهو أول ديوان ينشر للشاعر ، صدر عن دار كريماديس بتطوان في عام 1966 . ويقع في 98 صفحة من القطع الصغير ، وإخراجه أنيق والغلاف من رسم الفنان عبد السلام علي نور. ويضم الديوان بالإضافة إلى مقدمة بعنوان (بيانات شاعرية) أربعين قصيدة هذه عناوينها :

1 ــ آلام وأحلام .
2 ــ لسان حال الدولة الإسلامية « منشورة في كتاب : القدوة السامية » .
3 ــ هل أنا أديب ؟ أو نظرة في الأدب المغربي .
4 ــ صـــــورة .
5 ــ عربي حر (نشرت في القدوة الإسلامية) .
6 ــ من هو الغريب .
7 ــ الحماسة العصرية .

33 — العرش وحوادث سنة 1955 .

34 — مثنويــات حكمية .

35 — ثورة الملك والشعب .

36 — حقول الذرة في الصيف .

37 — منـاجاة .

38 — دمعة على فقيد الوطنية عبد العزيز بن إدريس .

39 — هـرب مصيري .

40 — الإنحنـاءة .

15 — من أدبنا الشعبي :

كان في الأصل بحثا نشر في مجلة (تطوان) العدد الخامس سنة 1960 استغرق الصفحات من 35 إلى 56 ثم صدر في كتيب . ويتضمن نص المقامة الحضرمية (لصاحبها عبد المهيمن الحضرمي : انظر الحلقة 26 من الذكريات) بعد تهذيبها ونص زجل لابن داود ، وبالاعتماد على أن المقامة توضح الموضوع فلم يقع التعرض بالبيان إلا لبعض الألفاظ أو التعابير العامية المحض التي لا تفهم دلالتها بغير التوقيف .

16 — أربع خزائن لأربعة علماء من القرن الثالث عشر :

نشر في مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة بالجزء الأول من المجلد التاسع سنة 1963 ، من صفحة 47 إلى صفحة 105 . والعلماء الأربعة هم : 1 — محمد ابن المدني كنون . 2 — سليمان بن محمد الشفشاوني . 3 — محمد العربي بن الهاشمي الزرهوني . 4 — أحمد الوداني الشنقيطي .

وصدرت الطبعة الأولى في كتاب مستقل عن لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة في عام 1964 .

17 ـ مدخـل إلى تاريخ المغرب :

صدرت الطبعة الأولى فيّ سنة 1944 والثانية في سنة 1951 والثالثة منقحة ومزيدة في سنة 1958 عن مكتبة الطالب بتطوان ، وطبع بمطبعة كريماديس بنفس المدينة . وهو دروس مبسطة في تاريخ المغرب في غاية الربط والضبط والتركيز مع جزالة اللفظ وحسن العرض وجمال الأسلوب ، يمهد لها بدرس عن جغرافية المغرب مع خريطة للمغرب تشمل حدوده الطبيعية التي تمتد من البحر الأبيض شمالا إلى نهر السينغال جنوبا . وينتهي الكتاب في طبعته الثالثة بدرس تحت عنوان (العودة المظفرة لجلالة المغفور له محمد الخامس في 16 / 11 / 1955) . ويقع الكتاب في 145 صفحة من القطع المتوسط .

18 ـ أدب الفقهاء :

ظهرت الطبعة الأولى في بيروت بلا تاريخ عن دار الكتاب اللبناني وتقع في 260 صفحة من القطع المتوسط ، وصدرت الطبعة الثانية في عام 1988 عن دار الثقافة بالدار البيضاء .

يقول المؤلف : (هذا بحث طريف في موضوع أدبي شائق ، طالما أغفله الكتاب وتجنى عليه النقاد ، وهو أدب الفقهاء ، وأعني شعرهم المغموز ظلما بالضعف ، والمضروب مثلا لكل شعر ليس بذاك . وقد قسمته قسمين : قسما تناولت فيه مادته وعناصره الأولى بحسب الزمن والأشخاص ، وقسما تعرضت فيه لموضوعاته وأغراضه على سبيل البسط والتعريف)[1] . ويضم الكتاب الموضوعات التالية :

1 ـ مادة أدب الفقهاء وأحكامه .

2 ـ مـدخل .

3 ـ نقـد كلمة الجزنائي .

4 ـ أبو الفضل بن النحوي .

5 ـ أدب الفقهاء باب واسع .

---

(1) المقدمة ص 3 .

6 — تحقيق في قول علي للشعر .

7 — عروة بن أذينة .

8 — عُبَيْد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود .

9 — مالك بن أنس .

10 — الشافعي .

11 — عبد الله بن المبارك .

12 — أحمد بن المعذل .

13 — القاضي عبد الوهاب .

14 — الخطابي .

15 — المعافى بن زكرياء .

16 — محمد بن داود الظاهري .

17 — ابن حـــزم .

18 — أبو الوليـد الباجي .

19 — أبو بكر بن العربي .

20 — القاضي عياض .

21 — ابن دريد .

22 — الزمخشري .

23 — أبو حيان الغرناطي .

24 — يعقوب الكندي .

25 — أبو بكر بن زهر .

26 — ابن الياسمين .

27 — الشريف الإدريسي .

28 — موضوعات أدب الفقهاء وأغراضه .

29 — شعر العاطفة والوجدان .

30 — الشعر الفلسفي .

31 ـ الأخلاق والآداب .

32 ـ المـدح .

33 ـ الهجـاء .

34 ـ الرثـاء .

35 ـ شعر السيـر أو الملاحـم .

19 ـ نظرة في منجد الآداب والعلوم :

صدرت الطبعة الأولى في عام 1973 عن معهد البحوث والدراسات العربية (قسم البحوث والدراسات الأدبية واللغوية) التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في القاهرة . وهو تصحيحات نشرها المؤلف في مجلة (دعوة الحق) المغربية على حلقات لكتاب (المنجد) للأب لويس معلوف وللملحق الذي صدر له تحت عنوان (المنجد في الآداب والعلوم) لمؤلفه الأب فرديناند توتل . وقد بلغ عدد التصحيحات اللغوية والدينية والتاريخية وغيرها التي تشمل المعارف العامة 678 تصحيحا تقع جميعها في 174 صفحة من الحجم الكبير . وقد ركز المؤلف بصفة خاصة على المواد الإسلامية والعربية والمغربية . وقد اتبع المؤلف ترتيب المنجد فسجل ملاحظاته على مواد الحروف أولا بأول وابتداء من حرف الألف إلى حرف الياء .

20 ـ أزهار برية :

صدرت الطبعة الأولى منه عن مطبعة ديسبريس بتطوان في عام 1976 ، ويقع في 196 صفحة من الحجم الكبير . وهو الكتاب الخامس ضمن المجموعات الأدبية للمؤلف التي تضم مقالاته ذات الطابع الأدبي والثقافي المنشورة في الصحافة . وهذه عناوين مقالاته :

1 ـ لغة العلوم في التدريس الجامعي .

2 ـ لمن تعطى جائزة نوبل (نقد للروائي اليوغسلافي إيفوندريتش صاحب رواية « جسر على نهر درينا » .

3 — ترجمة جديدة لرباعيات الخيام .

4 — القنداق وألفاظ أخرى .

5 — الديك الأحمر (قصة قصيرة) .

6 — عرض عن الأمير مصطفى الشهابي [1] .

7 — الترجمة أم التعريب .

8 — كتاب ليسقط الصمت (*لخناثة بنونة) .

9 — دفنا الماضي (رواية عبد الكريم غلاب . والمقال صيغ في شكل رسالة من كنون إلى الروائي) .

10 — ترجمة الواعظ البغدادي صاحب الوتريات .

11 — السلم المحروس .

12 — النقيب ابن زيدان وكتابه الرحلة المحمدية إلى سجلماسة .

13 — قادة الفتح الإسلامي : فتح جديد في كتابة التاريخ الإسلامي (لمؤلفه اللواء الركن محمود شيت خطاب) .

14 — الدكتور زكي المحاسني في ذمة الله .

15 — الكاف التمثيلية .

16 — اللهب المقدس .

17 — الزجل في الأندلس (لمؤلفه عبد العزيز الأهواني) .

18 — مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس (تحقيق ونشر د . أحمد مختار العبادي) .

19 — صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد (عرض للعددين 1 — 2 ، المجلد الخاص بسنة 1957) .

20 — تونس في مجمع اللغة العربية بالقاهرة [2] .

---

(1) ألقي بدار الفكر في الرباط في عام 1969 .

(2) ألقيت هذه الكلمة في حفل استقبال الأستاذ الشاذلي القليبي (الأمين العام لجامعة الدول العربية سابقا) العضو التونسي الجديد بمجمع اللغة العربية بالقاهرة يوم الثلاثاء 27 من ذي الحجة عام 1390 هـ — 22 فبراير 1971 .

21 ـــ الدرهم والدينار في الأدب العربي .

22 ـــ قصة بحث صغير .

23 ـــ أنغام (رسالة إلى الأديبة الإسبانية طرينا التي كانت تصدر مجلة للشعر مزدوجة اللغة باسم (المعتمد) في مدينة العرائش المغربية) .

24 ـــ الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية (لمؤلفه د . إبـراهيم السولامي) .

21 ـــ إيقــاعات الهموم :

صدرت الطبعة الأولى عن مطبعة سوريا بطنجة في عام 1401 هـ ، ويقع في 128 صفحة من القطع الصغير والغلاف من وضع الخطاط الفنان محمد المعلمين . ويفتتح بمقدمة تبين المدرسة الشعرية التي ينتمي إليها كنون وتحدد مفهوم الشاعر لوظيفة الشعر في الحياة . كما يضم الديوان في ختامه مقتطفات من مقالات نشرت عن الشاعر كنون خاصة بعد صدور الديوان الأول (لوحات شعرية) . وفيما يلي قصائد الديوان :

1 ـــ الظهير البربري .

2 ـــ رثاء شوقي .

3 ـــ أوهام أم حقائق .

4 ـــ سانحة .

5 ـــ الحمار والشيطان .

6 ـــ عامل الزمن .

7 ـــ يا ليتني أخطأتك .

8 ـــ يومـا فقط .

9 ـــ في المقبرة الإسلامية بطنجة .

10 ـــ للبنات ذوق .

11 ـــ النجــاح .

37 ــ بين الجمال والجلال .

38 ــ محـاسبــة .

39 ــ في سوق الحكمة .

40 ــ جدل صوفي .

41 ــ شعــر للأطفال .

22 ــ القاضي عياض بين العلم والأدب :

صدر ضمن سلسلة (المكتبة الصغيرة) عدد 42 في الرياض في عام 1983 . ويقع في 64 صفحة من الحجم الصغير وطبع طباعة راقية . ويمتاز هذا الكتاب بأنه يضم على ظهر الغلاف ترجمة المؤلف بخط يده . والكتاب مقسم إلى ثلاثة فصول :

1 ــ مساهمة المغرب في بناء الحضارة العربية والعلوم الإسلامية .

2 ــ القاضي عياض عالما .

3 ــ القاضي عياض أديبا .

23 ــ أشذاء وأنــداء :

صدرت الطبعة الأولى منه عن مطبعة البوغاز بطنجة في عام 1986 ويقع في 201 صفحة من القطع المتوسط ويتضمن الموضوعات التالية :

1 ــ العربية أمس واليوم (بحث ألقي في مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الدورة 44 ربيع الثاني 1398 ــ مارس 1978 .

2 ــ هل كان شارل مارتيل وراء وقف المد الإسلامي بأوربا ؟ .

3 ــ محمود حسن إسماعيل .

4 ــ سيداتي سادتي .

5 ــ أدبيات رمضان .

6 ــ نظرة في المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب .

7 ــ عناية السلطان مولاي سليمان بعلم التفسير .

8 ـ نقطة ضعف في تاريخ ابن حيان .

9 ـ سابق البربري من جديد .

10 ـ نبذة من شعر إبراهيم بن سهل ليست في نسخ دواوينه المطبوعة .

11 ـ حارس الكنيسة (قصة قصيرة نشرت في مجلة المناهل .

12 ـ بَنُومَرين أصلهم وموطنهم (نشر في مجلة (الدارة) التي تصدر بالرياض .

13 ـ الألفاظ والأساليب المستحدثة .

14 ـ رأي بشأن توحيد أسماء الشهور العجمية .

15 ـ الأزهـر المعجزة ـ الأزهر الجامعة ـ الأزهر الرباط : بمناسبة عيده الألفى .

16 ـ لماذا يشوه الغربيون تاريخ الإسلام وحضارته .

17 ـ أدبيات الدعـوة .

18 ـ السلطان مولاي عبد الحفيظ والحماية .

19 ـ صراع اللهجات .

20 ـ شاب تقدمي .

24 ـ الشيخ زروق دفين مصراتة :

أورد عبد الصمد العشّاب في البيلوغرافيا التي أعدَّها لمؤلفات كنون اسم هذا الكتاب منفصلاً عن مجموعة (المشاهير) وقد بذلت جهدًا في البحث عن هذه الطبعة في مكتبات الجماهيرية الليبية ، وكلفتُ مَن يواصل البحث عنها في دار الكتب الوطنية الليبية ومعلوم أن الجزء 23 من (ذكريات مشاهير المغرب) خاص عن الشيخ زروق ، ولا أعرف له طبعة ثانية .

25 ـــ أنجم السياسة وقصائد أخرى :

يضم الكتاب الذي صدر عن دار الثقافة بالدار البيضاء في عام 1989 نماذج من الشعر المغربي النادر موثقة ومحققة مع تعريف بأصحابها وتعليق خفيف على بعض أبياتها بما لابد منه لتوضيح معانيها . وهذه القصائد هي :

1 ـــ قصيدة أنجم السياسة لابن المالقي .
2 ـــ قصيدة الواعظ الأندلسي في مناقب عائشة الصديقية .
3 ـــ القصيدة الشقراطيسية في مدح المصطفى .
4 ـــ تائية أبي إسحاق الإلبيري .
5 ـــ نونية أبي الحسن المسفر .

ويقع الكتاب في 119 صفحة من القطع المتوسط .

ثانيا : في الدعوة والدراسات الإسلامية :

26 ـــ تفسير سور المفصل من القرآن الكريم :

بدأ نشره في حلقات متسلسلة في مجلة (لسان الدين)، ثم بعد صدور مجلة (الإرشاد) عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية والى كنون نشرَ هذا التفسير بها . وصدرت الطبعة الأولى عن دار الثقافة ؛ بالدار البيضاء عام 1981 ، وتقع في 429 صفحة من القطع الكبير . ويبتدئ التفسير من سورة الحجرات إلى الختم ، وهو أقسام ثلاثة (طوال) من الحجرات إلى عبس و (وسط) من عبس إلى الضحى ، و (قصار) من الضحى إلى الناس . وقد اعتمد المؤلف قراءة نافع برواية ورش ، ولكنه يسير إلى غيرها عند الاختلاف .

27 ـــ تفسير سورة يٰس :

صدر عن الشركة الجديدة ، مطبعة لويس بلا تاريخ وبدون ذكر مكان المطبعة

وبلا ترقيم للصفحات . وهي طريقة غريبة في الطبع ، ويظهر أن عبد الله كنون لم يشرف على طبع هذا الكتيب شخصيا ، وهو يقع في 24 صفحة من القطع المتوسط . وهو تفسير موجز لسورة يٓس موجه للطلبة والأميين الذين حفظوها من كثرة ما سمعوها .

28 ــ فضيحة المبشرين في احتجاجهم بالقرآن المبين :

صدرت الطبعة الأولى عن المطبعة المهدية في عام 1946 ويقع في 63 صفحة من القطع المتوسط . وكان الكتاب في الأصل مقال مطولا نشر في حلقتين في مجلة (الهداية الإسلامية) القاهرية في مجلديها التاسع والعاشر عام 1938 . وهو رد على كتيب صغير في نحو ثلاثين صفحة عنوانه (الأقاويل القرآنية في الكتب المسيحية) نشر أولا باسم مستعار (لأحد أفاضل الهند) ثم أعيد نشره وترويجه في المغرب بنفس العنوان وباسم المؤلف الحقيقي (جمس مغرو) حاكم مدينة لندن سابقا .

ويتضمن الكتاب فصلا عن بيان اعتقاد المسلمين في الكتب المنزلة وهل الكتاب المقدس منها ، ثم فصلا عن شهادة القرآن للكتب المنزلة ، وآخر عن إثبات القرآن لتلك الكتب . ويمضي الكتاب في هذا النسق فيتناول الموضوعات التالية : إقامة التوراة والإنجيل ، قبول المسلمين للتوراة والإنجيل ، نسخ القرآن للكتب قبله ، ضياع التوراة والإنجيل ، تحريف التوراة والإنجيل ، تتمة لهذا المبحث عند ابن حزم .

29 ــ مفاهيم إسلامية :

صدرت الطبعة الأولى منه عن دار الكتاب اللبناني ببيروت في عام 1964 . وهو الكتاب الوحيد الذي افتتحه المؤلف بالإهداء . وقد أهداه إلى (روح والده الذي علمه الاعتزاز بالإسلام .. عبد الصمد كنون) ، مع صورة للوالد . وهو أول كتاب في سلسلة الكتب الإسلامية التي أصدرها المؤلف . ويضم مجموعة المقالات التي نشرها في الصحف خاصة مجلة « لسان الدين » في فترة ما قبل الاستقلال (1956) وهذه المقالات هي :

1 ــ من هو التقليدي .

2 ــ للتجديد في الدين مفهوم شرعي محدود .

3 ــ المسلمون كلهم رجال دين وليس في الإسلام إكليروس .

4 ــ نكسة ومسخ .

5 ــ هذا من التوجيه .

6 ــ حكم الدين في تعلم المرأة .

7 ــ لا يجوز تقديس أحد من الناس وجعله فوق النقد والانقياد بلا حجة .

8 ــ الآيات التي تورد في غير موضعها .

9 ــ غربة الإسلام بين أهله .

10 ــ شهر القرآن .

11 ــ القرآن الكريم في ورقة .

12 ــ إنه دين الرحمة .

13 ــ من حديث الحج .

14 ــ مشيخة الطريق منصب لا يورث ولا يوليه السلطان .

15 ــ الإسلام والمدنية الحديثة .

16 ــ مبادئ النجاح في الإسلام .

17 ــ القائد المنتظر .

18 ــ شكوى في كل مكان .

19 ــ الضرائب المالية في الدولة الإسلامية .

20 ــ المرأة في الشريعة الإسلامية .

21 ــ جربوا الإســلام .

22 ــ منشور غريب .

23 ــ الزكاة ووجوب تنظيمها .

24 ــ الإسعاف في نظر الإسلام .

25 ــ هل ينبغي للمرأة المسلمة أن تحمل اسم زوجها .

26 ــ المجندون يتساءلون .

27 — الإمام العادل .

28 — الاقتصاد في نظر الدين .

29 — عطلة اليوم الآخر من شعبان .

30 — الذين سيوضع لهم الدستور .

يقع الكتاب في 137 صفحة من القطع الكبير .

30 — محاذي الزقاقيـة :

صدرت الطبعة الأولى منه بتطوان ، وصدرت الطبعة الثانية عن مطبعة أكدال بالرباط في عام 1955 . وهو دروس متوسطة في التشريع الإسلامي المغربي . وقد استوفى فيه المؤلف مسائل (لامية الإمام الزقاق) وحرر مشاكلها وجمع كل شيء ونظيره . وما كان مفردًا لا ثاني له ضَمَّ إليه ما يناسبه مما تقضي بذكره الضرورة ، وهو في علم القضاء والأحكام ، باعتباره محاذيا لمنظومة الزقاقية . وهو مقسم إلى الأبواب التالية :

1 — باب في الدعوى والقضاء .

2 — باب في الشهادة .

3 — باب في التوثيق .

4 — باب في اليمين .

5 — باب في الوكالة .

6 — باب في الرشد والسفه والحجر .

7 — باب في النكاح .

8 — باب في الطلاق والخلع واللعان .

9 — باب في العدة والنفقة والحضانة .

10 — باب البيع .

11 — فصل في التوليج والتصيير والتولية .

12 — فصل في الشفقة .

13 ــ فصل في الاستحقاق .

14 ــ باب في الكراء والإجارة والجعل .

15 ــ باب في المزارعة والمغارسة والمساقاة .

16 ــ باب في الشركة والقراض .

17 ــ باب في الزهد والضمان .

18 ــ باب في الهبة والصدقة والحبس .

يقع الكتاب في 82 صفحة من القطع الكبير [1] .

31 ــ القدوة السامية للناشئة المغربية :

صدرت الطبعة الأولى منه بتطوان ، وصدرت الطبعة الثانية عن دار النشر للجامعيين بدون تاريخ . وهو كتاب تربية وتهذيب عام ، كان في الأصل موضوعات مختصرة نشر معظمها في مجلة (السلام) التطوانية . ويضم الكتاب عشرين موضوعا منها ثلاث قصائد . وهي على الترتيب التالي :

1 ــ العزيمــة والثبات .

2 ــ الرجــولة .

3 ــ فاتح ابن 17 عاما .

4 ــ العلم المستعمل .

5 ــ دلني على السوق .

6 ــ أو تزني الحرة ؟ .

7 ــ يوم المصاف أو ليلة الزفاف .

8 ــ ويؤثرون على أنفسهم .

9 ــ لسان حال الدولة الإسلامية .

---

(1) ترجم الكتاب إلى اللغة الفرنسية .

10 ـــ لولايتكم أحب إلينا .

11 ـــ عربي حــر .

12 ـــ وازع الإســلام .

13 ـــ الديمقراطية الإسلامية .

14 ـــ القضاء في الإسلام .

15 ـــ الحرية والمساواة .

16 ـــ إنما المؤمنون إخوة .

17 ـــ الطريقة العملية للإصلاح .

18 ـــ المدينة الفاضلة .

19 ـــ قبوله من قلة الهمة .

20 ـــ النفس التواقة .

ويقع الكتاب في 80 صفحة من القطع المتوسط .

32 ـــ إسلام رائــد :

صدرت الطبعة الأولى منه في عام 1971 عن مطبعة كريماديس بتطوان ، والثانية في عام 1978 عن المطبعة الملكية بالرباط ، والثالثة في عام 1979 عن رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة . وجميع هذه الطبعات مصورة بالأوفست عن الطبعة الأولى باستثناء العناوين التي كتبت بالخط في الطبعات المصورة . والطبعة الرابعة عن دار الكتاب اللبناني ببيروت ودار الكتاب المصري بالقاهرة في عام 1979 . يقع الكتاب في 111 صفحة من القطع المتوسط . ويتضمن الموضوعات التالية :

1 ـــ هل أصبح الدين في العصر الحديث ظاهرة هامشية .

2 ـــ وهذه الحرب الصليبية التي يشنها الغرب على الإسلام ، ما هي دلالتها ؟ .

3 ـــ الإسلام أتى بكل المقومات الذاتية للشعوب .

4 ـــ الإسلام والقوميات .

5 ـــ الإسلام والمذاهب المعاصرة .

6 ــ االديمقراطية .

7 ــ الاشتراكية .

8 ــ الرأسمالية .

9 ــ الوجودية .

10 ــ تفتح الإسلام على الأفكار النافعة .

11 ــ قوة الإسلام نابعة من أصالته وريادته .

ويعد هذا الكتاب أحفل مؤلفات كنون ثراء بالأفكار والمواقف وأكثرها جرأة وشجاعة في إبداء الرأي في قضايا العصر ومشكلاته . (يضم غلاف الكتاب صورة للمسجد الوطني بكوالالمبور عاصمة ماليزيا بمأذنته الصاروخية ذات المصعد الكهربائي) .

33 ــ الإسلام أهدى :

تخلو الطبعة الوحيدة التي صدرت منه عن دار الطباعة الحديثة بالدار البيضاء من الإشارة إلى تاريخ الصدور . ويضم الكتاب الذي يقع في 120 صفحة من القطع المتوسط خمسة فصول مطولة كانت في الأصل عروضا ألقاها المؤلف في مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة وندوات رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة . وتعالج هذه الفصول الموضوعات التالية :

1 ــ الملكية الفردية في الإسلام .

2 ــ موقف الإسلام من الرق .

3 ــ الإسلام والمرأة .

4 ــ الاقتصاد الإسلامي .

5 ــ نظام الحكم في الإسلام . والبحوث ذات نفس أكاديمي تكشف عن سعة علم المؤلف ورسوخ قدمه في العلوم الإسلامية وتمكنه من معالجة قضايا المجتمع الإسلامي من موقع العالم ذي الرأي المتميز .

34 — جولات في الفكر الإسلامي :

صدرت الطبعة الأولى منه عن مطبعة الشويخ بتطوان في عام 1980 . ويقع الكتاب في 155 صفحة من القطع الكبير . ويشتمل على مجموعة من الأبحاث شارك بعضها المؤلف في مناسبات ومؤتمرات إسلامية . وهي :

1 — ذكرى نزول القرآن وتحقيق في تاريخه .

2 — الحديث وقيمته العلمية والدينية .

3 — الدين والشباب .

4 — مستقبل الإسلام بيد أبنائه .

5 — عقيدة المرشدة للمهدي بن تومرت .

6 — ابن رشد الفيلسوف فقيهًا .

7 — العمل ، هذه القاعدة المحكمة في مذهب الإمام مالك .

8 — دور علماء المغرب في الدعوة إلى الله قديما وحديثا .

9 — خطة الحسبة تنظيم اقتصادي اجتماعي ديني .

35 — تحركات إسلامية :

صدرت الطبعة الوحيدة منه عن دار الطباعة الحديثة بالدار البيضاء بلا تاريخ . وتقع في 254 صفحة من القطع المتوسط . وهو كتاب رحلات وسياحات فكرية وثقافية وإنسانية يضم موضوعات عن الزيارات التي قام بها المؤلف إلى بعض البلدان الإسلامية والأجنبية سجل فيها انطباعاته وآراءه في تدفق وسلاسة . والكتاب مقسم إلى الفصول التالية :

1 — مشاهداتي في الحجاز (1376 — 1957) .

2 — المؤتمر الإسلامي العام بمكة (1384 — 1965) .

3 — رحلتنا إلى الاتحاد السوفييتي (1388 — 1969) .

4 — من حديث الحج (1388 — 1969) .

5 ــ المؤتمر الإسلامي الدولي بماليزيا (1389 ــ 1969) .

6 ــ مؤتمر ممثلي الأديان في الاتحاد السوفييتي (1389 ــ 1969) .

7 ــ زيارتي للجزائر (1389 ــ 1969) .

8 ــ أيام في يوغسلافيا (1390 ــ 1970) .

9 ــ الملتقى السادس بالجزائر للتعرف على الفكر الإسلامي (1392 ــ 1972) .

10 ــ المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي (1395 ــ 1975) .

ويقول المؤلف في المقدمة : (إنها في الحقيقة ليست رحلات بالمعنى المتعارف ، فأنا قلما أذكر فيها ما تعود أصحاب الرحلات أن يذكروه ، ولكنها تنقلات لِغَايَةٍ شريفةٍ تهم كل مسلم غيور ، هي رصد هذا المد الإسلامي الصاعد من أقصى الشرق إلى بلاد المغرب ، وتوجيهه نحو خدمة الأهداف العليا لدعوة الإسلام) .

36 ــ معــارك :

صدرت الطبعة الأولى منه عن مطبعة ديسبريس بتطوان بدون تاريخ . ويضم الكتاب مقالات نشرها المؤلف في صحف : الحرية ، الأمة ، الوحدة المغربية ، منبر الشعب ، الميثاق ، ومجلة لسان الدين . وقد صنف المؤلف هذه المقالات فجعل ما يتعلق منها بالقضية المغربية تحت عنوان : المعركة الوطنية ، وما يتعلق بالقضية الفلسطينية تحت عنوان : معركة فلسطين ، وما يتعلق بالدفاع عن جامعة القرويين والتعليم الديني ، وما يتعلق بقضية التعريب تحت عنوان : معركة التعريب ، وما يتعلق بقضية محاكمة البهائيين والهجوم على العلماء من طرف أنصارهم تحت عنوان : معركة البهائية ، وما يتعلق بمحاربة انتشار الخمر تحت عنوان : معركة الخمر . ويضيف المؤلف في المقدمة : (وثم معارك أخرى ثانوية ضربنا عنها صفحا واكتفينا بهذه التي تمس العقيدة والكيان السياسي والقومية والأخلاق) .

ويقع الكتاب في 292 صفحة من القطع المتوسط ، ويضم الموضوعات التالية :

في المعركة الوطنية :

1 ـــ ما هذا الاستفزاز في هذه الظروف ؟ .

2 ـــ هذه هي الديمقراطية ، فأين الديمقراطيون ؟ .

3 ـــ الخلاف ذو الطرف الواحد .

4 ـــ حكم محكمة لاهاي .

5 ـــ من أسرار ذكرى 30 مارس بطنجة .

6 ـــ رسالة جلالة الملك .

7 ـــ قضية المغرب في الصحافة الفرنسية .

8 ـــ من أين للقواد تولية الملوك وعزلهم ؟ .

9 ـــ لا خطة إلا المقاومة .

10 ـــ القضية المغربية .

11 ـــ نداء في 20 ـــ 8 ـــ 1954 .

12 ـــ شريط الذكرى المؤلمة .

13 ـــ جزى الله الحوادث .

14 ـــ الذكرى المشئومة تعود .

15 ـــ ماذا سيكون موقف غرانفال .

16 ـــ لقد قال المغرب كلمته ، فكفى تجاهلا يا مسيو غرانفال .

17 ـــ القضية المغربية وأطوارها الأخيرة .

18 ـــ شريط الحوادث الهامة التي تتابعت في المغرب بعد 20 غشت 1955 .

19 ـــ بيان حول مجلس العرش .

20 ـــ المغرب الضحية .

21 ـــ المغرب وإسبانيا .

22 ـــ عرض قضيتنا على محكمة لاهاي .

23 ـــ الصحراء وحكم سليمان .

24 ـــ الجامعة العربية تحيز وانحراف .

25 ـــ خطاب إلى المجاهدين .

في معركة فلسطين :

في معركة القرويين والتعليم الديني .

في معركة التعريب .

75 ــ لماذا نطالب بالتعريب ؟ .

76 ــ تعويض الصحافة الأجنبية ودلالته .

77 ــ الظهير البربري والفَرْنَسَة في معركة البهائية .

لمن تدق الأجراس ؟ [4 مقالات تحت هذا العنوان ، وهي :

78 ــ دفاع عن البهائية أم محاربة الإسلام ؟ .

79 ــ النشــوة .

80 ــ حكم على البهائيين ولم يحكم على البهائية .

81 ــ النفاق والجهل] .

82 ــ البديــل .

83 ــ المجلس الأعلى يلغي حكم محكمة الناظور على البهائيين .

في معركة الخمر :

84 ــ على هامش عريضة .

85 ــ رطبوا في مبالغتكم .

86 ــ الحليب والخمر والبترول .

87 ــ الخمر ينتشر انتشارا فظيعا في جميع الأوساط .

37 ــ شئون إســلامية :

يضم الكتاب الذي يقع في 138 صفحة من القطع الكبير موضوعات سياسية تعنى بالأوضاع في العالم الإسلامي . وتعتبر مقدمته ذات أهمية في الكشف عن الاتجاه السياسي لدى كنون ، إذْ جاء فيها بالحرف : (ما كتبناه ــ ونكتبه ــ في الحقل السياسي مما يتعلق بالمجتمع والحياة الدينية والاقتصاد والحكم في وطننا الإسلامي الكبير ، هو شيء كثير لا نحصيه ، وبعضه مما هو منشور موقع باسمنا الصريح ، وبعضه باسم مستعار [1] ، ومنه ما نشرناه بغير توقيع أصلا ، حتى إذا أغفلنا لا

---

(1) كان عبد الله كنون يوقع بالأسماء المستعارة التالية : أبو سالم ، أبو الوفاء ، نون ، عبده ، أبو محمد . يقول كنون في رسالة خاصة إلى المؤلف : (الأسماء التي كتبت بها على سبيل الاستعارة هي كثيرة ، وقد كتبت بالواحد منها مرة واحدة فقط ، ولكن منها ما استعملته كثيرا .

يكاد يهتدي إليه أحد ، على أننا نفتقد العديد منه ومن الذي يحمل التوقيعين معا) .
وفيما يلي عناوين موضوعات الكتاب الذي صدرت طبعته الأولى عن دار الطباعة الحديثة بالدار البيضاء بلا تاريخ :

1 ـــ بادرة خير (عن السماح برفع الأذان بالعربية في تركيا) .
2 ـــ النهضة الإسلامية في سيلان .
3 ـــ وإيران تمنع الخمر في حفلاتها .
4 ـــ وإيران تحرر نفسها .
5 ـــ تونس تخوض معركة الحرية .
6 ـــ لبنان يتحرك .
7 ـــ تدويل القدس .
8 ـــ الانسحاب من الأمم المتحدة لا يكفي .
9 ـــ إلى أين تتجه السياسة العربية .
10 ـــ امتحان الحركة الإسلامية في باكستان .
11 ـــ أمة تنشد الحياة .
12 ـــ الاستقلال الإداري لتونس .
13 ـــ الجزائر في الميدان .
14 ـــ نحن العرب .
15 ـــ ما هو مصير 180 طفلا أكادِريا أشخصوا إلى بلجيكا ولم يعودوا ؟ .
16 ـــ قضية اتحاد إرتيريا والحبشة .
17 ـــ محنة الإسلام في يوغوسلافيا .
18 ـــ الاستفتاء في نظر الشرع .
19 ـــ باكستان تشق طريقها .
20 ـــ المسلمون في الفلبين .
21 ـــ العبرة من انقلاب العراق .
22 ـــ المسلمون في قبرص .

23 ــ المسلمون في كوريا .

24 ــ متى تكون لنا سياسة إسلامية ؟ .

25 ــ مقاومة الحركة الإسلامية في باكستان .

26 ــ سيسنيروس القرن العشرين : درس جديد من المغرب .

27 ــ طائرة الكرافيل التي لم تعمد بعد .

28 ــ الحياد الضالع .

29 ــ العدالة في سويسرا .

30 ــ الدين والصعود إلى القمر .

31 ــ ظهر الآن سِرُّ التآمر على الخلافة الإسلامية .

32 ــ جزاء سنمار .

33 ــ من أجل أن تكون أفريقيا قارة إسلامية .

34 ــ مؤتمر الوالدية : نهاية طيبة .

35 ــ أوغندا وإسرائيل : ولا تزال تطلع على خائنة منهم .

36 ــ تفوقهم علينا حتى في الدين .

37 ــ مستقبل الإسلام بيد أبنائه .

38 ــ نعوذ بالله من الحور بعد الكور .

39 ــ دعوة إلى التواضع .

42 ــ جيشنا الباسل على مشارف الجولان .

43 ــ تحية لتركيا الشقيقة ، وضرب مثل لبقية الشقيقات .

38 ــ منطلقات إسـلامية :

صدرت الطبعة الأولى عن مطبعة سوريا بطنجة بدون تاريخ ، وتقع في 192 صفحة من القطع المتوسط ، وتضم الموضوعات التالية :

1 ــ الحوار الإسلامي المسيحي .

2 ــ الرجوع إلى وصاية الأولياء .

3 ـــ المرأة المسلمة وامكانياتها في التطور .
4 ـــ ضد الشريعة الإسلامية .
5 ـــ مؤامرة تنظيم النسل .
6 ـــ المرأة العربية والنهضة .
7 ـــ من دروس الهجرة .
8 ـــ الهجرة الدائمة .
9 ـــ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء .
10 ـــ الصلاة والعمل الوطني .
11 ـــ الزكاة والاشتراكية .
12 ـــ تحية لربيع الأنوار .
13 ـــ مولد الهدى والنور .
14 ـــ مجاوزة الحدود .
15 ـــ الجنة والنار .
16 ـــ فلم (الرسالة) يفتح الأبواب .
17 ـــ البنك الإسلامي متى ؟ .
18 ـــ المعراج رحلة إلى السماء .
19 ـــ السياسة في الإسلام أصل .
20 ـــ من أجل الحضور الإسلامي في البرلمان .
21 ـــ ميزاننا أقوم .
22 ـــ مدرسة الإحسان .
23 ـــ لنؤمن برمضان .
24 ـــ حرمة رمضان .
25 ـــ في الإذاعة والتليفزيون .
26 ـــ الحج في أربعة أيام .
27 ـــ دور الإعلام في الحج .

28 ــ طلبتنا ودراسة الفلسفة .

29 ــ أحيوا الحسبة .

30 ــ بين التجديد والتغيير .

31 ــ حاجة المسلمين إلى دستور إسلامي .

32 ــ أثر تطبيق الشريعة الإسلامية في استتباب الأمن واستقرار المجتمع .

33 ــ أهم فقرة في الدستور .

34 ــ حول ترجمة القرآن .

35 ــ إذا قرأ الإنسان القرآن فإنه يخشع أمام العظمة الإلهية . وهي موضوعات نشرت في جريدة (الميثاق) .

39 ــ على درب الإسلام :

صدرت الطبعة الأولى منه في عام 1972 عن مطبعة كريماديس بتطوان ، والطبعة الثانية في سنة 1983 عن دار الثقافة بالدار البيضاء . ويقع الكتاب في 196 صفحة من القطع المتوسط ، في طبعته الأولى ، وفي 170 صفحة في طبعته الثانية . ويضم الكتاب الموضوعات التالية :

1 ــ هؤلاء أسلموا .

2 ــ إسلام رائد .

3 ــ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

4 ــ الحلال والحرام .

5 ــ غربة الإسلام .

6 ــ ماضي المرأة المسلمة وحاضرها .

7 ــ موقف المرأة المغربية من الدين .

8 ــ المرأة المظلومة والمساواة المزعومة .

9 ــ الإسلام أقوى رابطة ، فلماذا لا يتحد المسلمون ؟ .

10 ــ ملكية وجمهورية .

11 ــ العمل الفدائي في نظر الإســلام .
12 ــ وكيف أخاف ما أشركتم ؟ .
13 ــ آيات قرآنية تورد في غير موردها .
14 ــ التبشير ودلالته .
15 ــ القرآن وحرية الفكــر .
16 ــ الدين والعقل .
17 ــ الإســلام والتطور .
18 ــ هل ندع الشباب يجرب ؟ .
19 ــ الدعوة إلى الإسلام .

وقد نشرت هذه الموضوعات في الصحافة .

40 ــ الرد القرآني على كتيب (هل يمكن الاعتقاد بالقرآن ؟) .

صدرت الطبعة الأولى عن دار الكتاب اللبناني ببيروت في عام 1982 ويقع في 166 صفحة من القطع المتوسط وحروفه من البنط الصغير . وكان في الأصل سلسلة مقالات نشرت في مجلة (دعوة الحق) المغربية . وهو رد نقدي تحليلي ذو منهج علمي للكتيب الذي صدر بعنوان (هل يمكن الاعتقاد بالقرآن) ؟ ــ 70 صفحة ــ لمؤلفه م . ر . رحماتوف كاتب اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في جمهورية طاجيكستان السوفييتية سابقا ، والسفير الحالي للاتحاد السوفييتي بموريتانيا . وقد وصل المؤلف هذا الكتيب في ظرف واحد مع نشرة تحمل اسم (بريد الاتحاد السوفييتي) تصدرها السفارة الروسية في الكاميرون ، وهما معا محرران باللغة الفرنسية والكتيب من نشر وكالة نوفوستي للأنباء بموسكو .

وقد تتبع المؤلف فصول هذا الكتيب وفنَّد ما فيه من التهم والأباطيل فصلا فصلا . وبذلك يكون عمله في هذا الكتاب جامعا بين الترجمة عن الفرنسية وبين النقد الموضوعي النزيه .

ويضم الكتاب الفصول التالية وقد اشتقت عناوينها من عناوين الكتيب المردود عليه :

1 ـــ حاشية .

2 ـــ المقدمة .

3 ـــ ما هو القرآن ؟ .

4 ـــ القرآن والعمل .

5 ـــ كيف خلق الله العالم .

6 ـــ القرآن ضد السلم والصداقة بين الشعوب .

7 ـــ القرآن والنساء .

8 ـــ من هم المستفيدون من الصلوات .

9 ـــ عيد الأضحى .

10 ـــ عيد المولد .

11 ـــ تناقضات القرآن .

12 ـــ ماهي المصالح الممنوعة في القرآن .

13 ـــ محاولات فاشلة لإصلاح القرآن .

14 ـــ لا ، لايجب الاعتقاد بالقرآن .

وهذا الكتاب إلى جانب كتاب (فضيحة المبشرين) [1] يمثلان نموذجا رفيعا للكتب العلمية التي تفند مزاعم المبشرين والملحدين وتنتصر للحقائق الإسلامية .

41 ـــ حب الرســول للنساء :

صدر ضمن مطبوعات الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي عن مطبعة النجاح الجديدة في الدار البيضاء في عام 1988 ، ويقع في 75 صفحة من القطع المتوسط . وينطلق الكتاب من الحديث الشريف : (حبب إلـيّ من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة) . وكتب المؤلف مدخلا ذكر فيه أن فكرة هذا

---

(1) انظره في موقعه من هذا الكشاف .

الكتاب راودته بمناسبة صدور العدد الممتاز الخاص عن ذكرى الهجرة من مجلة (الرسالة) في عام 1359 (1939) . الذي تضمن مقالا لتوفيق الحكيم بعنوان (المرأة في شباب الرسول) .

ويعالج المؤلف الموضوعات التالية :

1 ـــ الكلام على حديث حبّب إليّ من دنياكم .
2 ـــ لم يعلق قلبه ﷺ بامرأة قبل الزواج .
3 ـــ زواجه ﷺ بخديجة .
4 ـــ زواجه بسودة بنت زمعة .
5 ـــ زواجه بعائشة .
6 ـــ زواجه بحفصة .
7 ـــ زواجه بأم سلمة .
8 ـــ زواجه بزينب بنت جحش .
9 ـــ زواجه بأم حبيبة .
10 ـــ بقية أزواجه اللائي توفي عنهن .
11 ـــ معاملته ﷺ لأزواجه .
12 ـــ الحب غير العشق .

42 ـــ معسكر الإيمان يتحدى :

صدر بعد وفاة المؤلف عن مطابع البوغاز بطنجة في عام 1989 . ويقع في 226 صفحة من القطع المتوسط . ويضم مجموعة من المقالات معظمها نشر في (الميثاق) ، وهي حسب الترتيب التالي :

1 ـــ صحفي فرنسي يقول : يقظة الإسلام تهدد الغرب .
2 ـــ الإسلام لا يهدد الغرب بل ينقذه .
3 ـــ حوار مع الإسلام .

29 ـ التنديد بالمجرمين النازيين لا يكفي .

30 ـ وقـاحة .

31 ـ المسلمون في الهند والمسلمون في إسرائيل .

32 ـ استجداء الاعتراف ونتائجه .

33 ـ هل هو تخطيط أم إيحاء .

34 ـ العرب لا يريدون إنقاذ فلسطين .

35 ـ معادلة البيضة والدجاجة .

36 ـ توطيد السيادة الإسرائيلية .

37 ـ تمرد في العرين .

38 ـ هل أثر الحكم العثماني على الروح الحربية والحصافة .

39 ـ السياسة عند العرب .

40 ـ أما آن لنا أن نعتبر .

41 ـ الذئب والحمـل .

42 ـ إلى متى نعالج أمراضنا بالمسكنات .

43 ـ الموقف المطلوب من كل العرب .

44 ـ السلاح الصدئ .

45 ـ مالا يدرك كله لا يترك بعضه أوجله .

46 ـ تبرير الخطأ للتمادي فيه .

47 ـ خرج القريب وبقي الغريب .

48 ـ رجال في مستوى المسئولية .

49 ـ الأردن كانت واقعية .

50 ـ المجرم يقتل [1] .

51 ـ توقعات نرجو أن تتحقق وأخرى بالعكس .

---

(1) انظر نص هذا المقال في الملاحق .

43 ــ نفي قول سخيف على الجناب المحمدي الشريف :

صدر عن شركة الطبع والنشر بالدار البيضاء بلا تاريخ ويقع في 31 صفحة من القطع المتوسط . ويقول المؤلف : (إنه تقييد مفيد في إبطال ماروي من أن النبي ﷺ كان له ولد من خديجة رضي الله عنها اسمه عبد العزى أخرجه الإمام البخاري في التاريخ الصغير عن إسماعيل بن أبي أويس وفي رواية لغيره اسمه عبد مناف .. وقد رأيت تصحيحا للعقيدة وغيرة على الجناب المحمدي الشريف أن أنفي هذا التقوّل السخيف بالحجة والبرهان اعتمادا على أقوال أهل هذا الشأن ، من علماء الحديث ومنهجهم في الرواية والتحديث) .

ثالثا : في تحقيق التراث ونشره

44 ــ رسائل سعدية :

صدرت الطبعة الأولى منه عن معهد مولاي الحسن وطبع بدار الطباعة المغربية بتطوان في عام 1954 ، ويقع في 264 صفحة من القطع المتوسط . وأكثر هذه الرسائل صادر عن السلطان أبي العباس أحمد المنصور الذهبي (986 ــ 1012 هـ) .

وتضم المجموعة 33 رسالة وظهيرا من إنشاء عبد العزيز الفشتالي ونسيبه محمد ابن علي ومجموع الرسائل 62 رسالة . ويقول كنون : (إنَّ تسميتها رسائل إنما هي من باب التوسع والاكتفاء . وإن كان لي ما أقوله عنها فهو أن طبقتها تختلف باعتبار مواضيعها وكتابها فبعضها يرقى في البلاغة إلى أن يكون مثالا يحتذى من حيث الانسجام والتلاعب بالألفاظ والتصوير وصدق التعبير ، وبعضها الآخر يسفّ حتى لا يعدو أن يكون هو التكلف بعينه ، وجميعها من النثر المسجوع الذي كان هو الأسلوب الكتابي المرموق في ذلك العصر ..) [1] .

---

(1) رسائل سعدية . المقدمة .

45 ـ ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث :

من منشورات معهد مولاي الحسن للأبحاث بتطوان ، صدرت الطبعة الأولى عام 1958 دون ذكر المطبعة وتقع في 269 صفحة . وصدرت الطبعة الثانية في عام 1965 عن مكتبة الإنجلو المصرية بالقاهرة ، وتقع في 197 صفحة من الحجم الكبير . وتضم المقدمة تصحيحات قيمة لأخطاء وقع فيها من كتب عن يوسف الثالث ، وينتهي إلى التأكيد على أن صاحب الديوان هو يوسف الثالث حفيد الغني بالله وهو الثالث عشر من ملوك بني الأحمر النصريين أصحاب غرناطة . وكانت ولايته سنة 1407 م .

46 ـ عجالة المبتدي للأنساب للحازمي :

مختصر في أنساب العلماء والرواة وضبطها حققه كنون ونشره هدية من مجلة (لسان الدين) .

47 ـ ترتيب أحاديث الشهاب في المواعظ والآداب للقاضي عياض :

نشر في مجلة (لسان الدين) في فصول متتالية ، ثم صدر ضمن الهدية السنوية للمجلة .

48 ـ تلقين الوليد الصغير لعبد الحق الإشبيلي :

واشتهر المؤلف بابن الخراط ، وقد جمع فيه لولده ما يُحْسَنُ حفظُه من أحاديث العبادات والآداب . نشره كنون كهدية من مجلة (لسان الدين) .

49 ـ قواعد الإسلام :

طبع عن مخطوطة أصلية محفوظة بالخزانة الكنونية بطنجة ، وهو من آثار القاضي عياض . يقع في 40 صفحة من الحجم المتوسط ، صدر عن مجلة (لسان الدين)

هدية منها في ختام سنتها السابعة (1373 — 1953) . ورقم الكتاب في (مكتبة عبد الله كنون) بطنجة : 4758 .

50 — شرح الأربعين الطبية :

مستخرجة من سنن ابن ماجة وشرحها عبد اللطيف البغدادي ، وهي من عمل تلميذ البغدادي محمد بن يوسف البرزالي ، وصدرت هدية من مجلة (لسان الدين) في سنتها الخامسة (1370 — 1951) ، وتقع في 54 صفحة .

وصدرت الطبعة الثانية بالقاهرة في عام 1972 .

وصدرت الطبعة الثالثة من وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية (مطبعة فضالة بالمحمدية) في عام 1979 ، وقد قمت بمراجعتها وتصحيحها والإشراف على طبعها . وتقع في 65 صفحة من القطع المتوسط . وتمتاز بفهارس مفصلة للأحاديث المشروحة وأبوابها ، وللأمراض والمفردات الطبية ، ولمنافع الأشياء التي ذكرها المؤلف أو مضارها ، ولأسماء مؤلفات البغدادي المذكورة في الشرح ، ولبعض التعاريف التي ذكرها المؤلف .

51 — الأنوار السنية في الألفاظ السنية :

لمؤلفه أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي ، طبع عن مخطوطة أصلية بالمكتبة الكنونية بطنجة ، ويقع في 72 صفحة من الحجم المتوسط . وصدر هدية من مجلة (لسان الدين) في سنتها الثالثة (1368 — 1949) .

52 — رسالة نصرة القبض للمسناوي :

عنوانها الكامل : (نصرة القبض والرد على من أنكر مشروعيته في صلاة الفرض) نشرها عبد الله كنون في (مجلة لسان الدين) ، ثم نشرت في كتيب هدية من المجلة في ختام سنتها الثانية .

53 ــ شرح ميارة على الجُمَل :

الجُمَل جمع جُمْلَةٍ ، وقد سُمي به نَظْمٌ من بحر الطويل على قافية اللام لابن المجراد السلوي في أحكام الجمل في النحو . واشتهر هذا النظم وشرحه كثيرون وكان يدرس إلى عهد قريب . حققه كنون ونشر مسلسلاً في مجلة (لسان الدين) .

54 ــ التيسير في صناعة التَّسْفِير :

لمؤلفه ابن المجاهد : أبي بكر بن إبراهيم اللخمي الإشبيلي نزيل فاس . نشر في مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد بالمجلدين 7 ــ 8 (مزدوج) سنة 1959 ــ 1960 . في 42 صفحة .

55 ــ مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا :

لمؤلفه الوزير صاحب القلم الأعلى أبي فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي . حقق منه كنون مختصر الجزء الثاني وقدم له ووضع فهارسه ويلي هذا المختصر ذيلٌ يحتوي على نبذ تاريخية وقصائد شعرية من العصر المؤرخ . والكتاب الذي يقع في 331 صفحة من القطع الكبير والصادر في طبعته الأولى عن مطبعة المهدية بتطوان في عام 1964 هو من منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط بمساهمة المركز الجامعي للبحث العلمي تحت إشراف معهد مولاي الحسن للبحوث .

والمراد بالملوك الشرفا ملوك الدولة السعدية التي حكمت المغرب من سنة 915 هـ إلى 1069 هـ . والمؤلف كان وزيرا للسلطان أبي العباس أحمد المنصور المعروف بالذهبي وقد توفي سنة 1032 هـ .

56 ــ أربعون حديثا في فضل القرآن وتعلمه وتعليمه وتلاوته :

هو أول حلقة في سلسلة (سبيل المؤمنين) التي كانت رابطة علماء المغرب قدٍ

قررت إصدارها بانتظام . وصدر بلا تاريخ وبلا إشارة إلى المطبعة . ولعله صدر عن مطبعة الرابطة بطنجة التي تطبع (الميثاق) و (الإحياء) وذلك على أثر صدور هذه المجلة الأخيرة في مطلع الثمانينيات . ويقع في 28 صفحة من القطع الصغير .

57 ــ أخبار الصغار :

للحافظ أبي عبد الله محمد بن مخلد الدوري العراقي . نشر في العدد الثالث من مجلة (الأكاديمية) سنة 1986 الصادرة عن أكاديمية المملكة المغربية . وصدر في فصلة مستقلة عن المجلة .

58 ــ كشف الشبهات :

نشر في مجلة (لسان الدين) في فصول متتالية ، ثم صدر ضمن الهدية السنوية للمجلة .

59 ــ الجيش المجلب على المدهش المطرب [1] :

نسخة مرقونة على الآلة الكاتبة تقع في 138 صفحة من الحجم المتوسط ، تحمل رقم 4768 في مكتبة عبد الله كنون بطنجة . وهو في الرد على كتاب (المدهش المطرب) للقاضي عبد الحفيظ الفاسي يطعن فيه في نسب آل كنون . ويقول المؤلف في المقدمة : (.. ولذلك سميت هذا الكتاب بالجيش ، وقسمته تقسيم الخميس ، ليقوم كل قسم منه بمكافحة نوع من التلبيس ، فتكفلت المقدمة بذكر متولي هذه الفرية ، وما كتبه فيها بسوء نية ، والميمنة برد ما لفقه صاحب المدهش المطرب من الطعن المتهافت المضطرب ، والميسرة في رد سبابه وفحشه ، وأكله للحوم

---

(1) مطبوعة على الآلة الكاتبة . قرأتها في مكتبة عبد الله كنون بطنجة .. وهي أولى أن تصنف ضمن قسم (الأدب واللغة والدراسات التاريخية) من هذا الكشاف لعلاقتها بالتحقيق التاريخي ...

الأموات ونهشه ، والقلب بإثبات نسب آل كنون بالحجج المجلية للشكوك والظنون ، والساقة بذكر موافقات العلماء الأعلام التي هي وحدها شهادات قاطعة في هذا المقام .

ثم يضيف المؤلف (.. يعلم الله أن قضية النسب لا تهمني بهذه الدرجة كما قلت في خطبة هذا الكتاب إنما يهمني ألا أفرط في جنب الله وألا أكون ممن يؤثر دنياه على أخراه ، وألا أجيء يوم القيامة ، وأنا أقول : يا محمد أنا فلان بن فلان فيقول لي عليه السلام : أما النسب فأعرف ، وأما العمل فلا أعرف ..) . ثم ينهي المؤلف مقدمته بقوله : (... ورغم ذلك فإني مع الشيخ بن مشيش رحمه الله في قوله ، اللهم ألحقني بنسبه ، وحققني بحسبه ..) .



الفصل الخامس

عبد الله كنون في آثار معاصريه

عرض لترجمة حياة عبد الله كنون عدد من المؤلفين والباحثين من المغرب والبلاد العربية . وقد تباين مستوى تناول هؤلاء الدارسين لشخصية كنون تبعا لمضمون مؤلفاتهم وقيمة دراساتهم . وقد قمت بجرد الكتب التي ورد فيها تعريف بحياة كنون وذكر لأعماله . ولابد من أن أسجل ابتداء أن كاتبا عربيا واحدا كتب عن عبد الله كنون وعرف به وقدمه إلى القراء العرب في ثلاثة من أهم كتبه ؛ فقد ترجم أنور الجندي لكنون في كتبه الثلاثة التالية :

1 ــ الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا .
2 ــ مفكرون وأدباء من خلال آثارهم .
3 ــ أعلام القرن الرابع عشر الهجري .

وكانت تربط كنون بالجندي علاقة حميمة وتقدير متبادل . وقد رد له كنون التحية فكتب عنه في كتابه : (العصف والريحان) فصلا تحت عنوان : (أنور الجندي مؤرخ الأدب العربي المعاصر) ــ ص : 27 .

وقد راعيت في تقديم هذه التراجم صدور الكتاب في طبعته الأولى .

1 ــ القباج ، محمد بن العباس : **الأدب العربي في المغرب الأقصى :**

خصص لترجمته 8 صفحات تبدأ من صفحة 36 إلى صفحة 43 . وتعتبر هذه الترجمة هي الأولى من نوعها عن عبد الله كنون ؛ فقد صدر الكتاب في طبعته الأولى في سنة 1929 ، ونشر صورة في صفحة كاملة لكنون باللباس المغربي . ويقول القباج عن كنون : (إنه من خيرة شباب الأمة المغربية ومن دعاة الفضيلة وأنصار الهداية الإسلامية ، ويمتاز بالذكاء الفطري ورقة الطبع وكرامة الخلق وصفاء الضمير ، وإن له مقامه بين العاملين لصالح أمتهم ونفع وطنهم بكتابته المتوالية في الصحف وشعره الذي يمثل العواطف الثائرة في نفوس الشباب) .

ويورد بعض النماذج من شعره ويسجل عليه (بعض عثرات وطغيانات — وإن للقلم لطغيانا — إذا هو تنبه إليها كان أنبغ أديب أنجبه وطن مغربي ذو مجد أثيل) . ويشير القباج إلى أن كنون (يشتغل بوضع مؤلفات قيمة أهمها كتاب (ذكريات مشاهير المغرب) جمع فيه أكثر من 500 ترجمة لعظماء المغرب ، وكتاب (النبوغ) الذي ألم فيه بمن نبغوا بهذا القطر) .

2 — العقـاد ، عباس محمود : **بين الكتب والناس** [1] .

يضم الكتاب مقالة تحت عنوان (الأدب في المغرب) تغطي الصفحات من 573 إلى 579 من طبعة دار الكتاب العربي ببيروت الصادرة في سنة 1966 . ويعرف العقاد بكنون تعريفا مركزًا ، ويشيد بأدبه وعلمه ، ويقول عن كتب كنون التي تلقاها هدية منه : (قرأت طرفا من هذه الكتب وتصفحت طرفا آخر ، ولا حاجة بي إلى دلائل غيرها للجزم بأن المغرب الأقصى في نهضة مباركة وأن الكتابة فيه قد نشطت من عقال الجمود واستقامت على الجادة السوية في خطوات تتقدم ولا تزال مبشرة باطراد التقدم) . ثم يقول : (وفي كتب الأستاذ كنون أكثر من علامة واحدة من علامات الطمأنينة والأمل ، ففيها أدلة كثيرة على اتصال النهضة المغربية حيث ينبغي أن تتصل بالماضي وبالحاضر : فيها عناية بإحياء الذكريات الماضية والأعلام المنسية ، وفيها عناية بمتابعة النهضات العربية الحاضرة) . ويختم العقاد مقالته عن كنون بقوله : (إن الأستاذ العلامة قد أولاني بهديته النفيسة سرورين مضاعفين : سرور القارئ بمتعة ما يقرأ ، وسرور المتفائل بمستقبل الأمة الشقيقة في نهضتها المباركة ، وكلاهما مشكور ومقدور ومبرور) [2] .

---

(1) صدرت الطبعة الأولى في الأربعينيات ، لأن مقالات هذا الكتاب نشرها العقاد في أواخر الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات .

(2) طبيعي أن يكون هذا المقال قد نشر ابتداء في مجلة أو صحيفة مصرية . ولكن الكتاب لا يشير إلى المصدر الأصلي .

3 ــ ابن سودة : عبد السلام : **دليل مؤرخ المغرب الأقصى** :

يقدم ملخصات مركزة لعدد من مؤلفات كنون ، وهي (رسائل سعدية) ص : 101 ، و (مدخل إلى تاريخ المغرب) ص 159 من الجزء الأول من الطبعة الثانية الصادرة عن دار الكتاب بالدار البيضاء في عام 1960 ، والغريب أن المؤلف لا يذكر أية حلقة من سلسلة (مشاهير رجال المغرب) في القسم الرابع الذي أفرده لـ (التراجم الخاصة الموضوعة في فرد خاص) . ويقدم في الجزء الثاني ص : 413 تعريفا للنبوغ ويشير في ص : 432 إلى شرحه للشمقمقية . وفي ص : 449 يرد تعريف بكتاب (التعاشيب) .

4 ــ كحالة ، عمر رضا : **معجم المؤلفين** ــ ج 6 ــ ج 13 .

ترجم له في أربعة سطور في الجزء السادس / المجلد الثالث / صفحة 105 من طبعة مكتبة المثنى ببيروت الصادرة في عام 1957 . جاء فيها أن كنون توفي عام 1358 هـ / 1939 م . ويقول عنه إنه أديب من آثاره : النبوغ ، شرح الشمقمقية ، شرح مقصورة المكودي ومجاذي الزقاقية . ويعود في الجزء الثالث / المجلد السابع / صفحة 401 ليتدارك الأمر كما زعم المصنف فإذا به يقع في خطأ فاحش إذ يكتب تحت اسم عبد الله كنون في سطر ونصف سطر : (تحذف ترجمته لالتباس اسمه مع عبد الله كنون المعاصر) . وكأن هناك شخصين يحملان نفس الاسم . وكان أول من نبهني إلى هذا الخطأ المعيب في وقت مبكر الباحث المحقق محمد الأمين بوخبزة . ووقفت في كتاب (معجم المطبوعات المغربية) لابن الماحي الإدريسي / ص 69 على الإشارة إلى هذا الخلط عند كحالة . ووصفه بأنه كلام غريب .

5 ــ الجندي ، أنور : **الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا** :

تبدأ الترجمة من صفحة 234 وتنتهي في صفحة 238 من الطبعة الأولى الصادرة عن الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة في عام 1965 ، ويبرز قيمة (النبوغ) الذي (كان لظهوره في ظل الاحتلال الفرنسي للمغرب دوي وصدى ، إذ وجد مقاومة ومصادرة) . (ولم يكن كتاب (النبوغ) تحديا للاستعمار وحده ، ولكنه

ردا على روح الإقليمية في الأدب) . وفي معرض حديثه عن كتاب (المشاهير) يلاحظ الجندي أنه (مما يذكر لكنون من إنكار الذات أنه على الرغم من عشرات الدراسات عن أعلام المغرب فإنه لم يكتب حتى الآن دراسة عن جده (محمد كنون) العالم السلفي الذي يجمع أهل المغرب على أنه مجدد القرن الثالث عشر) [1] وينقل الجندي عن محمد تقي الدين الهلالي [2] وصفا دقيقا لكنون .

6 ـــ الجندي ، أنور : **مفكرون وأدباء من خلال آثارهم .**

ترجم له في ست صفحات من الصفحة 139 إلى الصفحة 144 من الطبعة الأولى الصادرة عن دار الرشاد ببيروت في عام 1967 . ويعرف كنون بأنه (اسم لامع في المشرق والمغرب جميعا ، وله في المشرق مكانة كبرى ، فقد طوف به واتصل بمعاهده وأعلامه ومفكريه ، وانتسب إلى مجمعيه العظيمين في دمشق والقاهرة) . ثم يضيف : (وهو ما يزال منذ أكثر من ثلاثين عاما يسهم مساهمة فعالة في نشر الثقافة العربية على نحو رصين ، قوامه الفهم الصادق والتقدير العميق لقضايا الإحياء والترجمة والنقل والاقتباس من الفكر الإنساني ، على قاعدة مبسوطة ثابتة من الثقافة العربية الأساسية ، ومع إيمان كامل بشخصيتنا أساسا وبكل مقوماتها) .

وينسب الجندي إلى كنون كتابا بعنوان (التحقيقات) يقول عنه (إنه أعلن عنه منذ وقت طويل ، ولم يصدر بعد ، وقد درس فيه مجموعة أخرى من أعلام المغرب غير التي قدمها في النبوغ » [3] .

7 ـــ البعثي ، إبراهيم : **شخصيات إسلامية معاصرة :**

صدر الكتاب في عام 1970 عن دار الشعب بالقاهرة ، ويخصص الفصل

---

(1) كتب كنون حلقة من (المشاهير) عن محمد بن المدني كنون صدرت بعد وفاته ضمن الحلقات العشر التي بلغت بها الموسوعة 50 حلقة .

(2) لا يذكر المصدر .

(3) لعل هذا الكتاب هو (شخصيات مغربية) الذي يضم ما يزيد عن 200 ترجمة ، وهو من الآثار التي خلفها كنون قيد الطبع .

العاشر لترجمة كنون وتبدأ من صفحة 287 إلى صفحة 318 . ويصف كنون بأنه (في مقدمة الذين أبلوا البلاء الحسن في إحياء الفكر العربي الإسلامي في المغرب العربي) . ويقول عن كتاب (النبوغ) إنه (كان تحديا للاستعمار الفرنسي الذي كان يسعى جاهدًا للقضاء على كل ما يربط العرب في المغرب بتاريخهم) ، ويقول إن الكتاب (كان ردا على روح الإقليمية في الأدب العربي) ويلاحظ أن البعثي ينقل هنا عن أنور الجندي في كتابه (الفكر والثقافة المعاصرة في شمال أفريقيا) . ويتحدث عن مولده ونشأته وهجرة أسرته من فاس إلى طنجة ، وينفرد بالإشارة إلى أن وجهة الهجرة كانت هي القاهرة . ويذكر الشخصيات التي تأثر بها وهي : ابن تيمية ، ابن القيم ، عم والده كنون الكبير ، الإمام الشوكاني ، جمال الدين الأفغاني ، محمد عبده ، رشيد رضا ، شكيب أرسلان ، عبد الحميد بن باديس ، محمد فريد وجدي ، محب الدين الخطيب ، ويورد وصفا لمؤلفاته ، مركزا بصفة خاصة على (مفاهيم إسلامية) .

8 ـــ قبش ، أحمد : **تاريخ الشعر العربي الحديث** :

يترجم له في ثلاث صفحات من الحجم الكبير في الطبعة الأولى الصادرة في عام 1971 . ويلاحظ أن المؤلف ينقل ترجمته لكنون عن كتاب (الأدب العربي في المغرب الأقصى) للقباج نقلا حرفيا ، إضافة إلى الخلط في عناوين مؤلفات كنون وفي التعريف بمحتوياتها ، فيذكر من كتبه (أبحاث في الشعر المغربي الحديث) ويعني به (أحاديث عن الأدب المغربي الحديث) خاصة وهو يقول عنه إنه ألقاه على طلبة قسم الدراسات العالية في الجامعة العربية (يقصد معهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية) .

ويذكر أن كتاب (ذكريات مشاهير المغرب) جمع فيه المؤلف أكثر من خمسمائة ترجمة ، وهذا ليس صحيحا . وفي موضع آخر بصفحة 183 ينقل عن كتاب القباج وصفا لشخصية كنون .

9 ـــ السولامي ، د . إبراهيم : **الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية : (1956 ـــ 1912) .**

يترجم له في الصفحتين 230 ، و 231 من الطبعة الأولى الصادرة عن دار الثقافة ، بالدار البيضاء في عام 1974 . يصفه بأنه (سلفي ذو نزعة إسلامية ، موسوم بالنبوغ منذ شبابه إذ أمكنه أن يؤلف ويخطب في الناس وينشد الشعر ، ويلاحظ أن شعره أقل قيمة من نثره) . وتستغرق الترجمة 20 سطرا . ونسب السولامي إلى كنون مقالا نشر في عدد ماي سنة 1936 من مجلة (الرسالة) القاهرية مذيلا بحرفي (ع . ك) . وينكر كنون نسبةَ هذا المقال إليه في كتابه (أزهار برية) صفحة 191 الطبعة الأولى ـــ تطوان ـــ 1976 . كما يصحح بعض الأخطاء التي وقعت في هذه الترجمة ، وذلك في كتابه الآنف الذكر .

10 ـــ **الأدب والفكر المغربيان المعاصران** [1] .

نشر هذا الكتاب باللغة الإسبانية المعهد الإسباني العربي للثقافة بالتعاون مع كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس في الرباط وطبع بمدريد في سنة 1979 ، وبه ترجمة مختصرة لعبد الله كنون في صفحة 524 تتضمن معلومات لا تتوفر في مصدر آخر عن ترجمة كتاب (النبوغ) إلى الإسبانية ، وكذلك إشارة إلى ترجمة مجلة (المعتمد) الإسبانية لبعض أعمال كنون إلى اللغة الإسبانية .

11 ـــ الجدع ، أحمد عبد اللطيف / جرار ، حسني أدهم : **شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث . جـ** : 7 .

يقدم ترجمة لكنون ونماذج من شعره في الصفحات من 57 إلى 77 من الحجم المتوسط من الطبعة الأولى الصادرة عن مؤسسة الرسالة ببيروت في عام 1980 . جاء فيها (أن الأستاذ كنون شخصية علمية معروفة لدى جميع المثقفين في العالم

---

1) Literatura Y Pensamiento marroquiés contemparanéos - instituto Hispano - Arabe de cultura - Madrid - 1979.

الإسلامي ، وهو محل ثقة في كل ما يكتبه ، وهو عالم فذ ، ومفكر بارز ، وهو شخصية مجاهدة في ميادين متعددة) . ويحلل المؤلفان النماذج التي اختاراها من شعر كنون تحليلا إسلاميا ، خاصة منها قصائد (لسان حال الدولة الإسلامية) (وخصوم العربية في المغرب العربي) و (الظهير البربري) . وتورد الترجمة معلومات عن حياة كنون ومؤلفاته والمناصب التي شغلها .

12 ــ الجندي ، أنور : **أعلام القرن الرابع عشر الهجري : المجلد الأول = أعلام الدعوة والفكر .**

تستغرق الترجمة الصفحات من 105 إلى 112 ذات الحجم الكبير من الطبعة الأولى الصادرة عن مكتبة الأنجلو المصرية في عام 1981 . ويبرز الجندي مكانة كنون ويقول عنه إنه (أعطى الأدب العربي المغربي مكانته ووقف المشارقة على مدى ما قدمه من نتاج خصب بالغ الجودة عظيم الأثر . ذلك هو التحدي الكبير الذي تصدى له كنون منذ أوائل الثلاثينيات والذي أثمر ثمرتين من أضخم الثمار :

1 ــ موسوعة (النبوغ المغربي) .

2 ــ موسوعة (ذكريات مشاهير المغرب) .

ويقدم تحليلا ضافيا لـ (النبوغ) ويقول عنه إنه كان تصحيحا للتحريف الذي فرضه الاستعمار على المشرق والمغرب معا . ويعرض لسلسلة (المشاهير) فيعرف بها تعريفا مركزا . ثم يعد من مؤلفاته الأخرى خمسة كتب ، ويشير إلى عمله في الصحافة ويقول عن مجلة (لسان الدين) إن كنون أنشأ بها لونًا جديدًا من الصحافة الأدبية الإسلامية . ويصف حياة كنون بأنها تجمع بين مراحل الوطنية وعلامات الفكر ، مشيرا إلى أنه (واحد من المناضلين في معركة المغرب في سبيل الحرية) .

13 ــ يونس ، د . عبد الحميد / المصري ، د . فتحي حسن : **في الأدب المغربي الحديث .**

يترجم المؤلفان لكنون في أربع صفحات من صفحة 48 إلى صفحة 51 من

الطبعة الأولى الصادرة في عام 1982 عن دار المعارف بمصر . ويقع المؤلفان في خطأ كبير لا يليق بهما حين يذكران أن كنون من مواليد مدينة تطوان ، وذلك في سياقٍ يُفهم منه أنهما اطلعا على تراجم عديدة له ، ويصفانه بأنه قوي الإحساس بالقومية المغربية ومن جيل الثوار السلفيين الذين يعتصمون بالدفاع عن العقيدة والحمى . وتبرز هذه الترجمة بصفة خاصة الملامح السلفية في شعر كنون من خلال تحليل مختصر لمضامين قصائده . ويضم الكتاب ثلاث قصائد لكنون هي (الشاعر) و (الحماسة الوطنية) و (المكتبة) . ويعتمد المؤلفان على كتاب (النبوغ) في كتابة الفصول الأولى خاصة الفصل الثاني عن (مقومات عامة للشعر المغربي في عصر ما قبل الحماية) .

وفي الكتاب كثير من الأخطاء التاريخية بالرغم من أن المؤلفين يقدمانه بأنه (دراسة أكاديمية على الطبيعة المغربية .. حيث عايش المؤلفان آدابها المعاصرة) .

14 ــ التازي ، عبد السلام : **الأدباء المغاربة المعاصرون : دراسة ببليوغرافية إحصائية :**

قدم في صفحات 110 ، و 111 ، و 112 من الطبعة الأولى الصادرة عن منشورات الجامعة بالدار البيضاء في عام 1983 ترجمة مختصرة لكنون يذهب فيها إلى أنه أتم دراسته حوالي سنة 1930 ، وهذا ليس صحيحا ، ذلك أن دراسة كنون غير محددة بفترة زمنية إذ أنها ليست منتظمة . وعند ذكر مؤلفاته يشير ضمن دراساته الإسلامية إلى كتاب (التيسير في صناعة التسفير) على أنه من مؤلفاته مصحّفا العنوان إلى (صناعة التفسير) وهذا خطأ فاحش ، ثم يذكر من ضمن كتبه الإسلامية كتابا بعنوان (معارك تطوان) ، ولعله يقصد كتاب (معارك) . ويورد في قائمة النصوص التي حققها كنون عنوان (رسائل الملوك السعديين) والصحيح (رسائل سعدية) .

15 ــ بن تاويت ، محمد : **الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى ــ جـ** : 3 .

ترجم لعبد الله كنون في سطر واحد ، وأورد نماذج من شعره في الصفحات من 985 إلى 988 من الحجم الكبير في الطبعة الأولى الصادرة عن دار الثقافة بالدار البيضاء في عام 1984 . ويلاحظ أن بن تاويت يتناول كنون في هذا الكتاب بقدر غير قليل من السخرية والهزء . فيقول : (إنه صدر لكنون (دوين) عنوانه « إيقاعات الهموم » . وحين يورد بيت شعره الذي يقول فيه : (وما أنا بالشاعر الأكتب) يعقب عليه في الهامش بقوله : (ولم أسمع أنا بهذا الأكتب) . وفي معرض آخر من كتابه يذكر كنون باسم (صاحب النبوغ) .

16 ــ طنكول ، عبد الرحمان : **الأدب المغربي الحديث : بيليوغرافيا شاملة .**

في فصل (دراسات حول الثقافة والأدب في المغرب) يورد ضمن المبحث الخاص بالكتب والمباحث النقدية في الصفحة 10 من الطبعة الأولى الصادرة عن منشورات الجامعة بالدار البيضاء في عام 1984 كتابا واحدا لكنون هو (أحاديث عن الأدب المغربي الحديث) ، بينما تتناول كتب أخرى لكنون فصولا قيمة في النقد الأدبي ، خاصة منها مجموعاته الأدبية . ويتجاهل المؤلف في المبحث الخاص بالنصوص الشعرية الديوان الثاني لكنون (إيقاعات الهموم) الذي صدر قبل تاريخ صدور هذه البيليوغرافيا ويكتفي بالإشارة إلى الديوان الأول (لوحات شعرية) .

17 ــ الجراري ، عبد الله : **التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين من 1900 إلى 1972 .**

يترجم له في 6 صفحات من الحجم المتوسط ، ويُورد معلومات غير كاملة عن بعض مؤلفاته ، ويقول عنه : (وإجمالا فالأستاذ كنون من المثقفين المنتجين وممن تفتخر المعلمة المغربية بإنتاجهم العلمي فقد أناف ما طبع له من كتب على ثلاثين) . ويصف كتاب (أدب الفقهاء) بأنه من كتبه الغريبة ذات الموضوع الشيق عرضا وفائدة . ويأتي بمعلومة غير متوفرة في المصادر الأخرى عن كتاب (محاذي

الزقاقية) . تستغرق الترجمة الصفحات من 397 إلى 402 . وصدر الكتاب عن مكتبة المعارف بالرباط في سنة 1985 .

18 ــ الإدريسي ، إدريس بن الماحي : **معجم المطبوعات المغربية :**

ترجم له في صفحتين من 68 إلى 69 من الطبعة الأولى الصادرة عن مطابع سلا في عام 1988 . ويذكر أنه ولد بفاس يوم 20 شعبان 1326 هـ ، والصحيح يوم 30 شعبان . ويورد 15 كتابا لكنون مع بيان عدد الصفحات واسم المطبعة ومقرها . ويذكر من بينها ككتاب مستقل (ميمون الخطابي) الذي هو الحلقة رقم 7 من (ذكريات مشاهير رجال المغرب) .

19 ــ غلاب ، عبد الكريم : **الماهدون .. الخالدون .**

يترجم له في عشرين صفحة من 227 إلى 246 من الطبعة الأولى الصادرة ضمن (كتاب العلم) السلسلة الجديدة عن مطابع النجاح الجديدة بالدار البيضاء في عام 1991 . وتمتاز هذه الترجمة بالتوسع في تحليل شخصية كنون وبوفرة المعلومات وغزارة المادة ، وهي بذلك تمتاز عن التراجم الأخرى لدقتها وصحتها وسلامتها من الأخطاء والهفوات . ومن يقرأ ما كتبه غلاب عن كنون في هذا الكتاب تحت عنوان (المثقف الملتزم) يخرج بصورة متكاملة عن حياته الثقافية ونشأته وتكوينه ومصادر المعرفة عنده والدور الفكري والأدبي الذي قام به كنون في الحياة الثقافية والأدبية والإسلامية المغربية . وإن كانت هذه الترجمة تخلو من التوثيق التاريخي إذْ لا ذكر لتاريخ ميلاد المترجم له ولا إشارة إلى أي تاريخ على الإطلاق . ولكن هذا لا يمنع من القول إنها أوفى تعريف بكنون من النواحي كافة .

الفصل السادس

صحافة عبد الله كنون

عمل عبد الله في الصحافة منذ وقت مبكر من حياته ، ودخل إلى عالم الفكر والأدب والدعوة والثقافة عن طريقها . وباستثناء كتابين اثنين[1] . فإن جميع كتبه نشرت في الأصل مقالات وبحوثا في الصحافة سواء منها السياسية أو الثقافية ، داخل المغرب أو خارجه .

وارتبط كنون بالصحافة ارتباط ممارسةٍ ومسئولية ، واتخذها رسالَة له أداها كأوفى ما يكون الأداءُ وبلّغ من خلالها أمانةَ الفكر ورسالةَ العلم ، فكانت الصحافة التي عمل بها وأشرف عليها صحافةَ الرأي الإسلامي الوطني الذي يعبّر عن موقفٍ بالغ النضج مستوف شروط الالتزام إزاء القضايا والأحداث التي تابعها وتفاعل معها وكتب عنها معلّقا ومحلّلا مُبديًا قدرا كبيرا من الوعي السياسي الذي عُرفت به كتاباته في المجالات التي تعاطى الكتابة فيها منذ نشأ واتصلت أسبابُه بالصحافة .

ويمكن أن نفصل بين مستويين من العمل الصحافي الذي مارسه كنون .

المستوى الأول : العمل الصحافي غير المباشر : ويشمل المرحلة الأولى التي نشر فيها مقالات في الصحف والمجلات سواء في المغرب أو في البلاد العربية خاصة مصر والجزائر وتونس . وهي المرحلة التي تبدأ مع مطالع الثلاثينيات وتمتد إلى سنة 1948 التي بدأت فيها ممارسته المسئولة للصحافة . فلقد كان كنون دائم الاتصال بالصحافة يكتب لها ويستجيب لطلبات أصحابها ولا يبخل عليها بأفكاره وآرائه ومواقفه من قضايا عصره مُشاركا في الحياة الفكرية والسياسية لوطنه وأمته أوسعَ ما تكون المشاركةُ بالرأيِ المستنيرِ والفكرِ المستقيمِ والموقفِ الواضح .

---

(1) الكتابان هما : النبوغ المغربي في الأدب العربي ، وأحاديث في الأدب المغربي الحديث . انظر دراستنا المطولة لمؤلفات كنون في كتابنا (عبد الله كنون .. رؤية من الداخل) .

المستوى الثاني : **العمل الصحافي المباشر** : ويشمل المرحلة الطويلة التي تبدأ من سنة 1948 م إلى وفاته حيث تولى الإشراف على ثلاث مجلات وصحيفة واحدة وهي حسب ترتيب الصدور :

1 ــ لسان الدين .

2 ــ الأنوار .

3 ــ الميثاق .

4 ــ الإحياء .

أولا : العمل الصحافي غير المباشر :

بدأت علاقة كنون بالصحافة الأدبية والثقافية في مطلع الثلاثينيات بصدور مجلة السلام[2] . لصاحبها محمد داود في سنة 1933 التي نشر فيها دراسات عن (شخصيات مغربية) استهلها بترجمة (أبي جعفر بن عطية) في حلقتين بالعددين 2 و 3 وترجمة (ابن الونان)[3] . نشرت في العدد الخامس ، وترجمة (ابن الطيب العلمي) نشرت في العدد الثامن ، وترجمة (أبو العباس العزفي) نشرت في العدد العاشر ، وترجمة (الصاحب الشرقي) نشرت في العدد الحادي عشر الذي صدر في شكل كتاب بعنوان (العزيمة) في حجم المجلة ذاتها وفي أبوابها وإخراجها وإطارها الصحافي العام . وتلك هي مجموعة الأعداد التي صدرت من السلام . وهذه الدراسات والتراجم هي الحلقات التي كانت نواة موسوعة (ذكريات مشاهير المغرب) التي صدر منها أربعون جزءا ، وتوجد عشرة أجزاء أخرى تحت الطبع .

---

(2) (السلام) جاء في العدد الأول الصادر في أكتوبر 1933 أنها (مجلة إسلامية عربية مصورة جامعة أنشئت لخدمة الأقطار الإسلامية على العموم والشمال الأفريقي على الخصوص ، وتعمل لنشر الثقافة العربية ، وتنشيط النهضة المغربية ، وتصدر مرة في الشهر) . صدر منها عشرة أعداد وكان شعارها (الإسلام ، العروبة ، المغرب) . وتعتبر أول مجلة وطنية تصدر بالمغرب .

(3) نشرت هذه الترجمة مع شرح واف لقصيدة ابن الونان في كتاب بعنوان (شرح الشمقمقية) .

وتَنَوَّعَ إنتاجُ كنون في (السلام) فنشر بالإضافة إلى التراجم شعرا وقصصا من التراث العربي تحت عنوان دائم (التهذيب والإرشاد : قصة الشهر) ضمّن بعضَها كتابَه (القدوة السامية للناشئة الإسلامية)[4] ، وكان أحيانا ينشر في العدد الواحد مادتين ، وعلى سبيل المثال نقرأ له في العدد الرابع (رمضان 1352 ــ يناير 1934) قصيدة تحت عنوان (نشيد مغربي) وقصة الشهر تحت عنوان (نشيد مغربي) وقصة الشهر تحت عنوان (يوم المصاف أم ليلة الزفاف)[5] . ويفتتح في العدد الخامس بابا صحافيا جديدا تحت عنوان (مكتبة السلام) يعرض في الحلقة الأولى منه ديوان زكي مبارك[6] ، عرضا تحليليا نقديا . ويكتب في العدد العاشر تحت عنوان (التهذيب والإرشاد) عن (القضاء في الإسلام)[7] . وينشر في العدد الحادي عشر الذي حمل اسم (العزيمة) تحت عنوان (كتب جديدة) عرضًا لستة كتب هي : (نداء للجنس اللطيف يوم المولد الشريف) لرشيد رضا ، و (محاسن المساعي في مناقب الإمام أبي عمرو الأوزاعي) لمؤلف مجهول وتحقيق شكيب أرسلان ، و (نظرات الشورى) لمحمد علي الطاهر ، و (على هامش السيرة) لطه حسين ، و (ذكرى الدكتور محمد بن أبي شنب) لعبد الرحمان الجيلالي ، و (فخر أبي فراس وأبي الطيب) لعبد الغني باجقني[8] .

---

(4) صدر عن دار النشر للجامعيين ، بيروت ، بلا تاريخ .

(5) انظر القصة في (القدوة السامية) ص . 33 .

(6) انظر العرض في (التعاشيب) ، طبعة ثانية 1975 ، ص : 137 .

(7) يلاحظ أن هذا أول مقال ذي منزع إسلامي محض ينشره كنون في أول عهده بالصحافة . إذ جميع المقالات والدراسات والكلمات القصار التي نشرها قبل هذا المقال (ع : 10 ــ في 1353 ــ نوفمبر 1934) كانت ذات طابع أدبي وتاريخي سواء في ذلك كتاباته في (السلام) أو في (الرسالة) المصرية التي ارتبطت أسبابه بها في هذه المرحلة . وهذا ما يثبت أن نشأة كنون الصحافية كانت أدبية خالصة ولم يعرف عنه الاشتغال بقضايا الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية إلا في فترة لاحقة . أنظر (القضاء في الإسلام) في القدوة السامية ص . 54 .

(8) انظر العروض الخاصة بكتب رشيد رضا وطه حسين ومحمد علي الطاهر وعبد الرحمان الجيلالي في (التعاشيب) ط : 2 ، صفحات 143 ، 144 ، 145 ، 146 ، 147 ، 148 .

لقد تميزت المرحلةُ المبكرة من حياة كنون الصحافيةِ بالخصب والحيوية والنشاط وغلب عليه الطابعُ الأدبيُّ الصرف ، ولقد كان العضدَ الأيمنَ لصاحب (السلام) وعضوًا نشيطا في أسرة التحرير على الرغم من إقامته بطنجة . وأحسب أن كنون كان محرر بابين آخرين من أبواب (السلام) هما : (سبع مثان لشعراء أحياء بالأقطار العربية) و (معرض الأفكار) ، بالإضافة إلى ما كان ينشره بتوقيعه . وقد عُني البابان الأدبيان بنشر مختارات تنم عن روح كنون الأدبية من أبيات شعرية وكلمات بليغة لشعراء وكتاب من المغرب والمشرق .

ويمكن القول إن (السلام) كانت المنبر الصحافي الأول الذي مارس فيه كنون الصحافة الأدبية في شبابه الباكر . فلم يكن مجرد كاتب في المجلة ، وإنما كان محررا مشاركا في عديد من المواد التي تنشرها . وتميز نشاط كنون الصحافي في هذه المرحلة بالابتكار والتجديد وبالاقتداء بخط مجلة (الرسالة) التي كان ظهورها متزامنا تقريبا مع صدور (السلام) .
وتأتي رسالة الزيات بعد سلام داود لتستقطب اهتمام كنون ويبدأ على صفحاتها انفتاحه الأول على الصحافة العربية . وقد نشر في (الرسالة) مقاله الأول عن (الشعر الوطني في الأندلس)[9] ، ونشر دراسة مطولة تحت عنوان (المتنبي في ديوانه)[10] . وكتب لها بحثًا مستفيضا عن (ماضي القرويين وحاضرها)[11] .

ولما صدرت مجلة (المغرب الجديد) بتطوان بعد توقف (السلام) تريث كنون فلم يبادر بالنشر فيها إلا في العدد المزدوج (9 — 10) الذي اختتمت به السنة الأولى من عمرها وصدر بمناسبة الذكرى الألفية للمتنبي والذي ضم مقالا له بعنوان (أمنية المتنبي التي لم تتحقق)[12] .

---

(9) نشر بـ (الرسالة) في العدد 105 . وأعيد نشره في (التعاشيب) ص : 16 (ط : 2) .
(10) (الرسالة) في العددين : 129 ، 130 . التعاشيب ص : 23 — 38 (ط . 2) .
(11) (الرسالة) في الأعداد : 261 ، 268 ، 269 ، 270 التعاشيب ص : 71 — 88 (ط : 2) .
(12) (المغرب الجديد) ، عدد (9 — 10) ص : 108 سنة 1936 . / انظر (التعاشيب) ، ص : 39 (ط : 2)

ونشر في السنة الثانية مقالا بعنوان (خواطر في تعليم المرأة)[13] .

لقد كانت علاقة كنون بالصحافة مطبوعة بطابع النضال في جميع مراحل حياته ولذلك تعددت المنابر التي كتب فيها سواء في فترة الحماية أو في عهد الاستقلال مما يجعل من الصعب استقراء كل كتاباته التي تدخل ضمن المستوى الأول الذي حددناه لرسم صورته الصحافية وهو ما عبرنا عنه بالعمل الصحافي غير المباشر الذي لا يدخل في إطار الممارسة المسئولة للصحافة بالمفهوم السياسي والإعلامي والمهني للمسئولية الصحافية .

وإذا كان كنون قد دخل الصحافة من بابها الأدبي قبل أن ينتقل إلى الصحافة الإسلامية في فترة لاحقة فإن الطابع المميز لكتاباته في الصحافة المغربية والعربية خلال عهد الحماية هو الكفاح من أجل الحرية والاستقلال والدفاع عن مبادئ العروبة والإسلام ومكافحة الظلم ومقاومة العدوان والانتصار لقيم الحق والعدل والسلام . لقد خاض كنون بقلمه الجريء معارك شريفة نصرة لقضايا الحرية والعدل والكرامة والإيمان من منطلق يقينه الذي لم يتزعزع أن معارك الشرف (هي الضمانة الوحيدة لحياة الشعوب وخلودها ، وهيمنة الفضائل على المجتمع الإنساني وارتقائه)[14] .

يقول كنون في مقدمة كتابه (معارك) الذي يضم مختارات من كتاباته الصحافية : هذه صور حية ونماذج ناطقة ، من جهاد شريف ، في سبيل الوطن والعروبة والإسلام . وهو وإنْ كان مما يمتد في مطاوي التاريخ إلى منتصف الثلاثينيات من هذا القرن ، إلا أننا اقتصرنا منه على ما يرجع إلى أوائل الخمسينيات حتى وقتنا هذا[15] .لأن كثيرا من شواهده ضاعت منا . وهذا الذي أثبتناه هو في الواقع إنما يمثل البعض مما له قيمة تاريخية لا تبلى مع تطاول الزمن ، ثم إننا لم نشأ أن نستكثر

---

(13) اقرأ المقال في (التعاشيب) ، ص : 53 (ط : 2) .

(14) معارك ، مطبعة ديسبرس ــ تطوان ، ص : 5 .

(15) الطبعة الوحيدة من (معارك) بلا تاريخ ، ولكنها صدرت تقريبا في أواخر السبعينيات .

بكل ما بقي بيدنا منه ولا سيما الذي خف وزنه ، لارتباطه بظروف معينة ، وهو موجود في ثنايا الصحف الوطنية والعربية بعامة ، ولا سيما **الجزائرية والتونسية** . على أن أخص الصحف المغربية التي نشرنا فيها أكثر ما هنا من مقالات هي جريدة (الحرية)[16] ، و (الأمة)[17] ، و (الوحدة المغربية)[18] ، و (منبر الشعب)[19] ، ومجلة (لسان الدين) ، وصحيفة (الميثاق)[20] .

إنَّ معظم مقالات كنون التي نشرها في الصحف والمجلات مجموعة في كتبه التي صدرت تباعا ابتداء من (التعاشيب) إلى (معسكر الإيمان يتحدى)[21] . وباستثناء المقالات ذات الطابع الثقافي والأدبي العام التي نشرها كنون في مجلات وجرائد في جميع مراحل حياته فإن المقالات الصحافية التي تخضع للمقاييس الصحافية المعتمدة نشرها كنون غالبًا في الصحف السيارة وهي تشكل القسط الأكبر من كتاباته . وعلى سبيل المثال فإن كتاب (المعارك) يشتمل على 92 مقالا نشر معظمها في الصحف وقليل منها نشر في مجلة (لسان الدين) . وهي جميعها ذات طابع صحافي وتأخذ شكل التعليق السياسي على الأحداث الجارية .

ويلاحظ أن هذا النوع من الكتابة الصحافية هو الذي طبع المرحلة الخاصة من حياة كنون التي ندرجها ضمن المستوى الثاني من تقسيم البحث ونعبر عنها بالعمل الصحافي المباشر .

---

(16) صدرت بتطوان من 14 / 3 / 1937 إلى يناير 1947 .

(17) صدرت بتطوان من 1952 إلى 1956 .

(18) صدرت بتطوان من 3 / 2 / 1937 إلى 1946 .

(19) صدرت بطنجة في مطلع الخمسينيات .

(20) معارك ، ص : 6 .

(21) صدر بعد وفاته عن (مطابع البوغاز) في طنجة . انظر دراستنا لمؤلفاته الكاملة في فصل (الكشاف التحليلي للأعمال الكاملة) .

ثانيا : العمل الصحافي المباشر

1 ــ **لسان الدين** : بدأت صلة كنون المباشرة بالصحافة لما تولى مسئولية إصدار مجلة (لسان الدين)[22] . التي كان أنشأها الدكتور محمد تقي الدين الهلالي بتطوان سنة 1946 م . وذلك ابتداء من العدد الأول للسنة الثالثة الذي صدر في شهر رمضان سنة 1367 هـ . الموافق لشهر يوليو عام 1948 . على أثر انتقال مؤسسها إلى العراق في هجرته الثانية إلى المشرق العربي . وكان د . الهلالي قد قدم إلى تطوان من ألمانيا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وأقام بها سنتين عمل خلالهما في مجال التعليم والدعوة والصحافة . ولما ضاقت به الحال ولم يلق ترحيبا لائقا به قفل راجعا إلى العراق التي استوطنها في فترة سابقة بعد أن اختار عبد الله كنون ليتولى مسئولية المجلة من بعده لما كان بينهما من وشائج الصداقة والزمالة الفكرية .

وإذا كان كنون لم يبدأ النشر في لسان الدين إلا في العدد الرابع الذي تضمن مقالا له بعنوان (شئون مغربية : المدرسة المغربية ومتى توجد) وقعه بحرفي : ع . ك ، وقدمته المجلةُ باسم (الأستاذ العبقري صاحب التوقيع) فإن كتاباته في مرحلة ما قبل استلامه المجلة كانت محدودة . وكان أول مقال نشره باسمه الصريح في (لسان الدين)

---

(22) صدر العدد الأول من (لسان الدين) في شهر شعبان سنة 1365 هـ . الموافق لشهر يوليو عام 1946 م . وصدرت أعداد السنة الأولى ومجموعها عشرة أعداد في حجم كتاب الجيب . وتولى رئاسة التحرير د . محمد تقي الدين الهلالي الحسني مؤسس المجلة الذي أسند صفة المدير المسئول إلى أحمد بن عبد السلام هارون ، ربما نزولا عند المقتضيات القانونية التي لم تكن تسمح لِغير سكان ما كان يعرف بالمنطقة الخليفية بإصدار الصحف . وصدر العدد الأول في 48 صفحة مزينا بصورة في حجم صفحة كاملة للزعيم الفلسطيني محمد أمين الحسيني . وكانت المجلة تصدر عن المطبعة المهدية ، ويقع مقر إدارتها بالطرافين رقم 51 . وقد صدرت المجلة باسم أبي عبد الله لسان الدين بن الخطيب ، وليس بالمعنى الذي يتبادر إلى الذهن من كونها منبرًا للدين ولسانا للدفاع عنه ، وقد أوضح ذلك مؤسسها في افتتاحية العدد الأول . ونشرت المجلة في عددها الثالث مقالا لشكيب أرسلان تحت عنوان (لسان الدين ابن الخطيب أمة وحده) استهله بتوجيه الخطاب إلى د . الهلالي مهنئا إياه على اختيار الاسم . ومما جاء فيه : (قد بلغتم غاية الإصابة في تسمية مجلتكم باسم لسان الدين ابن الخطيب ووفّيتم هذا الرجلَ العظيمَ في عالم البيان جزءا من حقه) .

افتتاحية العدد السابع[23] ، تحت عنوان (حرفة الأدب) قدمته المجلة تقديما لافتا للانتباه ووصفت كاتبه بالأديب المؤرخ الأستاذ العبقري سيدي عبد الله كنون [24] . وفي العدد الذي يليه نشر كنون قصيدة في رثاء شكيب أرسلان تحت عنوان (عالم في شخص)[25] .

إن الجهد الصحافي الذي بذله كنون في (لسان الدين) يبدأ من العدد الأول للسنة الثالثة الذي يحدد في افتتاحيته أهداف المرحلة الجديدة في عمر المجلة والتي تتلخص في النقط التالية حسب عبارات كنون :

أولا : بذل مستطاع الجهد للسير في الطريق التي نعتقد أنها موصلة إلى الهدف المقصود من إنشاء المجلة وهو خدمة الدين والعلم والأدب الصحيح .

ثانيا : التنكّب عن السفاسف والمهاترات وما لا يُجدي نفعا عاملين على إرضاء الله ورسوله ونصح المسلمين بشدّ عضد أهل السنة ونشر العقيدة السلفية واعتماد الإصلاح الديني في عزائم الأمور ونوافلها .

ثالثا : توسيع دائرة العمل بفتح أبواب جديدة من الكتابة في التفسير والحديث بأسلوب شعبي لا يسمُو عن إدراك العموم ، ولا يتعرض للقواعد العلمية والمجادلات الفنية مع التركيز طبعا على مبادئ السلفية والإصلاح الاجتماعي والخلقي والسياسي الذي يهدف إليه الكتاب العزيز والسنة المطهرة .

رابعا : نشر القسم الثاني من القرآن وهو المفصل من سورة الحجرات إلى الختم وذلك لقصر سوره ، ولكونه أكثر المحفوظ من القرآن للطبقات العامة وغيرها ولكونه يُقرأ به في الصلاة ولكونه محكما كله .

خامسا : عرض أبواب مختلفة من الأدب المفرد للبخاري لما اشتمل عليه هذا

---

(23) صفر 1366 هـ ــ 1947 م .

(24) انظر كتاب (واحة الفكر) ، ص : 178 .

(25) انظر القصيدة في ديوان (لوحات شعرية) ، ص : 43 .

الكتاب من آداب وحكم وأقوال نافعة في الدنيا والدين .

سادسا : القيام بجولات بين رحاب الحضارة الإسلامية والثقافة الدينية وأنباء العالم الإسلامي التي تدل على النهضة والبعث والتجدّد والجواب على الأسئلة التي توجه إلى المجلة في هذا الصدد وفي الموضوعات الدينية على العموم .

ويختم كنون افتتاحية هذا العدد بوضع الإطار العام للعمل الصحافي الذي عزم على القيام به مبتدئا حياته الصحافية الحافلة فيقول : « نحن لسنا من عادتنا الكلام الكثير لأنا نخشى من عروض الموانع ونقض العزائم ، ولكن أملنا في الله كبير ألا يخيب ظننا وأن يقوينا ويسدد خطانا حتى نصل إلى أقصى الغايات لما تعمل له هذه المجلة ويتطلبه منها قراؤها » .

ووفق هذا المنهج الإعلامي الواضح تحمَّل كنون المسئولية السياسيةَ والصحافية كاملة من سنة 1948 م إلى سنة 1956 م . وقد تطورت (لسان الدين) خلال هذه المرحلة تطورا ملحوظا شمل الشكل والمضمون ، فصدرت في حجم أكبر (24 سم على 17 سم) وفتحت صفحاتها للكتاب من البلاد العربية الإسلامية واهتمت بأوضاع العالم العربي الإسلامي وسايرت الأحداث السياسية والتحولات الفكرية التي عرفها العرب والمسلمون خلال هذه الفترة وسجلت بالخبر والتعليق التطورات الحاسمة التي شهدها المغرب في هذه المرحلة خاصة منها أحداث المقاومة ابتداءً من صيف سنة 1953 ، وخاضت في موضوعات وتناولت قضايا لم تكن تطرح في الصحافة المغربية . كل ذلك في سَعَةِ أفقٍ وعُلُوّ مستوى ، أداءً للعمل الصحافي وتطبيقًا للبرنامج الذي حدَّده في أول عدد يتحمل مسئولية إصداره .

لقد حوّل كنون (لسان الدين) من مجلة دينية متواضعة إلى منبر إسلامي ثقافي فكري تطرح فيه القضايا الحيوية التي تستحوذ باهتمام الأمة العربية الإسلامية . ويلمس كنون هذا التحول الذي أدخل على المجلة وكان ثمرة اجتهاده واهتمامه في افتتاحية العدد الأول من السنة الرابعة فيقول : « في السنة الماضية فتحنا فيها بابا جديدا للتفسير على طريقة سهلة يستسيغها العالم ويستفيد منها الجاهل ، كما أننا عوضنا تلك

المقالات التافهة التي إنما يراد بها الملء بنشر كتبٍ صغيرة مفيدة ومخطوطة لم يسبق نشرها فحققنا بذلك غرضين شريفين : إفادة القارئ وإحياء أثرٍ علمي دَارِسٍ . على أننا قد لخصنا في افتتاحيات غالب الأعداد أبحاثا مهمة لفطاحل علماء الإسلام في مواضيع هامة ترجع إما إلى علم الاعتقاد أو إلى الحلال والحرام . وبعد أن يذكر الأسباب القاهرة التي حملت د . الهلالي على الهجرة وما لقيَهُ في العراق من كرم ضيافة وحسن مقام ورغد عيش يشير إلى أنه : لم يكن ليحتبس عن مواصلة إخوانه بالمغرب وتَعهد مجلته التي سلَّمها إلينا بالكتابة والمراسلة حينا بعد آخر ، ونظن أننا قد قمنا عليها في غيابه القيام **اللازم أو القيام الذي نستطيعه مع ما نُعانيه من كثرة الأشغال وقلة العون** .[26]

لقد كان من ملامح التجديد الذي أدخله كنون على الصحافة المغربية إصدار ملاحق في شكل كتيبات تُقدم هدية للقارئ المشترِك مقابل العددين اللذين لا يصدران في السنة . وهكذا صدرت عن (لسان الدين) الكتب التالية في سابقةٍ صحافيةٍ لم تتكرر في الصحافة المغربية حتى الآن :

1 ــ حكم زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور لابن تيمية .

2 ــ رسالة نصرة القبض والرد على من أنكر مشروعيته في صلاة الفرض للمسناوي[27] .

3 ــ كتاب الأنوار السَنِية في الألفاظ السُّنية لابن جزي[28] .

4 ــ كتاب ترتيب أحاديث الشهاب لأبي الحسن الخزرجي القلعي[29] .

---

(26) صدر في ربيع الأول سنة 1366 هـ ، الموافق يناير عام 1950 .

(27) تحقيق عبد الله كنون ، عن المطبعة المهدية .

(28) تحقيق عبد الله كنون ، عن المطبعة المهدية .

(29) تحقيق عبد الله كنون ، عن المطبعة المهدية .

5 — كتاب الأربعين الطبية وشرحها للبغدادي[30].

وكان هذا الأسلوب متبعا في الصحافة العربية الثقافية في الشرق خاصة في مجلة (المقتطف) التي كانت تصدر كتبًا سنوية هدايا للقراء . مع الفارق وهو أن (لسان الدين) كانت تنشر بعض هذه الكتب مجزأة في أعدادها العادية قبل إصدارها مستقلة ، زيادة على كتب صغيرة في مواضع مختلفة . والجميعُ من نفائس المخطوطات التي لم يسبق نشرها .

لقد أضفى كنون على (لسان الدين) من روحه الإسلامية ونَفَسِه الأدبي ووعيه السياسي ما جعلها مجلة إسلامية سياسية ثقافية علمية أدبية جامعة . وبذلك تُعد أول مجلةٍ إسلامية راقية المستوى صدرت في المغرب وفي طليعة المجلات الإسلامية التي عرفها العالم الإسلامي في النصف الثاني من القرن الرابع عشر . ولم تحل قلةُ الإمكانيات وضعفُ الوسائل دون أن ترقى (لسان الدين) إلى ما كانت عليه المجلات العربية الإسلامية التي كانت تصدر بالمشرق ، خاصة من حيث المضمون الفكري والمحتوى السياسي ، وهو الأمر الذي يتجلى في المتابعة النشيطة للأحداث السياسية والثقافية في العالم العربي الإسلامي وطرح القضايا الحيوية ذات الصلة بواقع الأمة العربية الإسلامية بصورة لم تكن معهودة في تلك المرحلة من تاريخ الصحافة المغربية .

لقد كانت (لسان الدين) لبنة في صرح الإعلام الإسلامي ومدرسة متميزة في الصحافة الإسلامية خدمت الأهداف العليا للشعوب الإسلامية في الترابط والتآخي والتضامن في معارك الكفاح من أجل الحرية والاستقلال والكرامة ، وبلورت بصورةٍ واضحةٍ مبادئ الإسلام في الحكم والسياسة والاقتصاد والاجتماع وتصدَّت للرد على خصوم الفكر الإسلامي ، وساهمت إلى حدٍ بعيد في تنوير الرأي العام المغربي بما كان يجري في العالم العربي الإسلامي .

---

(30) تحقيق عبد الله كنون . صدرت طبعته الثانية عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية المغربية في سنة 1979 .

وحتى نتمثّل روحَ النضالِ التي كانت تهيمن على مجلة (لسان الدين) ونرسم صورة للمعركة التي خاضتها في دأبٍ وثباتٍ نقرأ ما جاء في افتتاحية العدد العاشر من السنة الخامسة[31] . باعتباره نموذجًا يكشف بجلاء عن النَّفَس العالي الذي كان يُدير به كنون المجلةَ .

يقول تحت عنوان (عام جديد ومستقبل سعيد) : أهلَّ هلال فاتح عام 1371 والعالمُ الإسلاميُّ في فورةٍ من الانتفاض على الظلم والثورة ضد الاستعباد ، قد هجر ما نهى الله عنه من الاستكانة والخضوع ليتحقق نصيبُه من الهجرة التي هي أولُ واجبٍ على المستضعفين في الأرض . والمعتقد أنه قد آن الأوان لانجلاء هذه الغمة التي يتخبط فيها المسلمون منذ أن آثروا الراحةَ على التعب وخافوا عدوهم ولم يخافوا الله الذي أمرهم بالاستعداد له وبمقاتلة المشركين كافة كما يقاتلونهم كافة .

ها هي ذي أحداث جسام تهز أقطار العالم الإسلامي في الشرق والغرب ، ويُستهدف بها المسلمون للموت الزؤام إن وهنوا وضعفوا واستكانوا ، على أنهم إن صبروا وصابروا ورابطوا لابد أن ينالوا النصر من الله والفتح المبين ، ويحيوا حياة العز والشرف التي أرادها الله عز وجل حين خاطبهم بقوله ﴿ **ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين** ﴾ .

« ومن أحسن البشائر أن الشعور بالقوة والإيمان بالظفر قد عَمَّا جميعَ الأوساط » .

ولكي نقدّر هذا النموذج الرفيع من الكتابة السياسية الإسلامية التي تنطلق من رؤية إسلاميةٍ شاملةٍ علينا أن نضعه في سياق المرحلة التاريخية التي تميزت بتصاعد المد التحرري في المغرب العربي بخاصة والوطن العربي الإسلامي بعامة . لقد كانت (لسان الدين) منبرا للحركة الإسلامية عهدئذ ، إذ نقرأ في هذا العدد (العاشر — السنة الخامسة) موضوعاتٍ صحافية مثيرة للانتباه تحت هذه العناوين : (حقيقة

---

(31) محرم 1371 — أكتوبر 1951 .

الوضع في كشمير) ، (الشريعة الإسلامية مصدر للتشريع الدولي) ، (إيران تحرر نفسها) ، (الدعوة إلى مؤتمر إسلامي لتحرير المسلمين) ، (جمعية الصداقة التركية العربية) ، (استنكار إقامة التماثيل في بلاد إسلامية) ، (تضامن الباكستان مع الدول العربية) ، (لسان الدين في باكستان) . هذا فضلا عن تفسير سورة الصف .

ونقرأ في العدد الثامن من السنة السادسة[32] . على سبيل المثال افتتاحية لمحمد الطنجي[33] . تحت عنوان (قيمة الإسلام في المغرب والأخطار التي تهدده) ، وبحثا في حلقات حول (المدينة الفاضلة في نظر الإسلام) لمحمد عبد الرحيم غنيمة[34] . ومقالا نقلته المجلةُ عن (روز اليوسف) القاهرية حول معاملة فرنسا لمسلمي البلاد التي تحكمها في أفريقيا ، ودراسة قرآنية عن الأحرف السبعة للقروي . ونقرأ تحت الباب الشهري (في دنيا العروبة والإسلام) تحليلات وتعليقات سياسية جريئة تحت عناوين (الانقلاب المصري)[35] . و (الهند تقبل الاستفتاء في قضية كشمير) و (المسلمون ينطلقون من الحجر) في تأييد حق إيران في بيع بترولها لروسيا ، و (للحقيقة والتاريخ) حول التأخير في الرد على المذكرة الملكية إلى الحكومة الفرنسية . ويضم هذا العدد إلى جانب هذه الموضوعات السياسية والإسلامية الهامة فتوى للقاضي محمد بو عشرين حول (صرف الزكاة للمدارس) .

---

(32) ذو القعدة 1371 — غشت 1952 .

(33) كانت (لسان الدين) تفتتح صدرها لنشر افتتاحيات بأقلام علماء أفذاذ وغالبا ما يكون ذلك في غياب رئيس التحرير في سفر أو انشغاله بما يحول بينه وبين كتابة الافتتاحية .

(34) كاتب مصري نشر أبحاثا إسلامية رائدة في (لسان الدين) تناولت قضايا لم تكن مطروحة عهدئذ على نطاق شعبي واسع .

(35) أيّدَ كنون الانقلابَ المصري في 23 / 7 / 1952 . ووصفه (بأنه الانقلاب الذي وقع كما كان يتوقعه العالم الإسلامي كله) . ولكنه عاد فهاجم الانقلابَ هجوما صريحا لما وقع الخروج على الشرعية بطرد محمد نجيب والتنكر لما كان يمثله اللواء نجيب من خط إسلامي وطني مستقل . انظر دراستنا لموقف كنون من هذه القضية في كتابنا (عبد الله كنون وموقعه في الفكر الإسلامي السياسي الحديث) .

ونقرأ في باب (أنباء أدبية) أخبارا عن نشاطات وأحداث ثقافية وإسلامية لا تخلو من دلالة سياسية بالنظر إلى زمن وقوعها مثل : (عزم الحكومة الليبية على تطبيق الشريعة الإسلامية والنهج في ذلك على منهاج الحكومة السعودية) و (وصول العدد الأول من نشرة « القوقاس الحرة » وهي موجهة من مسلمي الاتحاد السوفياتي إلى مسلمي الشرق يصدرها عبد الرحمان فتورجانوف من ميونيخ بألمانيا) ، و (تأسيس جمعية دينية سلفية في بيروت باسم عباد الرحمان) .

بهذه الرؤية الإسلامية الشمولية إلى آفاق العالم الإسلامي ، وبهذا الحس الصحافي المرهف وضع كنون أسسَ الصحافة الإسلامية في المغرب فكان رائدًا في هذا المجال تشهد له آثارُه على حسن التدبير وسعة الفكر وبعد النظر وعمق الفهم لما كان يجري على الساحة العربية الإسلامية من تطوراتٍ حفلت بها فترةُ ما بعد الحرب العالمية الثانية وخاصة مطالعَ الخمسينيات . وبذلك يكون كنون قد أخرج لأول مرة في المغرب الصحافةَ الإسلاميةَ من ضيقِ الفكر ومحدوديةِ الاهتمام إلى مجالاتٍ أرحبَ للرأي فيها مكانةُ الصدارة من منطلقِ الوعي بالتطور في دائرةِ القيمِ الإسلامية الثابتة .

لقد حملت (لسان الدين) لواء التجديد في الفكر الإسلامي السياسي[36] . يقول كنون في افتتاحية العدد المزدوج (1 ــ 2) من السنة العاشرة[37] . بمناسبة دخول (لسان الدين) سنتها العاشرة فيما يُعتبر كشفَ حسابٍ لعمله الصحافي بهذه المجلة :« لم نأل جهدًا في الدفاع عن الفكرة الدينية وتزييف ما يُوجَّه إليها من شُبَهَ وما يُعترض به عليها من أضاليل . وكان هدفنا في ذلك صيانةَ عقائد المؤمنين وتنويرَ أفكار الشباب لئلا يستدرجه إلى الإلحاد من يتصيد غفلاتِهِ الخطيرةَ فيوسوس له بما لا قِبَلَ له برده » .

ويضيف مُوضّحًا ومُقدّرًا عبء الجهد الذي اضطلع به في مجال التجديد

---

(36) توسعنا في دراسة مفهوم التجديد لدى كنون في القسم الأول (عبد الله كنون وموقعه في الفكر الإسلامي السياسي الحديث .) .

(37) جمادى الأولى ــ جمادى الثانية 1375 ــ يناير ــ فبراير 1956 .

والتطوير وفق المبادئ السلفية الصحيحة : « عَمِلْنَا على بثّ الفكرة السلفية ودعمها والتمهيد لها بين الطبقات الشعبية التي طالما استغل سذاجتها المستغلون فموّهوا عليها الترهات والأباطيل وأوهموها أن ذلك هو صميم الدين وهدى الأولين ، وكانت دعوتنا في هذا السبيل مصحوبة دائما باللطف واللين ، فلم نفتح قط باب المراء والجدل وبذلك كنا نبلغ إلى المراد من غير أن نصطدم بأحد .

« لقد سجلنا الحركة الفكرية والآثار الأدبية المهمة التي تصدر في العالم العربي بعامة والبلاد المغربية بخاصة ، ثم التقلبات السياسية والأحداث الدولية المهمة في العالم الإسلامي **مع إبداء النظر في ذلك والإدلاء بالتوجيهات المستوحاة من صميم السياسة الشرعية التي ينبغي أن تسير عليها الأمة الإسلامية جمعاء »** .

وفي تواضع جم وتقدير واع للإمكانيات التي توفرت للمجلة يقول كنون : « ولا يستكثرن القارئ هذا الكلام على مجلة صغرى كمجلتنا هذه ، فباستطاعته أن يتصفح أعدادها ويتمعن ما كتبناه في هذا الصدد بمناسبات مختلفة مما حققت الأيام قولنا فيه وحكمت بأن نظرنا هو السداد » .

ولقد وقفت على 99 بالمائة من مجموع الأعداد التي صدرت من (لسان الدين) سواء في عهد د . الهلالي أو في عهد كنون وقارنت ما قرأت فيها مع ما نشرته الصحافة العربية في تلك الفترة في المغرب والشرق العربي خاصة منها الصحافة الإسلامية فوجدت أن (لسان الدين) كانت أقوم منهجا وأهدى سبيلاً مع وجود الفارق الشاسع بين إمكانيات مجلة كنون وبين الوسائل التي توفرت للمجلات الأخرى .

لقد كان الإعلان الذي تنشره (لسان الدين) على ظهر الغلاف الأخير للدعاية للمجلة صادقًا بالمعنى الأخلاقي والصحافي للصدق . وكان الإعلان يتضمن هذه الكلمات :

« لسان الدين : هي المجلة الدينية الوحيدة بالمغرب تقرأ فيها دائما مقالات في

الإصلاح الديني بأقلام الغُير من علماء الإسلام وافتتاحيات تتناول المشاكل الدينية والاجتماعية بروح إسلامية عليا وتفسيرا سلفيا شعبيا خاليا من اصطلاحات العلوم للقرآن الكريم[38] . وكتبا كاملة أو ملخصات لكتب في السنة النبوية ودقائق علوم الشريعة » .

2 — **الأنوار** : كانت مجلة (الأنوار)[39] . قد أصدرها أحمد مدينة في تطوان سنة 1946 في الفترة التي كانت تصدر بها في هذه المدينة مجلتان أخريان هما (لسان الدين) و (الأنيس) . وهي مجلة شهرية تعنى بالمسرح والسينما والراديو[40] .

وقد ارتبط كنون بمجلة (الأنوار) ابتداءً من عددها السادس الصادر في شهر يناير من سنة 1948 كرئيس للتحرير إلى جانب صاحبها ، ومشرفٍ عامٍ هو حسين سلِيم صحافيّ تونسيّ كان مُقيما بتطوان .

وكانت صلة كنون بالمجلة قد بدأت من العدد الثالث (مارس 1946) الذي نشر به قصيدة بعنوان (القنبلة الذرية والدكتور نوبل)[41] ، وفي العدد الخامس (مايو 1946) نشرِ قصيدة ثانية بعنوان (المكتبة)[42] ..

وابتداء من العدد السادس[43] دخلت (الأنوار) طورا جديدا شكلا ومضمونا ، وصارت أقرب ما تكون إلى مجلة (الرسالة) لأحمد حسن الزيات التي

---

(38) بعد توقف المجلة واصَلَ كنون نشر هذا التفسير في مجلة (الإرشاد) التي تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية وجمعه في كتاب صدر عن دار الثقافة في الدار البيضاء بعنوان (تفسير سور المفصل من القرآن الكريم) .

(39) صدر العدد الأول من (الأنوار) في شهر يناير عام 1946 . في 16 صفحة من القطع الكبير ، مديرها الفني عبد الكريم داود ، وعنوان إدارتها 19 شارع محمد الطريس ، وكانت تطبع بالمطبعة المهدية .

(40) يقول أحمد مدينة إن ظروف الاحتلال جعلته يتحايل على السلطات الاستعمارية ليصدر المجلة بهذه الصفة بينما هي في الحقيقة منبر للوطنية المغربية وصوت الثقافة العربية الإسلامية .

(41) اقرأها في ديوان (لوحات شعرية) ص : 28 .

(42) اقرأها في ديوان (لوحات شعرية) .

(43) ربيع الأول 1367 هـ . يناير 1948 .

كانت تصدر عهدئذ بالقاهرة وتخلب الألباب بموضوعاتها وحسن إخراجها وجمال تبويبها . وقد سار كنون على هذا النهج الذي كان طابع عصره الأدبي إلى العدد 11 الصادر في مارس ـــ أبريل 1949 ، لتنزل المجلة بعده إلى مستوى أقل شكلا ومضمونا ، وتمضي في اتجاه متأرجح بين الصعود والهبوط . وهكذا استهل عمله في (الأنوار) بافتتاحية بعنوان (أيهما يكوّن الآخر المجلة أم القراء)[44] ، وجمع حوله حشدا من الأقلام الراقية ، فكتب في هذا العدد محمد عزيمان عن ابن العميد تحت عنوان رئيسي (نظرة إلى الأدب العربي في القرن الرابع الهجري) ومحمد حدو أمزيان عن (الإسلام والعنصرية) ، وكتب محمد بنونة موضوعا بعنوان (كما تكونوا يولى عليكم) ، ونشر محمد الطنجي قصيدة بعنوان (عبرة بجمال الكون) ، وكتب محمد عبد السلام بن عبود عن (قلب المرأة) ، وعبد العزيز الأهواني عن (قبل الرحيل) ، وكتب الكاتب الإسباني ذو الأصل العربي خليل بن أمية عن (مدريد شرفة العالم) ، ونشر محمد أحمد الخطيب دراسة جديدة ورائدة في الصحافة المغربية ولعلها في الصحافة العربية عموما عن (التليفزيون) ، ونشرت المجلة رسالة فنية لمحمد قشتيليو من مدريد ، وقصيدة بعنوان (قيمة الإنسان) للشاعر المهجري جورج صيدح من كراكس بفنزويلا ، وقصيدة بعنوان (الشباب المسلم) لمحمد البشير الإبراهيمي من الجزائر ، وقصيدة لإبراهيم الألغي بعنوان (دفاع عن القديم) ، ومقالا لمحمد الجباري عن (الإعلان في الأدب العربي) وآخر بعنوان (قيمة التكوين الخلقي في الأمة) لعبد الرزاق القادري ، وقصيدة بعنوان (الفن والأدب) لنجيب أبو ملهم .

وفتحت (الأنوار) صفحاتها للمرأة في سابقة لم تكن معهودة في الصحافة المغربية ، فنشرت في أول عدد أشرف عليه كنون مقالا بعنوان (نظرة إلى الماضي) لخديجة عبد الكريم اللوه ، ومقالا ثانيا بعنوان (طموح المرأة) بقلم ع . ب . من

---

(44) اقرأ المقال في (خل وبقل) ص : 207 .

مدرسة المعلمات ، ومقالا ثالثا بعنوان (إلى أين المصير) للكاتبة الإسبانية بيلار القصر مترجما عن الإسبانية . واهتمت المجلة ابتداءً من عددها السادس بالفن والرياضة ، فنشرت تحقيقا صحافيا عن (المعهد العالي لفن التمثيل العربي بالقاهرة) ، وموضوعا عن (تمرينات القوة والرشاقة واختبار العضلات) . وترجمت تحت عنوان (من روائع القصص الواقعية) قصة بعنوان (آل كابوني كيف قبضنا عليهم) . كل هذه الموضوعات نشرت في عدد واحد مما رفع من مستوى المجلة وجعلها من المجلات الراقية حتى بالمقاييس الصحافية المعتمدة اليوم .

وفي العدد السابع (الصادر في فبراير 1948) نشر كنون تحت عنوان (من تراثنا الأدبي) موضوعا عن (الحماسة الأدبية) . ويكتب في هذا العدد التهامي الوزاني ، وأحمد بن جلون ، وموسى عبود ، ومحمد العربي الشاوش ، ومحمد الحداد ، وكامل محمود بلال ، ومحمد العمرتي ، ومحمد الشاذلي خزنه دار (أمير شعراء تونس) ، وعبد الله الخطيب . وتنشر في هذا العدد عالية محمد عدول مقالا بعنوان (بنت اليوم تطالب بالمعرفة) .

وفي العدد 8 (مارس 1948 يكتب كنون عن (أبو العباس الجراوي)[45] . وتظهر أسماء جديدة : عبد السلام الديوري ، عبد الوهاب بن منصور ، أحمد الحرشني ، عبد القادر مقدم ، محمد حجاج ، محمد كنون ، شيخ الجبل[46] . ويظهر في هذا العدد اسمان نسويان جديدان هما : السيدة شمس الضحى بوزيد التي نشرت مقالاً بعنوان (الحذار من التقليد الأعمى) والآنسة أم كلثوم زوزيو التي كتبت عن (واجبات نحو الأبناء) . وينشر كنون في هذا العدد قصيدة تحت عنوان (قلب)[47] .

---

(45) انظر الجزء 6 من (ذكريات مشاهير رجال المغرب) .

(46) اسم مستعار للحاج محمد بنونة .

(47) ديوان (لوحات شعرية) ص : 55

ويستمر تطور مجلة (الأنوار) في اتجاه متصاعد تحت إشراف كنون ومسئوليته الكاملة ، ويلاحظ تغيير في تعريفها من (مجلة للمسرح والسينما والراديو) إلى (مجلة للآداب والعلوم والفنون) . وكان كنون قد كَتَبَ مُخاطِبًا جلالة الملك محمد بن يوسف في افتتاحية العدد السادس بقوله : « وها هم أولاء أفراد من هذه الأمة يقدمون بين أيديكم الكريمة ثمرة مجهوداتهم في سبيل بثّ العلم والعرفان لا في المغرب فحسب بل في كل أقطار الشمال الأفريقي ، ويريدون أيضا أن يقدموا برهانا قاطعا لإخوانهم في المشرق على أن هذا الشعب يسعى حثيثا كبقية الأمم العربية لإدراك أوفر نصيب من الحضارة والرقي » . ويحدّد الهدف من تولّيه مسئولية رئاسة تحرير (الأنوار) بأنه : (إيراد كل حديث مستطرف وبحث مستملح وفتح المجال أمام الكتاب والشعراء وكل من له صلة بالآداب والعلوم والفنون علاوة على ما ألفه الناس فيها (أي في المجلة) من أبحاث حول المسرح والسينما والراديو . ولنا وطيد الأمل لتصبح هذه المجلة مرآة للنهضة الفكرية في المغرب ولسان حال المثقفين المغاربة) .

وقد استطاع كنون أن يجعل من (الأنوار) مجلة أدبية ثقافية رفيعة المستوى ، إلى أن جاءت أحداث 20 غشت سنة 1953 لتدفع الظروف بالمجلة إلى أن تتحول إلى منبر لكفاح الوطنية المغربية . وهنا نجد كنون يكتب تحت عنوان (في الأفق السياسي) افتتاحيات سياسية قوية يوقع بعضها بأبي الوفاء وأحيانا لا يوقعها وإن كان نفسه وطابعه ظاهرين للعيان .

ويلاحظ أن المرحلة التي تبدأ من العدد الحادي عشر [48] . والتي لم يعد يظهر فيها اسم كنون كرئيس للتحرير عرفت تغيرا في المستوى ، واختفت فيها الأسماء الأولى ، وأصبحت كتابات كنون ذات طابع أدبي لغوي خالص وتنشر بتقديم (الأستاذ الكبير) . ولكن كنون عاد إلى رئاسة التحرير في فترة لاحقة وهي التي تميزت بدخول البلاد مرحلة المواجهة مع الاستعمار مما جعل كنون يتجه بالمجلة اتجاها

---

(48) مارس — أبريل 1949 .

سياسيا وطنيا ، فينشر مقالا عن (تاريخ الفدائية في الإسلام) يوقعه بأبي الوفاء [49] . ويكتب في العدد المزدوج (44 — 45) افتتاحية تحت عنوان (نحن العرب) موقعة بأبي الوفاء . وكان قد دخل في مواجهة فرنسا وأمريكا مواجهة عنيفة ، فكتب افتتاحية تحت عنوان (أمريكا .. بعد فرنسا) لم يوقعها[50] ، ونشر افتتاحية بلا توقيع أيضا عن (موقف إسبانيا من شعب المغرب ودولته)[51] . وكتب في آخر عدد صدر من (الأنوار)[52] افتتاحية سياسية تحت عنوان (الذاتية المغربية وعيد العرش) .

ويلاحظ أن كنون كان يجمع بين رئاسة التحرير في وقت واحد لمجلتين اثنتين : الأولى دينية والثانية أدبية ، وكان يوفق ، إلى حدّ الإتقانِ والنجاحِ الكاملين ، بين الاتجاهين في غير ما تعارض . وهذه سابقة غير معهودة في تاريخ الصحافة العربية على وجه الإطلاق . إذ لا نجد في تاريخ الصحافة العربية منذ نشأة هذه الصحافة من يجمع في وقت واحد بين رئاسة تحرير مجلتين اثنتين كلتيهما من المستوى الرفيع باستثناء حالة واحدة ، مع الفارق الذي يقتضيه الظرف المكاني ، هي حالة أحمد حسن الزيات الذي كان يصدر في وقت واحد مجلة (الرسالة) ومجلة (الرواية) . ولا يمكن مقارنة إمكانيات كنون الفنية والطباعية والمادية في ذلك العهد مع ما كان يتوفر عليه الزيات .

3 — **الميثاق** : أصدر كنون جريدة (الميثاق) [53] باسم رابطة علماء

---

(49) العدد 40 يناير — فبراير 1954 .
(50) العدد 37 سبتمبر — أكتوبر 1953 .
(51) العدد 39 نوفمبر — ديسمبر 1953 .
(52) العدد (44 — 45) — 1954 .
(53) صدر العدد الأول من (الميثاق) في 15 رمضان سنة 1382 هـ الموافق 20 فبراير عام 1962 . شعارها الآية الكريمة (أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق) طبعت أولا في مطبعة كريماديس ثم في المطبعة المهدية بتطوان ، وطبعت فترة بمطبعة (الأنباء) بالرباط قبل أن تطبع بطنجة .

المغرب في فترة حاسمة من تاريخ المغرب لتكون منبرا إسلاميا للدعوة والتجديد وأداة إعلامية لممارسة العمل الإسلامي في المجال الصحافي بقدر كبير من الفاعلية والجدية والمواظبة . واستمرت (الميثاق) في الصدور إلى قبيل وفاة كنون . وقد صدر العدد 584 في 14 شوال سنة 1409 هـ الموافق 16 مايو عام 1989 م . وهو آخر عدد يصدر من هذه الجريدة التي كافح كنون من خلالها الكفاح الإعلامي المستميت لإبلاغ الرأي الإسلامي والوطني إلى الجمهور الواسع من المواطنين ، وذلك من خلال المشاركة الفعالة في معارك الرأي والموقف التي عاشها الشعب المغربي والشعوب العربية الإسلامية في العقود الثلاثة الأخيرة .

وبالرغم من أن (الميثاق) متواضعة جدا من ناحية الشكل بسبب إمكانيات الطبع والإخراج فإن افتتاحياتها كانت تمثّل مدرسة صحافية متميزة من الوجوه كافة سواء من حيث المضمون الذي يمتاز بالخصوبة والثراء والجدية إلى شجاعة أدبية ووضوحٍ فكري والتزامٍ سياسي ، أو من حيث الشكل الذي يأخذ بأحدث الأساليب الفنية في كتابة الافتتاحية على أساس من التركيز والاستقطاب والصياغة الجامعة لأطراف الموضوع إلى عمق التحليل وواقعية التعليق مع سلاسة العبارة وجزالة اللفظ وجمال اللغة . وهذه الميزات لافتتاحيات كنون في (الميثاق) هي التي جعلت منها نموذجا رفيع المستوى للكتابة السياسية الإسلامية بدرجة ترتفع بقيمة الجريدة حتى مع الشكل الذي لا يتناسب والمضامين الراقية التي يعالجها كنون . وتشكل افتتاحيات (الميثاق) مجموعة نفسية من الكتابات السياسية الراقية التي عرفها الإعلام الإسلامي في مرحلة المواجهة مع عوامل الهدم والإحباط التي عاشتها الأمة الإسلامية . وهي من حيث جمعها بين قوة الأسلوب ومتانة السبك وبين شمولية الرؤية وشجاعة الرأي تفوق من حيث القيمة الفنية والأثر السياسي ما كان يكتبه كبار الكتاب العرب الذين عملوا في الصحافة الإسلامية منذ ظهورها خاصة منهم ذوي الأساليب الراقية أمثال رشيد رضا في (المنار) ومحب الدين الخطيب في (الفتح) ومحمد البشير الإبراهيمي في (البصائر) ، وهؤلاء الثلاثة هم رواد الصحافة الإسلامية وفطاحل الكتابة السياسية من منظور إسلامي قبل أن تتعدد المنابر الإعلامية الإسلامية وتزدهر الصحافة التي تأخذ بالاتجاه الإسلامي .

ومن حسن الحظ أن كنون جمع بعض افتتاحياته في (الميثاق) ضمن مجموعاته الإسلامية [54] . ولا يزال العدد الوافر منها دفين مجلدات الجريدة ، وهي ، بكل المقاييس الإعلامية والسياسية والإسلامية ، ثروة فكرية جديرة بالعناية بها والتفرغ لجمعها وتحليلها ودراستها وفق أحدث الأساليب العلمية [55] .

كانت (الميثاق) من صحف الرأي ولم تعن كثيرا بالخبر والتحقيق والفنون الصحافية المعروفة . وباستثناء عمودين على الصفحة الأخيرة تنشر فيهما الأخبار تحت عنوان ثابت (في المحيط الإسلامي) فقد خلت صفحاتها من الطابع الصحافي ما عدا ما كانت تنشره لبعض الكتاب من تعليقات إسلامية عامة لم يكن يراعى فيها العامل الزمني ، وهي في معظمها إلى المقالات الإنشائية أقرب منها إلى الكتابات الموضوعية التي تأخذ بأدوات التحليل والمعالجة الفنية والتخلص إلى إبداء الرأي في إطار من الانضباط الفكري ومراعاة مقتضيات الأحوال . وذلك بخلاف افتتاحيات كنون التي كانت نسيج وحدها .

وقد نشر كنون في (الميثاق) سلسلة حلقات تحت عنوان (شخصيات مغربية) ترجم فيها لأعلام المغرب الذين لم تشملهم موسوعته (ذكريات مشاهير المغرب) أمثال عبد السلام بن مشيش ، بن عجيبة ، الحراق ، كنون . كما نشر مقالات متنوعة في موضوعات شتى . ولكن أهم كتابات كنون في (الميثاق) هو ما جمع معظمها في كتبه ، خاصة كتاب (معارك) الذي يضم معاركه القلمية في هذه الجريدة حول أهم القضايا التي شغلت الرأي العام المغربي ؛ منها قضية التعليم الديني ، وقضية جامعة القرويين ، وقضية محاكمة البهائيين ، وقضية التعريب ، وقضية الخمر ، وقضية الصحافة الأجنبية في المغرب .

ويمكن القول إن العمل الصحافي الذي مارسه كنون في (الميثاق) هو أخصب وأغزر وأشجع عمل فكري أنجزه في حياته العلمية كلها . فلقد انغمر كنون في

---

(54) انظر الكتب التالية : معارك ، شئون إسلامية ، منطلقات إسلامية .

(55) قمنا بتحليل مضمون بعض هذه الافتتاحيات في القسم الأول من هذا الكتاب (عبد الله كنون وموقعه في الفكر الإسلامي السياسي الحديث) .

خوض سلسلة من المعارك العنيفة دفاعا عن عروبة المغرب وإسلامه ونصرة لقضايا الحرية والكرامة في العالم العربي الإسلامي . ولم يكن يقصر اهتمامه على القضايا الوطنية المحلية فحسب ، وإنما كانت عنايته تمتد لتشمل جميع القضايا الحيوية التي تشغل اهتمام الرأي العام العربي الإسلامي . وتشهد مجلدات (الميثاق) التي تضم 584[56] عددا على مدى الجهد الذي بذله كنون لخلق رأي عام إسلامي مستنير وواع . وكان لي شرف العمل مع كنون في مطالع السبعينيات قريبًا منه في طنجة كسكرتير تحرير (الميثاق) وشهدت عن كثب مبلغ حرصه ودقة عنايته وقوة جلده وشدة حيويته في القيام بعمله الصحافي ، فكان ، بحق ، مثالَ الصحافي المثالي الذي يتخذ من الصحافة وسيلة للدعوة إلى المبادئ السامية والمثل العليا والمنهج الفكري والحياتي الذي يراه صالحا للتطبيق في كل وقت وحين وتحت أي ظروف .

4 ــ **الإحياء** : أصدر كنون باسم رابطة علماء المغرب مجلة (الإحياء)[57] . امتدادا لجريدة (الميثاق) . وقال في افتتاحية العدد الأول التي نشرت بدون توقيع وإن كان نَفَسُ كنون مهيمنا عليها ناطقا باسمه : « منذ أنشأنا رابطة علماء المغرب وأملنا أن نصدر مجلة باسمها ، وكثير من إخواننا كانوا يرون تقديمها على الجريدة التي ننشرها من نحو ثماني عشرة سنة ، ولكن (الميثاق) كانت في نظرنا وما تزال وصلة بيننا وبين الجمهور الذي تذكره وتوعيه وتبصره بما يجب أن يعرفه من أمور العقيدة وعزائم الشريعة ، وما عليه أن يعلمه عن سير الحركة

---

(56) آخر عدد من (الميثاق) يحمل رقم 584 ، وصدر بتاريخ 10 شوال 1409 هـ 16 مايو 1989 .

(57) (الإحياء) مجلة إسلامية جامعة شعارها الآية الكريمة (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) . صدر العدد الأول في رجب 1401 هـ الموافق ماي 1981 م . وهي مجلة نصف سنوية من حجم 7 و 26 سم × 19 سم صدرت عن مطبعة البوغاز بطنجة . تتكون هيئة تحريرها من : 1 ــ عبد الله كنون أمين عام رابطة علماء المغرب ، 2 ــ الرحالي الفاروقي عميد كلية الدراسات العربية ، 3 ــ أحمد بن شقرون عميد كلية الشريعة ، 4 ــ محمد حدو أمزيان عميد كلية أصول الدين ، ويتولى سكرتارية الإدارة والتحرير عبد الصمد العشاب . وقد صدر منها 12 عددا في 6 مجلدات . وتوفي كنون والمجلد السابع تحت الطبع .

الإسلامية في العالم ، ويثير اهتمامه بقضايا إخوانه المسلمين في الشرق والغرب ، تمثّلا لقوله ﷺ « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » . وهي إلى ذلك تعلق على الخبر بما يطلع القارئ على خلفيته ، وتطوق الحدث بما يحدد موقعه من خارطة العالم الإسلامي ، وتحرص على ألاّ يُستغل الأخ المسلم من جهة السياسة الموجهة ولا من جهة الإعلام المشبوه بما يجعله إمعة يقول : سمعت الناس يقولون شيئا فقلته ، وهذا لا يتأتى إلا بالجريدة التي تواصله من قريب ، ولا تغب زيارته من حين إلى حين . فالميثاق إذن باقية كما كانت ، ونؤمل لها أن تستمر في خطتها التي جعلتها عميدة الصحف الإسلامية في هذا الوطن العزيز ، إلى جانب (الإحياء) التي نخصصها للأبحاث العلمية والدراسات الإسلامية والموضوعات المختلفة التي يتناولها علماؤنا في مقالات مطولة فكنا نختصرها أو نقسمها فننشرها على حلقات ، وربما لم نتمكن من نشرها أصلا ، ولكنها الآن تجد في أنهر (الإحياء) فسحة وفي صفحاتها متسعا فلن يكون هناك ما يحجب نشاط علمائنا ويمنعه من الظهور فمجلتهم مفتوحة الصدر لأي إنتاج في أي مجال من مجالات المعرفة ، بشرط أن يكون تناوله من منظور إسلامي تصحيحا للأخطاء التي يقع فيها الكثيرون ، ووضعا للأمور في نصابها حتى يغطي النقص الذي نتحسسه جميعا في ساحة الثقافة الإسلامية الأصيلة التي تكتسحها الثقافة البلاستيكية الهجينة في أكثر من مجلة عربية ذات مظهر خلاب .

ويبرر كنون صدور (الإحياء) فيقول : « ولربما قيل إن المجلات الإسلامية كثيرة ، وبعضها مما له إمكانات لا يتيسر القليل منها لرابطة العلماء فلا يعدو الأمر أن تضاف مجلة فقيرة إلى عداد المجلات الأخرى التي تملأ السوق ، ولكن هذا القول مردود بأن مجلات الكفر والإلحاد أكثر ؛ فمهما صدر من المجلات الإسلامية فإنها لا تبلغ عدد تلك المجلات الضالة المضلة ، والفكرة الصائبة والرأي السديد قد يوجدان في المجلة التي لا تتوفر لها الإمكانات المذكورة ، ويعرض بعضهم بالمكافآت التي تعطيها المجلات المحظوظة للكتاب ، ومن الواضح أن الإجادة لا تقترن حتما بالتعويض ، فالكاتب الذي يحترم نفسه إنما يكتسب بدافع ذاتي ، سواء عوض أم لم يعوض ، فإن كتابته لا تختلف ، وقديما كانوا يقارنون بين من يكتب ما يراد منه وبيْن من

يكتب ما يريده هو . على أن الباعث الحقيقي هو أن يتحرك علماؤنا ويسهموا في حركة الإصلاح والدعوة والتجديد بما تجود به قرائحهم وتنفثه أقلامهم ، ويتحولوا من مستهلكين إلى منتجين . وقد أُمرنا بالتبليغ ، ومن أهم وسائله اليوم المجلة التي تتخطفها الأيدي وتغذي العقول باللباب والخلاصة من حقائق العلم والمعرفة ، وها نحن قد وضعناها بين أيديهم ولم نستمع لأي صوت ينادي بالرجوع إلى الوراء ، ولا لأي تثبيط يجعل رابطة علماء المغرب وحدها التي لا تدلي بدلوها في هذا المجال » .

ولعل أول ما يطالعنا في افتتاحية العدد الأول من (الإحياء) هذا العزم القوي الذي يحدو كنون والذي لا يقل شدة وعنفوانا عن الإرادة التي كانت تحفزه إلى شق طريقه في دنيا الصحافة في الأربعينيات . وهذا ما يكسب صحافة كنون صفة التحدي والإصرار . ولذلك جاءت (الإحياء) تتمة لـ (لسان الدين) ولـ (الميثاق) في الدفاع عن الفكرة الإسلامية والإسهام الجدي في تطوير الفكر الإسلامي مع فارق موضوعي من مجلة إلى أخرى تبعا لطبيعة كل منبر ومقتضيات ظروف النشر . وأكاد أضيف إلى ذلك حكم عامل السن . ولذلك كان مما يتفق وطبائع الأشياء أن تعنى (الإحياء) بالبحوث الطويلة الرصينة وبالدراسات المتأنية وأن تخلو بالمرة من التعليقات ومقالات الرأي الذي يواجه الأحداث ويسايرها ويصطدم مع الظواهر القائمة سواء في المجال السياسي والاقتصادي أو في المجال الثقافي والفكري . ونحن نلمس هذا النفس الرصين والسمت الرزين والأسلوب المعتدل في مواد العدد الأول التي تراوحت بين المقالة المستفيضة وبين البحث المطول .

ويلاحظ أن د . محمد تقي الهلالي أول من يقرأ لهم من كتاب هذا العدد : فقد تصدّرت دراستُه المعمقة حول (البراهين الإنجيلية على أن عيسى داخل في العبودية ولا حظ له في الألوهية)[58] موادَ القسم الأول الخاص بالمقالات والبحوث

---

(58) (الإحياء) — ع 1 — م 1 — ص 9 .

الإسلامية وتستغرق 17 صفحة . وهذه من الدراسات النفيسة التي ترفع من شأن كاتبها وتعلي من مقام المجلة . ود . الهلالي من المتخصصين في هذا الفرع من الأبحاث الإسلامية والمقارنة لاطلاعه الواسع ، وهو ما أضفى على (الإحياء) الصبغة العلمية والأكاديمية وجعلها من المجلات الراقية ذات المستوى الرفيع لا من حيث الشكل ولكن من حيث المضمون الغني والمحتوى الدسم . وهذا هو المستوى الذي تعكسه لنا أبحاث العدد الأول وهي بعد دراسة د . الهلالي (المحكم والمتشابه في القرآن) لعمر الحاج عبد المؤمن ، و (موقف الإسلام من التجديد) لمحمد حدو أمزيان ، و (تهذيب الأخلاق) لأحمد بن شقرون ، و (ذنوب وخطايا وعهود ووصايا) للرحالي الفاروقي ، و (التقدير الإيجابي للمسيحيين تجاه النبي محمد ﷺ) للدكتور ميكيل دي إيبالثا من جامعة مدريد .

وفي الدراسات المنوعة نقرأ بحثا لمحمد الطنجي بعنوان (العلامة ابن خلدون وتاريخ المغرب) و (دور المؤسسات الدينية في مقاومة الانحراف ووقف الجريمة) لمحمد الغريسي ، و (التضخم السكاني والعالم الإسلامي) للقصير الأيوبي ، وفتوى دينية مطولة في تسع صفحات بعنوان (لا زكاة في حلي النساء) لمحمد المرابط الترغي ، ودراسة (حول التقويم الهجري الموحد 1402) لمحمد بن عبد الرزاق . ونشرت المجلة في عددها الأول خطبة جمعة لعبد الحفيظ كنون بعنوان (الإسلام سبب السعادة في الدارين) ، وقصيدة بعنوان (رسالة العلماء) لمحمد بن محمد العلمي ، وعرضا لكتاب (النصوص الظاهرة في إجلاء اليهود الفاجرة) لأحمد بن أبي الرجال بتحقيق د . عبد الهادي التازي . ويلقي عبد الله كنون في هذا العدد (نظرة في المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب) للمستشرق دوزي وترجمة د . أكرم فاضل تستغرق 12 صفحة . وتنشر المجلة النص الكامل للدرس الديني الذي ألقاه كنون مفتتحا به سلسلة الدروس الحسنية في رمضان عام 1395 تحت عنوان (معجزة القرآن الكريم) . ويشتمل هذا العدد على خمسة تقارير صحافية مطولة عن احتفال رابطة علماء المغرب بمطلع القرن الخامس عشر الهجري ، ودورة القدس ومنظمة التحرير الفلسطينية في أكاديمية المملكة المغربية ، والمؤتمر الثامن لرابطة علماء المغرب

بالناظور ، وتنصيب المجالس العلمية الإقليمية ، والدورة 23 للمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي . ويلاحظ أن كل هذه التقارير الصحافية عن خمسة أحداث علمية وإسلامية من وضع كنون وإن لم يوقع عليها ، وذلك لسببين اثنين ؛ أولهما مشاركته في جميع هذه الأحداث مشاركةً رئاسةٍ أو مساهمةٍ فعالة ، وثانيهما أن نَفَسَ كنون فيها واضح وأسلوبه ظاهر . وقد صدر العدد الأول في 237 صفحة .

وقد سارت (الإحياء) على هذا النهج الصحافي ذي المستوى الرفيع . ومما امتازت به نشرها للدروس الدينية الأخيرة التي ألقاها كنون في رمضان وختم بها نشاطه في هذا المجال لظروفه الصحية ، إضافة إلى خطبه المنبرية التي كان يلقيها بين الحين والآخر .



ملامح عامة لمدرسة كنون الصحافية :

وضح لنا من خلال هذا البحث أن المدرسة الصحافية التي أسسها كنون منذ سنة 1948 إلى أن توفاه الله في سنة 1989 قامت على جملة مبادئ نوجزها فيما يلي :

أولا : الريادة والابتكار والتجديد . فلقد ساهم كنون مساهمة فعالة في تطوير الصحافة المغربية الإسلامية منها أو الأدبية بما يعد فتحا يسجل له ويعتبر في نفس الوقت وبكل المقاييس عملا رياديا غير مسبوق ، فقد تناول موضوعات جديدة وخاض في قضايا ليست مطروقة وعبر عن الرأي الإسلامي الجريء وسط بيئة كان يغلب عليها التزمت والتوقع والانعزال عن تيار الحياة الفكرية والعقلية . وكان شجاعا شجاعة أدبية لا تُبَارَى في طرح وجهاتِ نظرٍ على قدر كبير من الاستقلال في أمور وقضايا حيوية تتصل بحاضر المجتمع الإسلامي المغربي ومستقبله مثل قضية المرأة ، وقضية الحكم والسياسة في الإسلام ، وقضية سلطة العلماء ودورهم في المشاركة في تسيير شئون البلاد ، وقضية الاستقلال الوطني في مفهومه الشامل الذي يتعدى جلاء قوات الاحتلال وصدور بيان إعلان الاستقلال السياسي . وأبان في كل هذه القضايا عن شخصية إسلامية غير عادية تشارك في تطوير البلاد مشاركة سياسية واعية ورشيدة . ولذلك كان كنون رائد مدرسة الرأي في الصحافة المغربية دون منازع ، بقدر ما كان أحد كبار قادة الرأي الإسلامي في الصحافة العربية الإسلامية .

ثانيا : الوضوح والواقعية والثبات . لقد كان كنون يتعامل مع الصحافة من موقع متميز ، فلم تكن الصحافة مهنته ، وإنما كانت جزءا مكملا للعمل الإسلامي الكبير الذي نذر نفسه له . وهذا ، في رأيي ، هو بالإضافة إلى تكوينه الديني المتين الذي أكسبه مزايا خلقية عالية ، أحد الأسباب التي جعلته يمتاز بثلاث سجايا عقلية وفكرية ما إن تتوفر في شخصٍ إلا وتفجر في نفسه طاقاتِ العمل النافع الذي يخدم به أمته والإنسانية جمعاء ؛ وهي أولا الوضوح في الرؤية وفي الفكر وفي التصوُّر الذي

ينعكس وضوحا في أسلوب التناول ، وفي وسيلة العرض ، وفي طريقة العمل ، وثانيا الواقعية في الممارسة والتطبيق للأفكار والآراء ووجهات النظر التي تقتضيها الظروف القائمة والحالات السائدة ، وثالثا الثبات على المبادئ ، والثبات في العمل ، والثبات في مواجهة المشكلات الطارئة والعوارض الناتجة عن تفاعلِ التحديات مع معطيات الواقع الموسوم بطابع الاحتلال الأجنبي .

ثالثا : الوعي السياسي بطبيعة المرحلة . كان كنون واعيا وعيا رشيدا لطبيعة المرحلة التي عاشها مناضلا في الساحة الصحافية سواء في عهد الحماية أو في عهد الاستقلال ؛ ولذلك تعامل بحذر شديد وفطنة بالغة وتبصر متفتح مع الواقع المحيط به . ولم يترك ثغرة تفسد عليه ما هو بصدده من عمل كبير يخدم به شعبه وأمته ، ولم يخلف وراءه في كل المعارك الفكرية والصحافية التي خاضها ما يشكّل له حرجا وإزعاجا أو ملاحقة من أي نوع . وإنما وعلى العكس من ذلك تصرف بذكاء في جميع مراحل عمله الصحافي ، وفهم العصر ، وعرف الموقع الذي ينطلق منه ، وتعامل مع حقائق الواقع لا مع أوهام الخيال . وهذا ما جعل نشاطه الصحافي مطبوعا بقدر كبير من الذكاء السياسي ومنطويا على وعي بالغ الرشد ، فسح له المجال واسعا لمواصلة أداء الدور المنوط به في حظيرة العمل الإسلامي محليا وإقليميا ودوليا ، وهو الدور الذي بَوَّأَ كنون أعلى منزلةٍ في تاريخ الصحافة المغربية والعربية والإسلامية ، وجعله رائدا للإعلام الإسلامي الذي لا يفصل في مفهومه بين الصحافة الأدبية والثقافية وبين الصحافة الدينية ، ولا يُقيم اعتبارا لهذه التقسيمات التي تتعارض والرؤية الإسلامية إلى رسالة القلم والفكر .

الفصـل السـابـع

عبد الله كنـون في مرآة الصحافة

أجرت الصحافة العربية والإسلامية عشرات المقابلات واللقاءات مع عبد الله كنون . وقد أتيح لي أن أطلع على معظمها في الصحافة المغربية وصحافة البلاد العربية والإسلامية . وكنت أجريت مع كنون لقاءات صحافية وإذاعية نشر جلها في جريدة (عكاظ) السعودية على فترات متباعدة . وأذيع بعضها من إذاعة الرباط . غير أن أهم هذه المقابلات التي تكتسي طابعا عاما هي التي ندرج مصادرها فيما يلي بحسبانها تلقي الأضواء على جوانب مهمة من حياة الرجل وعلمه وجهاده الفكري والسياسي وذلك وفقًا لترتيبها الزمني .

1 ــ مجلة (**الرسالة**) ، القاهرة ، العدد 1110 ، ذو الحجة 1384 هـ ، أبريل 1965 ، السنة الثانية والعشرون . أجرى المقابلة محمد الدسوقي (د . محمد الدسوقي فيما بعد) ، ونشرت تحت عنوان : (عبد لله كنون يتحدث عن الحياة الأدبية والفكرية في المغرب العربي) على الصفحتين 40 و 41 . وتحدث كنون في هذه المقابلة عن الموضوعات التالية : البدايات الأولى للنهضة الأدبية المعاصرة في المغرب بعد الحرب العالمية الأولى ، تأثير الأدب الفرنسي في الأدب المغربي المعاصر ، حركة الشعر الجديد في المغرب ، مشكلة الفصحى والعامية وصداها في الأدب المغربي ، الغزو الفكري في المغرب ، دور الأدب في قضية الوحدة العربية .

2 ــ مجلة (الفيصل) ، الرياض ، العدد 16 السنة الثانية ، شوال 1388 ، أكتوبر 1978 . وقد أجرى المقابلة محمد القاضي ونشرت تحت عنوان (الأدب المغربي والتراث) . وقد تحدث كنون في هذه المقابلة عن الموضوعات التالية : العلاقة بين الأديب المغربي المعاصر والتراث العربي ، ركود الحركة الفكرية ، الترجمة هي التي تنقل الأدب إلى مجال العالمية ، الأدب العربي بحكم عالمية الثقافة الإسلامية يتوفر على عناصر قلما يتوفر عليها غيره من الآداب العالمية .

3 ــ مجلة (**الأمة**) ، الدوحة ، عدد صفر 1403 ، ديسمبر 1982 . وأعيد

نشر المقابلة في (كتاب الأمة) عدد 18 الصادر تحت عنوان (فقه الدعوة : ملامح وآفاق) . وتقع المقابلة في 15 صفحة ، وقدمت لها المجلة بتعريف مركز بكنون . وقد تحدث عبد الله كنون في هذه المقابلة عن كتاباته الأولى في الصحافة المغربية والجزائرية والتونسية والمصرية ، وعن أهمية اللغة العربية ودورها في حماية الشخصية الإسلامية في المغرب ، وعن المدارس الحرة . كما تحدث عن محاولات تصفية القرويين ، وعن رابطة علماء المغرب ، وعن الصحوة الإسلامية ، وعن علاقة بعض الحكام بالحركة الإسلامية ، ووجّه كلمة إلى العاملين في حقل الدعوة والعمل الإسلامي .

وقد نقلت هذه المقابلة جريدة (الرسالة) .

4 ــ مجلة (**الكرمل**) لسان الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، العدد 11 سنة 1984 . أجرى الحوار محمد بنيس ومحمد البكري ويستغرق الصفحات من 132 إلى 151 . وهو بذلك يعتبر أطول مقابلة صحافية تنشر في الصحافة مع عبد الله كنون . ونشر هذا الحوار تحت عنوان : (عبد الله كنون : التقليد والتجديد) . ولا تتوفر المعلومات التي تتضمنها هذه المقابلة في أي مصدر آخر ، فهي من الكثرة والتنوع بحيث تغطي جوانب عديدة من حياة كنون ، ولهذه المقابلة أهمية توثيقية وبيليوغرافية قصوى وقد نشرت ضمن مواد العدد الخاص عن الفكر والأدب المغربيين الذي صدر من هذه المجلة .

5 ــ مجلة (**الفيصل**) ، الرياض ، العدد 137 ، السنة 12 ، ذو القعدة 1408 ، يونيو 1988 . أجرى المقابلة أحمد المسناوي ، وتقع في 4 صفحات . وهي المقابلة الأولى التي تجريها (الفيصل) مع كنون . وتحدث عبد الله كنون في هذه المقابلة عن المفهوم الموسوعي للمثقف ، مكتبته ، حيث يورد معلومات عن إيقافه لمكتبته الحافلة[1] . رابطة علماء المغرب ، وظيفة الشعر ، كتاب النبوغ المغربي ، مكونات ثقافة كنون .

---

(1) مكتبة عبد الله شارع عمرو بن العاص رقم 9 (المتفرع عن شارع محمد الخامس) طنجة .

خــاتمــة

ماذا بقي من عبد الله كنون ؟

خاتمة

الخلاصة الوافية التي نخرج بها من تأمل حياة عبد الله كنون العريضة الحافلة بالجهد الشاق والدأب المستمر والثبات على المبدأ لنصرة قضايا الإسلام والدفاع عن حقوق المسلمين هي أن الرجل رحمه الله لم يكن يرى المغرب وطنه الصغير والعالم العربي الإسلامي وطنه الكبير إلا وعاء للإسلام وحصنا لقيمه ولمقوماته ولمبادئه ولحضارته ، له وحده حق السيادة والنفوذ وقيادة الحياة وتوجيه الإنسان وضبط النشاط البشري في مختلف المجالات وفق أحكام الشرع الحنيف ، فلم يكن يرى لأية فكرة أو عقيدة أو مذهب أو اتجاه أيديولوجي الصلاحية للإحلال محل الإسلام ولممارسة دوره المشروع تحت أية دعوى .

عاش كنون حياته وأوقف فكره وجهده على فكرة أساسية هي أن السيادة في المغرب لن تكون إلا للإسلام لا لأنه (الدين الرسمي) للدولة بحكم الواقع والتاريخ والدستور ، بل لأنه الدستور ذاته وجماع التاريخ والحضارة والتراث ، وهو فوق الدستور لأنه هو الأصل وهو الأساس في الكيان الوطني المغربي .

وكان فهم كنون لهذه القضية التي دار جهاده العلمي والفكري حولها أزيد من ستين عاما على قدر كبير من الاستنارة والتفتح والوعي الحضاري والنضج السياسي . فلم يكن يرى القضية في إطار ضيق وإنما كان ينظر إلى الواقع المغربي وإلى المحيط العربي الإسلامي نظرة شمولية تستقطب جميع جوانب الصورة وينتهي به الأمر إلى الرأي الذي التزم به ودافع عنه ونذر نفسه له ولم يقصر قط في الوفاء بمقتضيات هذا الالتزام وهذا الدفاع .

هذه واحدة ..

أما القضية الثانية التي ناضل كنون في سبيل أن تكون لها الأولوية فهي اللغة العربية التي هي لسان المغاربة وجزء أساسي من هويتهم ورمز سيادتهم واستقلالهم

اللغوي والفكري الذي هو أساس الاستقلال الاقتصادي والسياسي ؛ أي الاستقلال الوطني على وجه الإجمال . وكان كنون لا يقبل تراجعا عن هذا المبدأ ولا يرضى بالتنازل أو بالتفريط أو بالمساومة بهذه القضية ، وكان المغرب في نظره وفي يقينه واعتقاده هو المغرب الذي يدين أهله بالإسلام ويحتكمون في كل شأن من شئونهم إلى الشريعة الإسلامية ولا يتكلم شعبه بلغة سوى اللغة العربية في حياتهم اليومية ومعاملاتهم الحياتية ولا تسير إدارته ومرافقه إلا باللغة العربية بلا مزاحمة أو منافسة أو ضغط من لغة ثانية . ورأي كنون في هذه المسألة الذي نشره في مؤلفاته يقوم على أساس أن اللغة جزء من السيادة مثلها مثل الوحدة الترابية وأن التفريط في اللغة هو بمثابة التفريط في السيادة ، وأن القضية بهذا الاعتبار لا تقبل أخذا أو ردا ولا تخضع للحسابات السياسية أو لأي ضرب من التحالفات الدولية . وكنون في هذا المعنى واضح الوضوح كله وصريح مطلق الصراحة وهو بذلك يستجيب للحقيقة التاريخية المغربية إضافة إلى أنه يعبر التعبير الوافي المبين عن الإرادة الشعبية التي لا موجب لأي تردد أمام الإذعان لها .

إن المبادئ التي ناضل كنون من أجلها النضال الطويل المرير الذي استنزف منه كل طاقة تقوم على أساس واحد هو أن تكون السيادة للإسلام وللعروبة في المغرب فقط بل في جميع أوطان الإسلام والعروبة . ولذلك كان كنون مفكرا إسلاميا على مستوى العالم الإسلامي . وليس غريبا أن يتناول كنون في كتاب واحد له جملة قضايا إسلامية دولية . ففي كتاب بعنوان (شئون إسلامية) يكتب عن (النهضة الإسلامية في سيلان) و (إيران تمنع الخمر في حفلاتها) و (تونس تخوض معركة الحرية) و (لبنان يتحرك) و (تدويل القدس) و (امتحان الحركة الإسلامية في باكستان) و (الجزائر في الميدان) و (قضية اتحاد إرتيريا والحبشة) و (محنة الإسلام في يوغوسلافيا) و (المسلمون في الفلبين) و (المسلمون في قبرص) و (المسلمون في كوريا) ويعالج في هذا الكتاب موضوعا على قدر كبير من الأهمية تحت عنوانين ؛ الأول : (متى تكون لنا سياسة إسلامية) ، والثاني : (ظهر الآن سر التآمر على الخلافة الإسلامية) . هذا مفكر من مستوى عالمي له اهتمامات بمجموعة قضايا الأمة الإسلامية ، والأساس الذي تقوم عليه مواقفه ثابت لا يتغير هو أن تكون السيادة للإسلام وللغة العربية . وهذا هو المعنى الباقي من عبد الله كنون .. رحمه الله .

ملاحق



أولا : في العمل الصحافي

أربع رسائل تلقاها عبد الله كنون من محمد داود تكشف عن جوانب من تعاونه مع صاحب مجلة (السلام) التي مارس كنون على صفحاتها العمل الصحافي غير المباشر في أول عهده بالصحافة . الرسائل منشورة في مجلة (دار النيابة) — العدد 8 السنة 2 خريف 1985 .

— 1 —

رسالة من الأستاذ محمد داود إلى الأستاذ عبد الله كنون يخبره فيها بقرب صدور مجلة « السلام » طالبا منه المساهمة فيها بقلمه (20 ربيع الثاني 1352 / 12 غشت 1930) .

تحريرا بتطوان في 20 ربيع الثاني عام 1352

حضرة الأخ العزيز الأستاذ سيدي عبد الله كنون

السلام عليكم ورحمة الله .

وبعد

فقد كنت قدمت إلى المقيم العام هنا بتاريخ 28 يوليو الماضي عريضة إصدار مجلة شهرية مصورة جامعة باسم « السلام » ، وأمس تاريخه قبضت الجواب الرسمي عن ذلك وفيه السماح بإصدار المجلة المذكورة . وعليه فلم يبق لنا أيها الأخ إلا العمل الجدي حتى نبرهن على رجولتنا أو على إخلاصنا لأمتنا ووطننا ولغتنا وتاريخنا .

لقد كنت بينت لك برنامج المجلة وربما زرتكم بحول الله قريبا وزدتك بيانا . أما الآن فمطلوب من أخوتك أن تهيىء ما يمكنك تهيئته من الموضوعات التي أترك لك الحرية التامة في انتخابها إلا أن لي ملاحظة أرجو سماعها ولكم النظر النهائي في

قبولها أو رفضها ، وهي أنه ما دامت لدينا موضوعات نعتقد أن أحدنا باعه فيها أطول من غيره ، فإن الأولى والأفضل أن يتقدم ذلك الشخص لطرق ذلك الموضوع . وقد لاحظت منك أن لك ذوقا جيدا وامتيازا خاصا على كثير من الإخوان بفهمك لأدبنا المغربي واعتنائك بدراسته . والحالة هذه أرى أن تخصص للمجلة فصلا شهريا في هذا الموضوع حتى يعرف الناس في الداخل والخارج ، أن في المغرب أدباء قديما وحديثا ، وأنه نبغ في وطننا أشخاص يفتخر بهم العلم والأدب والفن . وهذا موضوع أعتقد أنك إذا طرقته رفعت به اسم المغرب .

وإنني بمناسبته أذكر لكم أنني جعلت من بين فصول المجلة فصلا خاصا بالأدب . والأدب كما تعلم قديم وحديث ، والقسم الأخير تكفل به وتخصص له الأخ النابغة الأستاذ عبد الخالق الطريس ، فبقي القسم الأول ولا أرى غيرك يقوم مقامك فيه . وسأطلب من الأخ الطريس أن يدفع لي ما يكتبه في الأدب الحديث لأطلعك عليه في زيارتي المقبلة لطنجة بحول الله . فاكتب لنا أيها الأخ بملاحظاتك وإرشاداتك ، وأرسل إلينا ما يمكن إرساله « شعرا » ونثرا مما لم يسبق نشره مطبوعا .

أما العدد الأول الذي حضرت جل مواده فسيصدر أثناء الشهر المقبل بحول الله وإلى الملتقى أيها الأخ الكريم .

محمد داود



— 2 —

رسالة من الأستاذ السيد محمد داود إلى الأستاذ عبد الله كنون يخبره فيها بتردد الحكومة الإسبانية في الترخيص بإصدار جريدتي « الأيام » و« الأطلس » (متم رجب 1354 / 18 أكتوبر 1935) .

الحمد لله وحده

تحريرا بتطوان في متم رجب عام 1354 .

سيدي الأخ الأستاذ ، السلام عليكم ورحمة الله .

وصلني كتابك المؤرخ بـ 24 الجاري ، أما ما يتعلق بالست رحمة بنت السيد العربي المدني ، فقد سررت كثيرا بوجود فتاة مغربية في مثل سنها ومعلوماتها وأدبها مما يستحق أهلها عليه الشكر والتنشيط . ونحن لم نقم من ناحيتها إلا بالواجب . وحبذا لو يوجد كثير من أمثالها بوطننا العزيز حقق الله الآمال .

أما الأيام فإن الإدارة لازالت حتى الآن لم تكتب إليّ جوابا في شأنها رغما عن كون الحاكم بأمره هنا سمح لي شفاهيا بإصدارها . وأعطى أوامره بإجابة طلبي رسميا بمجرد وصوله . ولكن صادف أن الأخ الطريس قدم طلبا بإصدار الأطلس . فاشتبهت الإدارة في الأمر وترددت في التصريح لكل من الجريدتين . ولا ندري هل هذا التردد مؤقت أم هو دائم . ومن جهتي فقد اخترت عدم الإلحاح الذي قد يكون جوابه الرفض البات وفضلت الانتظار ريثما تتبدل السياسة . وقد قابلت كباص شخصيا فذكر أن المسألة رفعت إلى مدريد وبمجرد وصول الجواب يبلغونني إياه . والحقيقة يعلمها الله . وتفضلوا يا عزيزي بقبول شكري الدائم وتحياتي المتوالية .

(في الطرة : محمد بن أحمد الحسناوي ــ أن الطالب الذي حمل إلي منكم رسالة في شأن التحاقه بمدرسة لوقش قد تكلمت مع شيخ المدرسة في شأنه لأنه هو المكلف بالامتحان » فذكر أن الطالب المذكور لم يعد إليه . كما أنني لم أره هنا طول هذه المدة) .

أخوكم محمد داود

* * *

ــ 3 ــ

رسالة من الأستاذ محمد داود إلى الأستاذ كنون يخبره فيها بعزمه على استئناف إصدار مجلة « السلام » بعد أن طال انتظاره بدون جدوى لسماح الحكومة الإسبانية بإصدار « الأيام » (17 ذي القعدة 1354 / 8 فبراير 1936) .

الحمد الله وحده

تحريرا بتطوان في 17 ذي القعدة عام 1354 .

أخي الأستاذ الجليل السلام عليكم ورحمة الله .

بعد تجديد العهد بكم أتشرف بإبلاغكم أنني بعد أن طال انتظاري لسماح الحكومة بإصدار « الأيام » دون جدوى ، قررت مع فضلاء إخواني استيناف إصدار « السلام » على أن تكون نصف شهرية في 24 صفحة . وإني أؤمل أن يصدر العدد الأول في أواخر الجاري أو أوائل المقبل بحول الله . وعليه فإذا كان لديكم شيء مهيأ للنشر ، أو لم يكن عليكم تعب في تهيئة شيء لذلك فأرجو أن تتحفونا مع الشكر الخالص .

دمتم سيدي لخدمة الأمة ونهضتها .

محبكم محمد داود

* * *

— 4 —

رسالة من الأستاذ محمد داود إلى الأستاذ كنون يخبره فيها بقرب صدور جريدة « الأخبار » (6 ذي الحجة 1345 / 29 فبراير 1936) .

الحمد لله وحده

تحريرا بتطوان في 6 ذي الحجة عام 1354 .

سيدي الأخ الأستاذ السلام عليكم ورحمة الله .

وبعد

فقد وصلني كتابك المؤرخ بـ 24 الماضي وسررت به كثيرا . وكذلك توصلت بمقالك النفيس ويسرني أن أخبركم بأنني قد قدمت طلبا لإصدار جريدة « الأخبار » على أن تصدر أسبوعيا مؤقتا في 8 صفحات بحجم الحياة . وقد قبل الطلب رسميا ، وسيصدر العدد الأول من « الأخبار » يوم الأحد 21 ذي الحجة 15

مارس الجاري إن شاء الله .

وسوف لا أصرح باسمى في الجريدة ، لا بصفة مدير ولا محرر وغير ذلك .
وسنعمل كل ما في وسعنا لرواجها في منطقتي طنجة والداخلية .

هذا وإني أرجو أن أتشرف بما عسى أن يكون لديكم من الملاحظات في الموضوع إذ إن كثرة الأشغال قد تنسي الإنسان في أشياء لا يخطر بالبال أنها تنسى .

وسيحظى العدد بنشر أحد مقاليكم المفيدين . أما فكرة طبع ما ينشر من مقال (قضية المبشرين) بصفة رسالة فهي فكرة حسنة أنا موافق عليها من الآن وسأسعى لتنفيذها بعد إبداء ملاحظاتكم إن شاء الله .

ستفتح الجريدة بابا لنشر أخبار البلاد المغربية فإن كان ممكنا أن تمدونا بأخبار الحوادث الجارية في طنجة فإن ذلك يكون مفيدا للمصلحة العامة وللجريدة أيضا .

أرجو أن تعلموا الأخ بولعيد بأننا سنرسل إليه الجريدة لبيعها في دكانه ما دامت الحكومة لم تأمر بغير ذلك . وثمن النسخة كما هو مطبوع عليها وأجرة البائع 20 ٪ .

محمد داود

ثانيا : في العمل الفكـــري

خص عبد الله كنون جريدة (الرسالة) التي كنت أرأس تحريرها بهذا المقال حول المشاكل التي يعاني منها التعليم الأصيل في وقت كانت جريدة (الميثاق) متوقفة عن الصدور . ونشر المقال في العدد رقم 108 بتاريخ 17 / 10 / 1985 تحت عنوان : (هل يلغى التعليم الأصيل في السياسة التعليمية الجديدة ؟) .

ويكشف المقال عن الموقف الملتزم لكنون إزاء المحاولات التي تستهدف إلغاء عقل الأمة والمصادرة على فكرها وثقافتها من خلال توجيه الضربة القاضية إلى التعليم الإسلامي .

كتب كنون في مقاله الهام يقول :

تهيئ وزارة التربية الوطنية مشروعا لإصلاح التعليم العام كما أخبر بذلك أخيرا السيد الوزير في العرض الذي ألقاه بمناسبة الدخول المدرسي على أمواج الإذاعة وشاشة التلفزة . ويظهر أنه مشروع متمم للبرناج الذي كان قدمه لندوة إفران الشهيرة ، وكان هدفه التنظيم والتوجيه وتحقيق الغاية من التعليم الوطني ، بحيث لم يمس الهيكل البنيوي للسياسة التعليمية ، بخلاف المشروع الجديد الذي سمي بالتعليم الأساسي ، وجعل إجباريا لمدة تسع سنوات متواصلة يلجه الطفل البالغ سبع سنوات ويقضي فيه مرحلتين الأولى مدتها ست سنوات ينتقل بعدها إلى المرحلة الثانية التي مدتها ثلاث سنوات ، تعليما عموميا أو تعليما مهنيا ، ثم بعد هذه المرحلة يوجه التلاميذ إما إلى التعليم الثانوي العام الذي مدته ثلاث سنوات تنتهي بالباكلوريا ، وإما إلى التعليم الأصيل ، أو المهني أو التقني ، وبمقتضى هذا يصبح التعليم الأصيل شعبة تبتدئ من السلم الثاني الثانوي فقط ، لأنه لا ذكر في المشروع للابتدائي الأصيل ولا للسلك الأول منه ، ومعنى ذلك أنهما قد ألغيا من النظام العام للتعليم في المغرب .

وهذا رجوع إلى الوراء بهذا التعليم الذي هو في الحقيقة التعليم الأساسي الذي يحافظ على هويتنا وكياننا المتميز على الصعيدين العربي والإسلامي ، لا غيره مما هو مشاع بين جميع البلاد ، وقد بقي المغرب كعبة القصاد من أقطار أفريقيا الغربية مدى قرون ، لطلب هذا العلم في جامعته الخالدة ، القرويين ، وبالرغم من إنشاء عدة جامعات وكليات هنا في المغرب ، وفي تلك الأقطار الأفريقية فإنها لم تغن عنه ولا عن جامعته ، بل إن جارتنا الجزائر لم يسعها إلا أن تنشئ جامعة قسنطينة لا ستقطاب طلبة هذا التعليم وكفاية الخصاص من رجاله والأطر التي تتوقف عليها منهم .

وقد سبق للوزارات المتعاقبة على التعليم بالمغرب أن ألغت التعليم الابتدائي الأصيل بحجة التوحيد ، وألغت السلك الأول منه كذلك ، واستنكرنا هذا العمل وناقشنا قضية التوحيد ، وبينا أن المراد به توحيد الغاية من التعليم لا توحيد المناهج ، وكتب في الموضوع كل من له غيرة على هذا التعليم وعقدت الاجتماعات ورفعت العرائض احتجاجا على هذا التصرفات المرتجلة ، ثم تبين المسئولون أنهم لم يكونوا مصيبين في عملهم فتراجعوا أولا عن خطة توحيد التعليم الثانوي ثم عن إلغاء القسم الابتدائي الأصيل ، وقلنا إن المعركة في هذا الميدان قد انتهت وإن التخبط في سياسة التعليم لم يعد له مبرر بعد أن اتضحت الأمور وسار التعليم العام في طريق التنظيم والازدهار .

إن ما لم يكن المخططون للسياسة التعليمية يفهمونه ، هو أن التعليم الأصيل تعليم كبير وواسع ، ومبني على حفظ القرآن واستظهاره ، فهو في مراحله الأولى تعليم مختلف عن التعليم العمومي ، ومستواه أرفع بكثير من مستوى الابتدائي العادي ، ولذلك أطلق عليه اسم الطور الأول من التعليم الديني ، ثم هو رافد للتعليم الثانوي الأصيل بسلكيه الأول والثاني ، ولا يمكن الاستغناء عن مرحلة من مراحله إذا كنا نريد أن نخرج حقًا أطرا كفئة للمهمات التي تناط بأهله .. وقد لوحظ في الفترات التي كان تلامذته وطلبته يخضعون للتجارب المشار إليها أن مستوى هذا التعليم هبط إلى درجة الأمية فيه . ولا غرو فقد أحصينا ذات مرة في لجنة من لجان إصلاح التعليم أن المواد الحديثة في باكلوريا التعليم الأصيل أكثر منها في باكلوريا التعليم

العمومي ، وذلك من كثرة ما أضيف إليه لأجل (تعصيره) من تلك المواد ، وكان ذلك طبعا على حساب مواده التي لا غنى له عنها .

لهذا فإن الانتقال من التعليم الإجباري العمومي ذي السنوات التسع إلى السلك الثاني من ثانوي الأصيل ، سيكون له أثره المحسوس في ضعف الملتحقين به وضحالة ثقافتهم الأصيلة مما ينعكس على تحصيلهم وتأهيلهم للالتحاق بكلياته الثلاث وكذا بدار الحديث الحسنية . واللوم ليس على الخريجين وإنما على النظام الجديد الذي يشبه ما كان عليه الحال عند إلغاء الابتدائي والسلك الأول من التعليم الأصيل .

ونحن ، وقد بنينا استنتاجنا هذا على ما يفهم من عرض سيادة الوزير ، نؤمل ألا يكون هذا الاستنتاج صحيحا لأن الأخذ بالمفهوم له شروط ، فعسى أن يصدر من الوزارة بيان في هذا الصدد ، والأمر أولا وأخيرا مردود إلى جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله ، فهو حامي هذا التعليم والمحافظ عليه ، وهو الذي سماه بالتعليم الأصيل وقد كنا كلما مس في جوهر أو عرض من خصائصه لجأنا إليه ، وهو الذي أسس قواعد القرويين من جديد على الكليات الثلاث بعدما ألغيت ولم يبق منها إلا كلية الشريعة تابعة لكلية الحقوق في جامعة محمد الخامس ، وهو الذي أسس دار الحديث الحسنية تقوية لهذا التعليم ، وأما والده العظيم محمد الخامس طيب الله ثراه ، فإنه وضع هذا التعليم تحت إشرافه أيام الحماية لئلا تتلاعب به أيدي الاستعمار ، وكنا نتعامل معه رأسا فيما يتعلق به بواسطة الصدارة العظمى فيصدر لنا تعليماته حتى في أوقات إجراء الامتحانات لطلبته وتحديد أيام العطل ، فضلا عن عقد مؤتمر سنوي برئاسته للنظر في مسائله ومشاكله ووسائل إصلاحه والنهوض به جزاه الله عن أمته وملته أحسن الجزاء .

ثالثا : في العمل السياسي

تمثل افتتاحيات جريدة (الميثاق) [1] نموذجا رفيعا في الصحافة الإسلامية السياسية لما امتازت به من جرأة في الصدع بالرأي الحر المعبر عن الضمير الإسلامي العربي والمصبوب في قالب صحافي مشرق بالديباجة العربية . وقد اخترت من بين افتتاحيات كنون في (الميثاق) افتتاحية نشرها تحت عنوان (المجرم يقتل) في العدد 479 السنة 21 الصادر في 10 صفر عام 1405 هـ الموافق 5 نوفمبر سنة 1984 م . وذلك إبان تدهور الوضع الأمني في لبنان وعجز الدول العربية عن مواجهة طوفان الانهيار الذي تصاعد وامتد إلى أن بلغ الذروة في وقتنا الراهن . يقول كنون في هذه الافتتاحية [2] :

لو كان المسلمون يلتزمون بشعائر دينهم وشرائع إسلامهم لما وقعوا في كثير من المشاكل التي يعانون منها الأمرين ولصلح حالهم ولضربوا الأمثال في حسن السياسة وعدالة الحكم ولَعَلا قدرهم وكان لهم في المجتمع الدولي المقام الأول .

لكنهم انتهجوا في السياسة سبيل النفاق والخداع والمداهنة اقتداء بمن أصبحوا عندهم مثلا أعلى في كل شيء ، وتركوا القدوة الصالحة التي أمرهم الله بالاهتداء بها حتى قال : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة** ﴾ . وقال لنبيه ﷺ فيمن سبقه من النبيين والمرسلين : ﴿ **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده** ﴾ .

ولنضرب المثل بالقضية السياسية لأنها أهم قضايانا اليوم ، فلا تقوم لنا قيامة في دين ولا دنيا إلا بتحرير أرضنا وإملاء إرادتنا . وقد تأسست الجامعة العربية منذ

---

(1) انظر الفصل الخاص عن (صحافة عبد الله كنون) من هذا الكتاب .
(2) نشرت في (معسكر الإيمان يتحدى) الصادر بعد وفاة المؤلف ، ص : 147 .

سنين ، وتقلب في أمانتها العامة شخصيات لها وزنها في الوطنية والثقافة السياسية ولكن على النهج غير الإسلامي حتى كان منهم من لا يصحو من سكر ، وبذلك كانت تصريحاته تتناقض ومواقفه تتعارض .

ومما درجت عليه الجامعة العربية الحرص على إرضاء جميع العرب ، والمراد الحكام لا الشعوب ، وهم لا يرضون أبدا إلا بما فيه سلامتهم ، وبما فيه رضا متبوعيهم من المعسكرين المتنافسين على جعلهم يدورون في فلكهما . والمثال واضح وقائم في كل وقت .

ويظهر جليا في الظرف الراهن وهو من أسوأ الظروف التي مر بها العرب في تاريخهم الحديث ، فبالإضافة إلى أنهم ألقوا السلاح واستسلموا للواقع حَزَّ في نفس بعض قادتهم أن تبقى منظمة التحرير الفلسطينية قائمة بواجبها في ميدان الكفاح التحرري لقض مضاجع العدو وبمواقفها البطولية فلم يسعه إلا العمل على تفتيت وحدتها وتفريق صفها إبقاء على العدو وإرضاء له ولحليفته من المعسكرين اللذين كم بذلا في هذا السبيل فلم ينجحا ونجح ابن العم القريب ، ومَنْ مِنَ العرب يستطيع أن يقول للمجرم قف ، وهل تستطيع الجامعة العربية أن تنادي باللقاء الذي يتم بين المؤمنين بالقضية العربية إيمانا مطلقا ، والذين يؤيدون الرئيس الوحيد والزعيم كما وصفوه في أكثر من قمة عربية وقدموه إلى المجتمع الدولي بتلك الصفة ، ويبتروا العضو المريض وينقذوا الموقف المنهار ؟

أما أن هذه هي السياسة الإسلامية فهذا هو الرسول ﷺ يلخصها في قوله : « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه » رواه مسلم والمراد بقتله هنا الاستغناء عنه والعمل بدونه .

معهد مولاي الحسن للأبحاث

تأسس في عام 1355 هـ (1905 م) تحت اسم (المعهد الخليفي) ، وتولى رئاسته الشيخ محمد المكي الناصري إلى سنة 1948 ، ثم تولى إدارته عبد الله كنون ابتداء من يوم 15 يوليو 1948 واستمر على رأسه إلى سنة 1956 ليخلفه محمد بن تاويت . وكان مقر المغهد في بداية عهده في مدخل شارع الطرافين (بناية المندوبية السامية) قبل أن ينتقل إلى بناية التربية والثقافة ثم ينتهي به المطاف بعد الاستقلال إلى شقة بالقرب من مقر المركز الثقافي الفرنسي . وجلب المعهد أساتذة من مصر وأسس مكتبة هامة وأوفد بعثة دراسية إلى القاهرة . وفي عهد كنون تطور المعهد وأنشأ جائزة سنوية للآداب والعلوم [1] .

وتمتاز فترة إدارة كنون لمعهد مولاى الحسن للأبحاث المغربية بصدور مجموعة من المؤلفات تحت إشرافه وباختياره . وهذه المؤلفات تقدم بها أصحابها للمشاركة في المسابقة الأدبية السنوية التي ينظمها المعهد . وفيما يلي قائمة بمنشورات المعهد :

1 ـــ بنو عباد بأشبيلية ـــ عبد السلام الطود ، مطبعة كريماديس بتطوان : 1949 .

2 ـــ دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، عبد السلام ابن سودة ، المطبعة الحسنية بتطوان : 1950 .

3 ـــ العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين ـــ محمد المنوني ، مطبعة كريماديس بتطوان : 1950 .

4 ـــ ركب الحاج المغربي ـــ محمد المنوني ، مطبعة المخزن بتطوان : 1953 .

---

(1) مجلة (الحديقة) ، عدد : 5 ، السنة الأولى ـــ أبريل 1955 ـــ تطوان .

5 ــ تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى ــ محمد عبد الرحيم غنيمة ، دار الطباعة المغربية بتطوان 1953 .

6 ــ الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب ــ عبد العزيز ابن عبد الله ، دار الطباعة المغربية بتطوان : 1953 .

7 ــ ابن الخطيب من خلال كتبه ــ محمد بن أبي بكر التطواني ، (جزءان) صدرا عن دار الطباعة المغربية بتطوان ، الأول في 1954 ، والثاني في 1959 .

8 ــ ابن الآبار : كتبه وحياته ــ عبد العزيز عبد المجيد ، دار الطباعة المغربية بتطوان : 1954 .

9 ــ مختصر تاريخ تطوان ، جزءان ــ محمد داود ، المطبعة المهدية بتطوان : 1955 [2] .

---

(1) محمد المنوني ، (دار النيابة) العدد : 25 ــ سنة 1990 . ص 3 . وبمحمد الله أملك جميع هذه الكتب في مكتبتي الخاصة .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

مراجع

— مؤلفات عبد الله كنون .

— المجموعة الكاملة للمجلات التي أصدرها كنون : مجلة (لسان الدين) مجلة (الأنوار) مجلة (الإحياء) وجريدة (الميثاق) .

— مجموعة محاضرات كنون وتقاريره الأدبية المقدمة إلى مؤتمرات رابطة علماء المغرب .

— منهج الاستقلالية ، علال الفاسي .

— الإسلام والخلافة في العصر الحديث : نقد كتاب الإسلام وأصول الحكم ، د . محمد ضياء الدين الريس .

— أزمة الفكر السياسي الإسلامي في العصر الحديث : مظاهرها أسبابها ، علاجها د . عبد الحميد متولي .

— التطور الدستوري والنيابي بالمغرب ، عبد الكريم غلاب .

— أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الإسلامي ، د . فهمي جدعان .

— مجموعة رسائل الإمام حسن البنا ، رسالة (مشكلاتنا الداخلية في ضوء النظام الإسلامي) .

— السنة بين أهل الحديث وأهل الفقه ، محمد الغزالي .

— موسوعة النظم والحضارة الإسلامية . ج : 3 السياسة في الفكر الإسلامي ، د . أحمد شلبي .

---

(1) اعتمدت هنا أهم المراجع التي استعنت بها ، ولم أثبتها جميعها .

ـــ سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية ، أنور الجندي .
ـــ حسن البنا : الداعية الإمام والمجدد الشهيد ، أنور الجندي .
ـــ الغزو الفكري : وهم أم حقيقة ؟ د . محمد عمارة .
ـــ الخطاب العربي المعاصر : دراسة تحليلية نقدية ، د . محمد عابد الجابري .
ـــ وثائق منظمة المؤتمر الإسلامي وجامعة الدول العربية .

فهـــرس

الموضـــوع — الصفحة

الموضـوع | الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

القسم الثاني

عبد الله كنون : رؤية من الداخل

الموضوع	الصفحة

خاتمة



رقم الإيداع : ٧٣٩٨ / ١٩٩٢
الترقيم الدولي : ٤ ـ ١٠٦ ـ ٢٥٧ ـ ٩٧٧ .

الزهراء للإعلام العربي
الإدارة : ١٤ شارع الطوران ـ رابعة العدوية مدينة نصر ـ ت : ٦٠١٩٨٨ ـ ٢٦١١١٠٦
تلكس : ٩٤٠٢١ رائف يو إن فاكس ٢٦١٨٢٤٠

المطابع : ٩ ش عماد الدين كامل ـ متفرع من عباس العقاد ـ مدينة نصر ت : ٢٦٣٧٢٨٣
القاهرة

عبد الله كنون

وموقعه في الفكر الإسلامي السياسي الحديث

(رؤية من الداخل)

هـذا الكتـاب

هذا الكتاب يبين لنا بوضوح كيف أن العالم المسلم ، والمفكر المسلم ، والداعية المسلم ، رجل سياسةٍ له مدرستُه التي تتميز عن المدارس السياسية السائدة ، ويُظهر بجلاء كيف أن الإسلام ليس طقوسا وشعائر ومناسك فحسب ، لكنه سلوك ومعاملة ومنهج حياة متكامل مترابط يأخذ بعضه بأسباب بعض في انسجام وتلاؤم ، وفي رحمة وعدل وسلام .

وعبد الله كنون طراز فريد من العلماء . وهو المفكر الإسلامي الذي مارس السياسة من موقع الاعتزاز بالانتماء إلى حضارته وتراثه وتاريخه الذي علّم الدنيا كيف تُقام الدول وتُساس المجتمعات وتُصنع الحضارات . وهو بذلك شخصية مغربية عربية إسلامية جديرة بالتقدير قَمِينة بالدراسة حَقِيقَة بالتأمل ، ولعل قيمة كنون تكمن في أن المعارك التي خاضها والمواقف التي اتخذها والآراء التي دعا إليها لاتزال معارك قائمة ومواقف مستمرة وآراء صالحة لحل مشكلات الحاضر وقضايا المستقبل ، لأنها من الإسلام الحق ، المُصَفَّى ، المبرأ من الهوى والغرض ... وهو بذلك عَلَم من أعلام الفكر الإسلامي السياسي الحديث له موقعهُ المتميز .

الزهراء للإعلام العربي